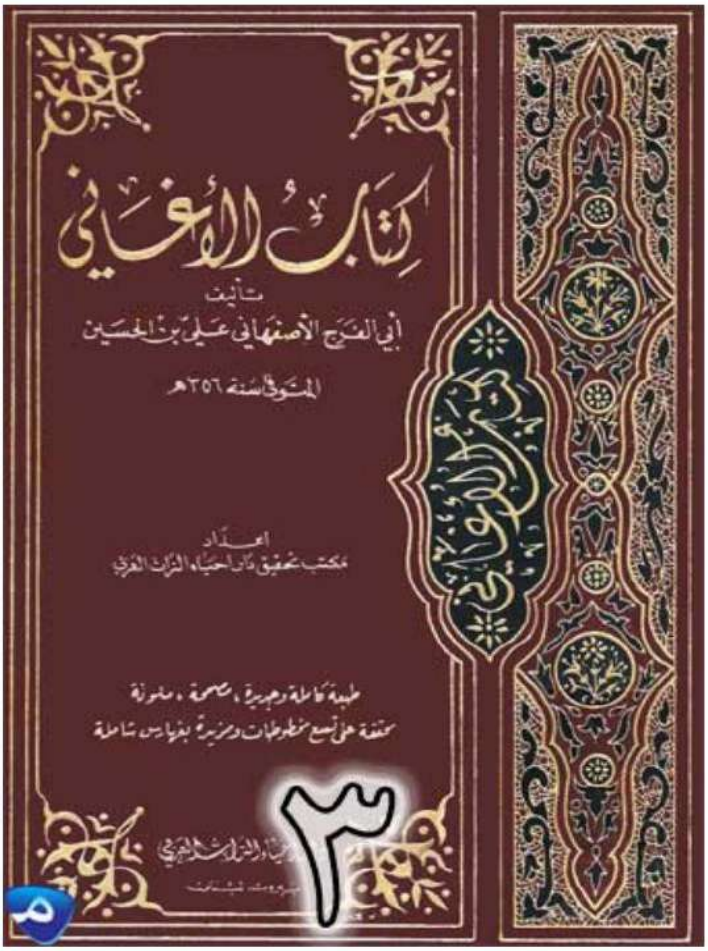

http://www.masaha.org

الأغاني

الجزء الثالث

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة

http://www.masaha.org

الجزء الثالث

تتمة التراجم

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ* <الجزء الثالث من كتاب الأغاني>

17-ذكر قيس بن الخطيم و أخباره و نسبه

نسبه:

هو قيس بن الخطيم[1]بن عديّ بن عمرو بن سود[2]بن ظفر، و يكنى قيس أبا يزيد.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد[قال حدّثنا حماد][3]بن إسحاق عن أبيه قال: أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم:

بين شكول[4]النساء خلقتها # حذوا[5]فلا جبلة[6]و لا قضف[7]

/فقال: لو لا أن أبا يزيد قال: حذوا ما درى الناس كيف يحشون[8]هذا الموضع.

أخذه بثأر أبيه و جدّه و استعانته في ذلك بخداش بن زهير:

و كان أبوه الخطيم قتل و هو صغير، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه، و نشبت لذلك حروب بين قومه و بين الخزرج و كان سببها.

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل قال: كان سبب قتل الخطيم أنّ رجلا من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله، و قيس يومئذ صغير، و كان عديّ أبو الخطيم أيضا قتل[قبله][9]، قتله رجل من عبد القيس[10]، فلما بلغ قيس بن الخطيم و عرف أخبار قومه و موضع ثأره لم يزل يلتمس غرّة من قاتل أبيه و جدّه في/المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، و ظفر [1]سمى أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه كما في «ديوانه» طبع ليبزج سنة 1914 ص 1.

[2]في أ، م و هامش ط: «سعد» . و في «خزانة الأدب» للبغدادي ج 3 ص 168: «سواد» .

[3]هذه الجملة في ط، أ، م، ء. و ساقطة من باقي النسخ.

[4]الشكول: الضروب.

[5]الحذو: التقدير، و منه حذو النعل بالنعل أي تقديرها على مثالها، يريد أنها بين ضروب النساء وسط لا هي بالسمينة و لا بالمهزولة.

و في «ديوانه» و «اللسان» مادتي قضف و جبل: «قصد» و سيأتي بهذه الرواية في «الأغاني» غير مرة.

[6]كذا في «ديوانه» و «اللسان» مادتي قصف و جبل و نسختي ط، ء. و الجبلة: الغليظة، من جبل كفرح فهو جبل و جبل. و في ب، س: «جثلة» و الجثلة: الضخمة.

[7]القضف: دقة اللحم، و هو وصف بالمصدر.

[8]كذا في ى، ط، أ. و هي محرفة في سائر النسخ.

[9]زيادة في م، أ.

[10]كذا في أغلب النسخ. و في ب، س، حـ، «بني عبد القيس» .

6

بقاتل جدّه بذي المجاز[1]، فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه، و لم يكن معه إلا رهط من الأوس، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاريّ، فاستنجده فلم ينجده، فأتى خداش بن زهير فنهض معه ببنى عامر حتى أتوا قاتل عديّ، فإذا هو واقف على راحلته في السّوق، فطعنه قيس بحربة فقتله، ثم استمرّ. فأراده رهط الرجل، فحالت بنو عامر دونه؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم: ثأرت عديّا و الخطيم فلم أضع # ولاية أشياخ جعلت[2]إزاءها

ضربت بذي الرّجّين[3]ربقة[4]مالك # فأبت بنفس قد أصبت شفاءها

و سامحني[5]فيها ابن عمرو بن عامر # خداش فأدّى نعمة و أفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر # لها نفذ لو لا الشّعاع[6]أضاءها

ملكت[7]بها كفّي فأنهرت[8]فتقها # يرى قائم من دونها ما وراءها

هذه رواية ابن الأعرابيّ عن المفضّل. و أما ابن الكلبيّ فإنه ذكر أن رجلا من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمّار بن ياسر، و كان عالما بحديث الأنصار، قال: كان من حديث قيس بن الخطيم أن جدّه عديّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك، و قتل أباه الخطيم بن عديّ رجل من عبد القيس[9]ممن يسكن هجر؛ و كان قيس يوم قتل أبوه صبيا صغيرا، و قتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عديّ؛ فخشيت أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه و جده فيهلك، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم، فوضعت عليها أحجارا تقول لقيس: هذا قبر أبيك و جدّك، فكان قيس لا يشكّ أن/ذلك على ذلك. و نشأ أيّدا شديد الساعدين، فنازع يوما فتى من فتيان بني ظفر، فقال له ذلك الفتى: و اللّه لو جعلت شدّة ساعديك على قاتل أبيك و جدّك لكان خيرا لك من أن تخرجها عليّ؛ فقال: و من قاتل أبي و جدي؟قال: سل أمّك تخبرك؛ فأخذ السيف و وضع قائمه على الأرض و ذبابه[10]بين ثدييه و قال لأمه: أخبريني من قتل أبي و جدّي؟قالت: ماتا كما يموت الناس و هذان قبراهما بالفناء؛ فقال: و اللّه لتخبرينني[11]من قتلهما أو لأتحاملنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري؛ فقالت: أمّا جدّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن [1]ذو المجاز: موضع بعرفة، و كانت تقام فيه في الجاهلية سوق من أسواق العرب.

[2]جعلت إزاءها: جعلت القيم عليها، يقال: هو إزاء مال أي يقوم عليه و يتعهده.

[3]في «ديوانه» و ط، ء: «بذي الزرين» . و الزر: حد السيف. و الزج: الحديدة في أسفل الرمح. و قد ذكرت في شرح ديوانه رواية أخرى: «بذي الخرصين» و ربما رجحها ما سيأتي بعد من حكاية قيس مع خداش و كيف كان قتله لمالك قاتل جده.

[4]الربقة: العروة، يريد موضعها.

[5]سامحني: تابعني و وافقني.

[6]النفذ: الثقب. و الشعاع: حمزة الدم. و يروى: «الشعاع» بفتح الشين و هو انتشار الدم. يريد: لو لا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين.

[7]ملكت: شددت و ضبطت.

[8]أنهرت: أوسعت.

[9]انظر الحاشية رقم 3 ص 2 من هذا الجزء.

[10]ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

[11]كذا في الأصول: من غير توكيد و هذا الوجه يجيزه الكوفيون، و البصريون يوجبون توكيد الفعل في مثل هذا الموضع بالنون (انظر «الأشموني» ج 2 ص 437 طبع بولاق) .

7

ربيعة يقال له مالك، و أما أبوك فقتله رجل من عبد القيس[1]ممن يسكن هجر؛ فقال: و اللّه لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي و جدّي؛ فقالت: يا بنيّ إن مالكا قاتل جدّك من قوم خداش بن زهير، و لأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره في أمرك و استعنه يعنك؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه[2]و هو يسقي نخله، فضرب الجرير[3]بالسيف فقطعه، فسقطت الدلو في البئر، و أخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر، و قال: من يكفيني أمر هذه العجوز؟ (يعني أمّه) فإن متّ أنفق عليها من هذا الحائط[4]حتى تموت ثم هو له، و إن عشت فمالي عائد إليّ و له منه ما شاء أن يأكل من تمره[5]؛ فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دلّ عليه بمرّ الظّهران[6]، / فصار إلى خبائه فلم يجده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأة خداش: هل من طعام؟فأطلعت إليه فأعجبها جماله، و كان من أحسن الناس وجها؛ /فقالت: و اللّه ما عندنا من نزل[7]نرضاه لك إلا تمرا؛ فقال: لا أبالي، فأخرجي ما كان عندك؛ فأرسلت إليه بقباع[8]فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شقّها و ردّ شقّها الباقي في القباع، ثم أمر بالقباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. و رجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل متحرّم[9]. و أقبل قيس راجعا و هو مع امرأته يأكل رطبا؛ فلما رأى خداش رجله و هو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالت: نعم؛ قال: كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربيّ؛ فلما دنا منه قرع طنب البيت بسنان رمحه و استأذن، فأذن له خداش فدخل إليه، فنسبه[10]فانتسب[11]و أخبره بالذي جاء له، و سأله أن يعينه و أن يشير عليه في أمره؛ فرحّب به خداش و ذكر نعمة أبيه عنده، و قال: إن هذا الأمر ما زلت أتوقّعه منك منذ حين. فأمّا قاتل جدّك فهو ابن عم لي و أنا أعينك عليه، فإذا اجتمعنا في نادينا جلست إلى جنبه و تحدّثت معه، فإذا ضربت فخذه فثب إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لمّا جالسه خداش، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخرصين، فثار إليّ القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم و بيني و قال: دعوه فإنه و اللّه ما قتل إلا قاتل جدّه. ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه، و انطلق مع قيس إلى العبدي الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريبا من هجر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دلّ عليه قال له: إن لصّا من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعا لي، فسألت من سيد قومه فدللت عليك، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتّبعك وحده فستنال/

ما تريد منه، و إن أخرج[12]معه غيره فاضحك، فإن سألك ممّ ضحكت فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت إذا دعي إلى اللص من قومه، إنما [1]انظر الحاشية رقم 3 ص 2 من هذا الجزء.

[2]الناضح: البعير يستقى عليه الماء.

[3]الجرير: الحبل.

[4]الحائط: البستان.

[5]في أ، م، ء: «ثمره» بالثاء المثلثة.

[6]الظهران: واد قرب مكة عنده قرية يقال لها «مر» تضاف إليه فيقال مر الظهران.

[7]النزل: ما يهيأ للضيف من قرى.

[8]القباع: المكيال الضخم.

[9]متحرّم: له عندنا حرمة و ذمة.

[10]نسبه: طلب إليه أن ينتسب.

[11]في ب، س: «فانتسب إليه» .

[12]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «معك» و السياق يرجح الأول.

يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى[1]كل شيء أخذ هيبة له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك، و إن أبى إلاّ أن يمضوا معه فأتني به، فإني أرجو أن تقتله و تقتل أصحابه. و نزل خداش تحت ظل شجرة، و خرج قيس حتى أتى العبديّ فقال له ما أمره خداش فأحفظه، فأمر أصحابه فرجعوا و مضى مع قيس؛ فلما طلع على خداش، قال له: اختر يا قيس إما أن أعينك و إما أن أكفيك؛ قال: لا أريد واحدة منهما، و لكن إن قتلني فلا يفلتنّك؛ ثم ثار إليه[2]فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن فررنا الآن طلبنا قومه، و لكن ادخل بنا مكانا قريبا من مقتله، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته و أقمت قريبا منه[3]، و لكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره، فإذا وجدوه قتيلا خرجوا في طلبنا في كل وجه، فإذا يئسوا رجعوا.

قال: فدخلا في دارات من رمال هناك، و فقد العبديّ قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلا، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش. و أقاما مكانهما أياما ثم خرجا، فلم يتكلما حتى أتيا منزل خداش، ففارقه عنده/قيس بن الخطيم و رجع إلى أهله. ففي ذلك يقول قيس: تذكّر ليلى حسنها و صفاءها # و بانت فما إن يستطيع لقاءها

و مثلك قد أصبيت ليست بكنّة[4] # و لا جارة أفضت إليّ خباءها[5]

/إذا ما اصطبحت أربعا خطّ مئزري[6] # و أتبعت دلوي في السّماح رشاءها[7]

ثأرت عديّا و الخطيم فلم أضع # وصيّة[8]أشياخ جعلت إزاءها

و هي قصيدة طويلة.

استنشد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم شعره و أعجب بشجاعته:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المنقريّ قال حدّثنا زياد بن بيان[9]العقيليّ قال حدّثنا أبو خولة الأنصاريّ عن أنس بن مالك قال: جلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم في مجلس ليس فيه إلا خزرجيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله: أ تعرف رسما كاطّراد[10]المذاهب # لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله: [1]كذا في أغلب النسخ. و في ب، س، حـ: «أعطاه... أخذه» .

[2]في ط، حـ، ء: «نازله» .

[3]في أ، م: «منهم» .

[4]الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

[5]في «ديوانه» : «حياءها» يريد أنه ليس بينه و بينها ستر.

[6]يريد أنه إذا شرب أربعا اختال حتى جرّ ثوبه من الخيلاء.

[7]يريد أنه بلغ في السماح منتهاه. يقال: أتبع الدلو رشاءها و أتبع الفرس لجامها إذا بذل آخر مجهوده.

[8]رويت في صفحة 3 من هذا الجزء: «ولاية» .

[9]في ط، ى: «بنان» بالنون.

[10]الاطراد: التتابع. و المذاهب: واحدها مذهب و هو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها في أثر بعض.

أجالدهم يوم الحديقة[1]حاسرا # كأن يدي بالسيف مخراق[2]لاعب

فالتفت إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: «هل كان كما ذكر» ؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شمّاس و قال له: و الذي بعثك بالحق يا رسول اللّه، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة و ملحفة موّرسة[3]فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

/و قد أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعب قال: لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بعاث[4]فإنه كان عظيما، و إنما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة و يتضاربون بالخشب.

قال الزّبير و أنشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا # كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فضحك و قال: ما اقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب و السّعف.

قال أبو الفرج: و هذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من جيّد شعر قيس بن الخطيم، و مما أنشده نابغة بني ذبيان فاستحسنه و فضّله و قدّمه من أجله.

أنشد النابغة من شعره فاستجاده:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال قال أبو غزيّة قال حسّان بن ثابت: قدم النابغة المدينة فدخل السّوق فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول: عرفت منازلا بعريتنات[5] # فأعلى الجزع للحيّ المبنّ[6]

/فقلت: هلك الشيخ و رأيته قد تبع قافية منكرة. قال و يقال: إنه قالها في موضعه، فما زال ينشد حتى أتى على آخرها، ثم قال: أ لا رجل ينشد؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه و أنشده: أ تعرف رسما كاطّراد المذاهب

حتى فرغ منها؛ فقال: أنت أشعر الناس يا ابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، و إنّي في ذلك لأجد القوّة في نفسي عليهما[7]، ثم تقدّمت فجلست بين يديه؛ فقال: أنشد فو اللّه إنك لشاعر قبل أن تتكلّم، قال: و كان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته؛ فقال أنت أشعر الناس. قال الحسن[8]بن موسى: و قالت الأوس: لم يزد قيس بن/الخطيم النابغة على: [1]الحديقة:

قرية من أعراض المدينة في طريق مكة، كانت بها وقعة بين الأوس و الخزرج قبل الإسلام (كذا في ياقوت) .

[2]المخراق: خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان، و تسمى في مصر «بالطرة» .

[3]مورّسة: مصبوغة بالورس و هو نبات أصفر تصبغ به الثياب و يتخذ منه طلاء للوجه.

[4]بعاث: موضع في نواحي المدينة، كانت به وقائع بين الأوس و الخزرج في الجاهلية

[5]عريتنات: واد ذكره ياقوت في «معجمه» ، و استشهد بأبيات لداود بن شكم أولها: معرّسنا ببطن عريتنات # ليجمعنا و فاطمة المسير

[6]المبن: المقيم.

[7]كذا في أ، م. و في سائر النسخ: «عليهم» .

[8]كذا في حـ. و في سائر النسخ: «حسين» و سيأتي قريبا «الحسن» باتفاق النسخ.

-نصف البيت-حتى قال أنت أشعر الناس.

صفاته الجثمانية:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال قال سليمان بن داود المجمّعيّ:

كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج[1]العينين أحمر الشفتين برّاق الثّنايا كأن بينها برقا، ما رأته حليلة رجل قطّ إلاّ ذهب عقلها.

أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت:

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المجمّعيّ قال:

/قال حسّان بن ثابت للخنساء: أهجي قيس بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحدا أبدا حتى أراه. قال:

فجاءته يوما فوجدته في مشرقة[2]ملتفّا في كساء له، فنخسته برجلها و قالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبر، فأدبر؛ ثم قالت: أقبل، فأقبل. قال: و اللّه لكأنها تعترض عبدا تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائما؛ فقالت: و اللّه لا أهجو هذا أبدا.

عرض عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة:

قال الزّبير و حدّثني عمّي مصعب قال:

كانت عند قيس بن الخطيم حوّاء بنت يزيد بن سنان بن كريز بن زعوراء[3]فأسلمت، و كانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها، فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المدينة؛ فسأله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد، و أوصاه بها خيرا، و قال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس و حفظ وصيّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فبلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال: «و في الأديعج» .

قال أبو الفرج و أحسب هذا غلطا من مصعب، و أن صاحب هذه القصة قيس بن شمّاس، و أما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة.

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم و بين الأوس:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحويّ عن أبي سعيد السّكّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل:

/أن حرب الأوس و الخزرج لما هدأت، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم و نكايته فيهم، فتوامروا[4] [1]الدعج في العين: شدة سوادها مع سعتها.

[2]كذا في ط، ء، حـ. و المشرقة مثلثة الراء: موضع القعود في الشمس بالشتاء. و في سائر النسخ: «مشربة» و هي (بفتح الراء و ضمها) :

الغرفة التي يشرب فيها، و قيل: هي كالصفة بين يدي الغرفة.

[3]كذا في أغلب النسخ. و في ب، س، ء. «زعواء» و لم نجد أنه سمي به.

[4]توامروا: لغة غير فصيحة في تامروا بمعنى تشاوروا. و في هامش ط: «فتذامروا» بالذال المعجمة و معناه تحاضّوا على القتال.

و تواعدوا قتله؛ فخرج عشيّة من منزله في ملاءتين يريد مالا له بالشّوط[1]حتى مرّ بأطم[2]بني حارثة، فرمي من الأطم بثلاثة أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاح صيحة سمعها رهطه، فجاءوا فحملوه إلى منزله، فلم يروا له كفؤا إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النّجّاريّ، فاندسّ إليه رجل حتى اغتاله في منزله، فضرب عنقه و اشتمل على رأسه، فأتى به قيسا و هو بآخر رمق، فألقاه بين يديه و قال: يا قيس قد أدركت بثأرك؛ فقال: عضضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة!فقال: هو أبو صعصعة، و أراه الرأس!فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

مهاجاته حسان بن ثابت:

و هذا الشعر أعني:

أجدّ بعمرة غنيانها

فيما قيل يقوله قيس في عمرة بنت رواحة، و قيل: بل قاله في عمرة: امرأة كانت لحسّان بن ثابت، و هي عمرة بنت صامت بن خالد. و كان حسّان ذكر[3]ليلى بنت الخطيم في شعره، فكافأه قيس بذلك، و كان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرّبيع[4].

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزّبير قال حدّثني مصعب قال: /مرّ حسّان بن ثابت بليلى بنت الخطيم-و قيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش-فقال لها حسان: اظعني فالحقي بالحيّ فقد ظعنوا، و ليت شعري/ما خلّفك و ما شأنك: أقلّ ناصرك أم راث رافدك[5]؟فلم تكلّمه و شتمه نساؤها؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه: لقد هاج نفسك أشجانها # و عاودها اليوم أديانها[6]

تذكرت ليلى و أنّي بها # إذا قطّعت منك أقرانها[7]

و حجّل[8]في الدار غربانها # و خفّ من الدار سكّانها

و غيّرها معصرات الرّياح # و سحّ الجنوب و تهتانها

مهاة من العين تمشي بها # و تتبعها ثمّ غزلانها

وقفت عليها فساءلتها # و قد ظعن الحيّ: ما شأنها

فعيّت و جاوبني دونها # بما راع قلبي أعوانها

[1]الشوط: بستان بالمدينة، كذا ذكره ياقوت في «معجمه» و استشهد بأبيات لقيس بن الخطيم منها: و بالشوط من يثرب أعبد # ستهلك في الخمر أثمانها

[2]الأطم: الحصن.

[3]في ب، س، حـ: «يذكر» .

[4]يوم الربيع: يوم من أيام الأوس و الخزرج. و الربيع موضع من نواحي المدينة.

[5]كذا في أ، م. و رفده: أعانه. و في سائر النسخ: «وافدك» بالواو.

[6]الأديان: جمع دين و هو الداء، يريد داء حبه القديم.

[7]الأقران: جمع قرن و هو الحبل.

[8]حجل بالتشديد كحجل بالتخفيف. و الحجل: أن يرفع رجلا و يقفز على الأخرى، و يكون برجلين جميعا، إلا أنه قفز و ليس بمشي.

و هي طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها: أجدّ بعمرة غنيانها

و فخر فيها بيوم الرّبيع و كان لهم فقال: و نحن الفوارس يوم الرّبيـ # ـع قد علموا كيف فرسانها

حسان الوجوه حداد السيو # ف يبتدر المجد شبّانها

و هي أيضا طويلة.

غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثني شيخ قدم من المدينة[1]، و أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو غسّان عن أبي السائب المخزوميّ، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذكر لي عن جعفر بن محرز[2]السّدوسيّ، قالوا[3]: دخل النّعمان بن بشير الأنصاريّ المدينة أيام يزيد بن معاوية و ابن الزّبير، فقال: و اللّه لقد أخفقت[4] أذناي من الغناء فأسمعوني؛ فقيل له: لو وجّهت إلى عزّة فإنها من[5]قد عرفت! قال: إي و ربّ البيت، إنها[6]لمن يزيد النفس طيبا و العقل شحذا، ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبت صرنا إليها؛ فقال له بعض القوم: إن النّقلة تشتدّ عليها لثقل بدنها و ما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان: و أين النجائب عليها الهوادج! فوجّه إليها بنجيب فذكرت علّة، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرقوها، فأذنت و أكرمت و اعتذرت، فقبل النعمان عذرها و قال: غنّيني، فغنته: أجدّ بعمرة غنيانها # فتهجر أم شأننا شأنها

فأشير إليها أنها أمّه فسكتت؛ فقال: غنّيني فو اللّه ما ذكرت إلا كرما و طيبا!لا تغنّيني سائر اليوم غيره؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

و تذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ، فقال: أ لا أزيدكم فيه طريفة[7]!قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن؛ قال قال لقيط: كنت عند سعيد الزّبيريّ قال سمعت عامرا الشعبيّ/يقول: اشتاق النّعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عزّة، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له، فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها؛ فقال لها النعمان بن بشير:

لأقضينّ بينكما بقضية لا تردّ عليّ، قد أحلّ اللّه له/من النساء مثنى و ثلاث و رباع، فله امرأتان [1]في بعض النسخ: «شيخ قديم من أهل المدينة» .

[2]في حـ، ء: «محمد» .

[3]في ب، س، حـ: «قال» .

[4]يريد: أوحشت أذناي من الغناء لطول عهدها به.

[5]في ب، س: «ممن» .

[6]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «لمن» .

[7]كذا في أ، ط، ء. و في سائر النسخ: «طريقة» بالقاف. ـ

بالنهار و امرأتان بالليل. فهذا يدلّ على أن المعنيّة بهذا الشعر عمرة بنت رواحة[1].

و أما ما ذكر أنه عنى عمرة امرأة حسان بن ثابت، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار عن عمه: أن قيس بن الخطيم لما ذكر حسّان أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة، و هي التي يقول فيها حسان: أزمعت عمرة صرما فابتكر

حسان بن ثابت و زوجه عمرة بنت الصامت و ما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها:

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي مصعب قال: تزوّج حسّان بن ثابت عمرة بنت الصامت بن خالد بن عطية الأوسيّة ثم إحدى بني عمرو بن عوف، فكان كل واحد منهما معجبا بصاحبه، و إن الأوس أجاروا مخلّد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأسلت: أجرت مخلّدا و دفعت عنه # و عند اللّه صالح ما أتيت

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرة، فعيّرته بأخواله و فخرت عليه بالأوس؛ فغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك ندم و شدّة؛ و ندم هو بعد فقال:

صوت

أزمعت[2]عمرة صرما فابتكر # إنما يدهن[3]للقلب الحصر[4]

لا يكن حبّك حبّا ظاهرا # ليس هذا منك يا عمر بسرّ

سألت حسّان من أخواله # إنما يسأل بالشيء الغمر[5]

قلت أخوالي بنو كعب إذا # أسلم الأبطال عورات الدّبر

يريد يدهن القلب، فأدخل اللام زائدة للضرورة. عمر: ترخيم عمرة. و السر: الخالص الحسن. غنّت في هذه الأبيات عزّة الميلاء ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش.

و تمام القصيدة:

ربّ خال لي لو أبصرته # سبط المشية في اليوم الخصر[6]

عند هذا الباب إذ ساكنه # كلّ وجه حسن النّقبة[7]حرّ

[1]لأنها أم النعمان بن بشير (انظر «طبقات ابن سعد» طبع أوروبا ج 8 ص 262 و «الإصابة» طبع مطبعة السعادة ج 8 ص 146) .

[2]رواية «الديوان» و ط، ء، أ: «أجمعت» .

[3]يدهن: ينافق و يصانع.

[4]الحصر: الضيق.

[5]الغمر مثلثة: من لم يجرب الأمور و الجاهل الأبله.

[6]الخصر: البارد. يريد أنه يسعى على الناس لا يقعد عنهم في اليوم البارد المجدب. و في «اللسان» مادة سبط: «سبط الكفين» و هو السمح الجواد. و في هذه القصيدة سناد التوجيه و هو تغير حركة ما قبل الرويّ المفيد (أي الساكن) بفتحة مع غيرها من ضمة أو كسرة، و هو أقبح أنواع السناد عند الخليل.

[7]النقبة بالضم: اللون، و بالكسر هيئة الانتقاب.

يوقد النار إذا ما أطفئت # يعمل القدر بأثباج الجزر[1]

/من يغرّ الدهر أو يأمنه # من قبيل[2]بعد عمرو و حجر[3]

ملكا من جبل الثلج إلى # جانبي أيلة[4]من عبد و حرّ

ثم كانا خير من نال النّدى # سبقا الناس بإقساط[5]و برّ

فارسي خيل إذا ما أمسكت # ربّة الخدر بأطراف السّتر

أتيا فارس في دارهم # فتناهوا بعد إعصار[6]بقرّ

ثم نادوا يا لغسّان اصبروا # إنه يوم مصاليت[7]صبر

اجعلوا معقلها أيمانكم # بالصّفيح المصطفى غير الفطر[8]

بضراب تأذن[9]الجنّ له # و طعان مثل أفواه الفقر[10]

و لقد يعلم من حاربنا # أننا ننفع قدما و نضرّ

صبر للموت إن حلّ بنا # صادقو البأس غطاريف فخر

/و أقام العزّ فينا و الغنى # فلنا فيه على الناس الكبر[11]

/منهم أصلي فمن يفخر به # يعرف[12]الناس بفخر المفتخر

نحن أهل العزّ و المجد معا # غير أنكاس[13]و لا ميل عسر

فاسألوا عنا و عن أفعالنا # كلّ قوم عندهم علم الخبر

قال الزبير فحدّثني عمّي قال: ثم إن حسّان بن ثابت مرّ يوما بنسوة فيهن عمرة بعد ما طلّقها، فأعرضت عنه و قالت لامرأة منهنّ: إذا حاذاك هذا الرجل فاسأليه من هو و انسبيه و انسبي أخواله و هي متعرّضة له، فلما حاذاهنّ [1]أثباج الجزر: أوساطها، يقول: إذا أطفئت نيران الناس من الجدب أوقد ناره و أطعم.

[2]كذا في ء، ط، و «ديوان حسان بن ثابت» المطبوع بليدن. و في سائر النسخ: «من قتيل» بالتاء.

[3]عمرو هو-كما في «شرح ديوان حسان» -: عمرو بن الحارث بن عمرو بن عديّ بن حجر بن الحارث. و حجر، كما في «اللسان» مادة حجر، هو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر، و كلاهما من ملوك غسان.

[4]في «شرح ديوان حسان» : جبل الثلج بدمشق، و أيلة ما بين الحجاز و الشام.

[5]الإقساط: العدل.

[6]الإعصار: الزوبعة. و في «ديوانه» : «إعصام» و فسره بالاستمساك، و القر: الاستقرار. و في م، ء، ط: «بعد ما صابت بقر» . و صابت من الصوب و هو النزول. أي نزل الأمر في قراره فلا يستطاع له تحويل. و هو مثل يضرب للشدّة إذا نزلت بقوم.

[7]المصاليت: جمع مصلات و هو الشجاع.

[8]الفطر: جمع فطير، و الفطير من السيوف: المتشلم.

[9]تأذن: تستمع.

[10]الفقر: جمع فقير و هو مخرج الماء من فم القناة.

[11]الكبر بضم فسكون أو كسر فسكون: الشرف، و قد حركت الباء هنا لضرورة الشعر، إذ للشاعر أن يحرك الساكن فيما قبل القافية بحركة ما قبله.

[12]يعرف: يقر و يعترف.

[13]النكس: الضعيف الدني ء: و الميل: جمع أميل و هو الذي به ميل خلقة، و عسر جمع أعسر و هو الذي يعمل بشماله.

15

سألته من هو و نسبته فانتسب لها، فقالت: فمن أخوالك؟فأخبرها، فبصقت عن شمالها و أعرضت عنه؛ فحدّد النظر إليها و عجب من فعلها و جعل ينظر إليها، فبصر بامرأته و هي تضحك فعرفها و علم أن الأمر من قبلها أتى، فقال في ذلك: قالت له يوما تخاطبه # ريّا الروادف[1]غادة الصّلب

أما المروءة و الوسامة أو # حشم[2]الرجال فقد بدا، حسبي

فوددت أنك لو تخبّرنا # من والدك و منصب[3]الشّعب[4]

فضحكت ثم رفعت متّصلا[5] # صوتي كرفع[6]المنطق الشّغب

/جدّي أبو ليلى و والده # عمرو و أخوالي بنو كعب

و أنا من القوم الذين إذا # أزم[7]الشتاء بحلقة الجدب

أعطى ذوو الأموال معسرهم # و الضاربين بموطن الرّعب

قال مصعب: و أبو ليلى الذي عناه حسّان: حرام بن عمرو بن زيد مناة.

و مما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم:

صوت

حوراء ممكورة[8]منعّمة # كأنما شفّ وجهها نزف[9]

تنام عن كبر شأنها فإذا # قامت رويدا تكاد تنقصف

أوحش من بعد خلّة سرف # فالمنحنى فالعقيق فالجرف[10]

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث. و الغناء لقفا النّجّار، و لحنه المختار ثاني ثقيل، هكذا ذكر [1]في «ديوانه» : نفج الحقيبة، و الحقيبة: الردف.

[2]كذا في أغلب النسخ، و الحشم كما في «اللسان» : الاستحياء. و قد كتب مصححه عليه أنه هكذا بدون ضبط و ذكر أنه مضبوط بالتحريك في نسخة غير موثوق بها من «التهذيب» . و في ط، حـ، ء: «جسم الرجال» . و في «ديوانه» : «رأي الرجال» .

[3]المنصب: الأصل و المحتد.

[4]قال صاحب «الكشاف» : الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب و هي الشعب و القبيلة و العمارة و البطن و الفخذ

و الفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، و القبيلة تجمع العمائر، و العمارة تجمع البطون، و البطن يجمع الأفخاذ، و الفخذ تجمع الفصائل.

[5]متصلا: منتسبا، من قولهم: اتصل إلى بني فلان: انتمى و انتسب.

[6]كذا في هامش ط. و في «ديوانه» ، حـ: «أوان المنطق الشغب» . و في سائر النسخ: «و رفع المنطق الشغب» .

[7]أزم: اشتدّ.

[8]الممكورة: المدمجة الخلق.

[9]النزف بضم فسكون و حرك هنا للضرورة: خروج الدم. و في «شرح ديوان قيس بن الخطيم» : «قال العدوي: أراد أن في لونها مع البياض صفرة، و ذلك أحسن» .

[10]سرف: موضع على ستة أميال من مكة، و هو مصروف و بعضهم يمنع صرفه على أنه اسم للبقعة. و المنحنى و العقيق و الجرف: أسماء مواضع.

يحيى بن عليّ في الاختيار الواثقيّ. و هو في كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، و لعلّه غير هذا اللحن المختار.

الحرب بين مالك بن العجلان و بني عمر بن عوف و سبب ذلك:

و هذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حرب كانت بينهم و بين بني جحجبى و بني خطمة، و لم يشهدها قيس و لا كانت في عصره، و إنما أجاب عن ذكرها شاعرا منهم يقال له: درهم بن يزيد. قال أبو المنهال عتيبة[1]بن المنهال: بعث رجل من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان إلى يثرب بفرس و حلّة مع رجل من غطفان و قال: ادفعهما إلى أعز أهل يثرب-قال و قيل: إن الباعث بهما عبد ياليل[2]بن عمرو الثّقفيّ. قال و قيل: بل الباعث بهما علقمة بن علاثة-فجاء الرسول بهما حتى/ورد سوق بني قينقاع فقال ما أمر به، فوثب إليه رجل من غطفان كان جارا لمالك بن العجلان الخزرجيّ يقال له كعب الثّعلبيّ، فقال: مالك بن العجلان أعزّ أهل يثرب؛ و قام رجل آخر فقال: بل أحيحة بن الجلاح أعزّ أهل يثرب، و كثر الكلام؛ فقبل الرسول الغطفانيّ قول الثعلبيّ الذي كان جارا لمالك بن العجلان و دفعهما إلى مالك؛ فقال كعب الثعلبيّ: أ لم أقل لكم: إن حليفي أعزّكم و أفضلكم! فغضب رجل من بني عمرو بن عوف يقال له سمير فرصد الثعلبيّ حتى قتله، فأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم منّا قتيلا فأرسلوا إلينا بقاتله؛ فلما جاءهم رسول مالك تراموا به: فقالت بنو زيد: إنما قتلته بنو جحجبى، و قالت بنو جحجبى: إنما قتلته بنو زيد؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قتل فيها صاحبكم ناس كثير، و لا يدرى أيّهم قتله؛ و أمر مالك أهل تلك السوق أن يتفرّقوا، فلم يبق فيها غير سمير و كعب، فأرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك و قال: إنما قتله سمير، فأرسلوا به إليّ أقتله؛ فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سميرا بغير بيّنة؛ و كثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه سميرا و يأبون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن ينشبوا بينهم و بين مالك حربا، فأرسلوا إليه يعرضون عليه الدّية فقبلها؛ فأرسلوا إليه: إن صاحبكم حليف و ليس لكم فيه إلا نصف الدية، فغضب مالك و أبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميرا؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلاّ دية الحليف و هي نصف الدية، ثم دعوه أن يحكم بينهم/و بينه عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج و هو جدّ عبد اللّه بن رواحة ففعل؛ فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له في

حليفه إلاّ دية الحليف، و أبى مالك أن يرضى بذلك و آذن بني عمرو بن عوف بالحرب، و استنصر قبائل الخزرج، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضبا حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خذلان بني الحارث بن الخزرج له و حدب بني عمرو بن عوف على سمير، و يحرّض بني النجّار على نصرته: إن سميرا أرى عشيرته # قد حدبوا دونه و قد أنفوا

إن يكن الظنّ صادقا ببني النّ # جّار لا يطعموا الذي علفوا

لا يسلمونا لمعشر أبدا # ما دام منّا ببطنها شرف[3]

[1]كذا في ب، س، ط. و في أ، م: «عيينة» . و في ء: «عتبة» .

[2]عبد ياليل: رجل كان في الجاهلية، و ياليل: صنم أضيف إليه كعبد يغوث و عبد مناة و عبد ودّ و غيرها.

[3]الشرف: الشريف، يقال هو شرف قومه و كرمهم أي شريفهم و كريمهم.

لكن مواليّ قد بدا لهم # رأي سوى ما لديّ أو ضعفوا

[يقال: علفوا الضيم إذا أقرّوا به، أي ظنّي أنهم لا يقبلون الضيم][1].

صوت

بين بني جحجبى و بين بني # زيد فأنّى لجاري التّلف[2]

يمشون في البيض و الدروع كما # تمشي جمال مصاعب قطف[3]

كما تمشّى الأسود في رهج[4]الـ # موت إليه و كلّهم لهف

/غنّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل عن إسحاق، و ذكر الهشاميّ أن فيه لحنا من/الثقيل الأوّل للغريض: و قال درهم بن يزيد[5]بن ضبيعة أخو سمير في ذلك:

يا قوم لا تقتلوا سميرا فإ # نّ القتل فيه البوار و الأسف

إن تقتلوه ترنّ[6]نسوتكم # على كريم و يفزع السّلف

إني لعمر الذي يحجّ له النـ # اس و من دون بيته سرف

يمين برّ باللّه مجتهد # يحلف إن كان ينفع الحلف

لا نرفع العبد فوق سنّته # ما دام منّا ببطنها شرف

إنك لاق غدا غواة بني # عمّي فانظر ما أنت مزدهف[7]

فأبد سيماك يعرفوك كما # يبدون سيماهم فتعترف

معنى قوله «فأبد سيماك» : أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغيّر لباسه و يتنكّر لئلا يعرف فيقصد.

و قال درهم بن يزيد في ذلك:

يا مال لا تبغين ظلامتنا # يا مال إنّا معاشر أنف

يا مال و الحقّ إن قنعت به # فيه و فينا لأمرنا نصف

إنّ بجيرا عبد فخذ ثمنا # فالحقّ يوفى به و يعترف

ثم اعلمن إن أردت ضيم بني # زيد فإنّي و من له الحلف

[1]هذه الزيادة في أ، م، ط: و ساقطة من باقي النسخ.

[2]كذا في أ. و في م، ط، و هامش أ: «فأنى لجارك التلف» . و في سائر النسخ: «فأنى تخاذل السلف» .

[3]البيض: جمع بيضة و هي ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية في الحرب، و المصاعب: جمع مصعب و هو الفحل الذي لم يركب و لم يمسه حبل حتى صار صعبا. و القطف: السريعة الخطو.

[4]الرهج: الغبار.

[5]كذا تقدّم هذا الاسم في ص 18 من هذا الجزء و سيذكر أخوه سمير باسم سمير بن يزيد في ص 40 من هذا الجزء. و في ء و هامش ط: «دلهم بن يزيد» . و في باقي النسخ: «درهم بن زيد» .

[6]ترن نسوتكم: يرفعن أصواتهن بالبكاء.

[7]مزدهف: مقتحم، أي انظر ما أنت مقتحمه و مقدم عليه من الشر.

لأصبحن داركم بذي لجب # جون له من أمامه عزف[1]

البيض حصن لهم إذا فزعوا # و سابغات كأنها النّطف[2]

و البيض قد ثلّمت مضاربها # بها نفوس الكماة تختطف

كأنها في الأكفّ إذ لمعت # وميض برق يبدو و ينكسف[3]

و قال قيس بن الخطيم الظّفريّ أحد بني النّبيت في ذلك، و لم يدركه و إنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، و من هذه القصيدة الصوت المذكور: ردّ الخليط الجمال فانصرفوا # ما ذا عليهم لو أنهم وقفوا

لو وقفوا ساعة نسائلهم # ريث يضحّي جماله السّلف[4]

فيهم لعوب العشاء آنسة الـ # دّل عروب يسوؤها الخلف[5]

بين شكول النساء خلقتها # قصد فلا جبلة و لا قضف

تنام عن كبر شأنها فإذا # قامت رويدا تكاد تنغرف[6]

تغترق الطرف[7]و هي لاهية # كأنما شفّ وجهها نزف

/حوراء[8]جيداء يستضاء بها # كأنها خوط بانة قصف[9]

قضى لها اللّه حين صوّرها الـ # خالق أن لا يكنّها سدف[10]

خود يغثّ الحديث ما صمتت[11] # و هو بفيها ذو لذة طرف[12]

تخزنه و هو مشتهى حسن # و هو إذا ما تكلمت أنف[13]

[1]كذا في ب، س، حـ. و العزف: الصوت و حرك للضرورة. و في سائر النسخ: «عرف» بالراء المهملة.

[2]النطف: (بالتحريك أو بضم الأول و فتح الثاني) : جمع نطفة (بالتحريك أو الضم) و هي اللؤلؤة الصافية اللون أو قطرة الماء.

و كلتاهما تشبه بها الدروع لصفائها.

[3]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «و ينكشف» .

[4]الريث: مقدار المهلة من الزمان. و يضحي من الضحاء و هو أن يرعى الإبل ضحى، و السلف: القوم الذين يتقدّمون الظعن ينفضون الطرق.

[5]لعوب العشاء: تسمر مع السمار و تلهو. و العروب: الحسناء المتحببة إلى زوجها، و قيل: الضحاكة.

[6]تنغرف: تنقصف من دقة خصرها، و في رواية مرت في ص 18 «تنقصف» .

[7]يريد: من نظر إليها استغرقت طرفه و بصره و شغلته عن النظر إلى غيرها و هي لاهية غير محتفلة.

[8]الحوراء: ذات الحور، و هو سعة العين، أو شدّة سواد الحدقة مع شدّة بياضها. و الجيداء: الطويلة الجيد، و الخوط: الغصن.

[9]كذا في أغلب النسخ. و معناه الخوار الناعم المتثنى. و في ب، س، حـ: «قضف» بالضاد المعجمة.

[10]كذا في أغلب النسخ، و السدف: الظلمة، و المراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة. و في ء: «شدف» و هي بمعنى السدف. و في ب، س: «صدف» .

[11]هذه رواية أبي عمرو كما في «شرح ديوانه» . و رواية «ديوانه» : و لا يغث الحديث ما نطقت

و الخود: الشابة الناعمة ما لم تصر نصفا.

[12]الطرف: المستطرف المحبوب.

[13]الأنف: المستأنف الجديد.

و هي طويلة يقول فيها:

/

أبلغ بني جحجبى و إخوتهم # زيدا بأنّا وراءهم أنف[1]

إنا و إن قلّ نصرنا لهم # أكبادنا من ورائهم تجف

لمّا بدت نحونا جباههم # حنّت إلينا الأرحام و الصّحف[2]

نفلي بحدّ الصّفيح هامهم # و فلينا هامهم بها جنف[3]

يتبع آثارها إذا اختلجت # سخن عبيط عروقه تكف[4]

إنّ بني عمّنا طغوا و بغوا # و لجّ منهم في قومهم سرف

/فردّ عليه حسّان بن ثابت و لم يدرك ذلك:

ما بال عينيك دمعها يكف[5] # من ذكر خود شطّت بها قذف[6]

بانت بها غربة تؤمّ بها # أرضا سوانا و الشكل مختلف

ما كنت أدري بوشك بينهم # حتى رأيت الحدوج تنقذف

دع ذا وعدّ القريض في نفر # يرجون مدحي و مدحي الشرف

إن تدع قومي للمجد تلفهم # أهل فعال يبدو إذا وصفوا

إن سميرا عبد طغى سفها # ساعده أعبد لهم نطف[7]

قال: ثم أرسل مالك بن العجلان إلى بني عمرو بن عوف يؤذنهم بالحرب، و يعدهم يوما يلتقون فيه، و أمر قومه فتهيّئوا للحرب، و تحاشد[8]الحيّان و جمع بعضهم لبعض. و كانت يهود قد حالفت قبائل الأوس و الخزرج، إلاّ بني قريظة و بني النّضير فإنهم لم يحالفوا أحدا منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت إليهم الأوس و الخزرج، كلّ يدعوهم إلى نفسه، فأجابوا الأوس و حالفوهم، و التي حالفت قريظة و النّضير من الأوس أوس اللّه و هي خطمة و واقف و أميّة و وائل، فهذه قبائل أوس اللّه. ثم زحف مالك بمن معه من الخزرج، و زحفت الأوس بمن معها من [1]أنف: ذوو أنفة ندفع الضيم عنهم و ننصرهم. و رواية «الديوان» : أبلغ بني جحجبى و قومهم # خطمة أنا وراءهم أنف

[2]الصحف: العهود.

[3]يقال: فلاه بالسيف إذا علاه. و الصفيح: جمع صفيحة و هي السيف العريض. و الجنف: انحراف و ميل عما توجبه القربى و الرحم.

و في حـ و هامش ط «و الديوان» : «عنف» بدل «جنف» و قال في «شرحه» : «يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا و بنو عمنا» .

[4]اختلجت: انتزعت. و سخن عبيط: دم طري ساخن.

[5]في «ديوانه» :

ما بال عيني دموعها تكف

[6]قذف: بعيدة، يقال: نوى قذف و نية قذف: أي بعيدة تقذف بمنتويها.

[7]النطف بالتحريك: القرط، و غلام منطف و وصيفة منطفة بتشديد الطاء و فتحها أي مقرطة، قال الأعشى: يسعى بها ذو زجاجات له نطف # مقلص أسفل السربال معتمل

[8]في أ، م، ء، ط: «و تحاشد الحيان بعضهم لبعض» .

حلفائها من قريظة و النضير، فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالم[1]و قباء، و كان أوّل يوم التقوا فيه، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انصرفوا و هم منتصفون جميعا، ثم التقوا مرة أخرى عند/أطم بني قينقاع، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، و كان الظّفر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قيس بن الأسلت في ذلك: لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا # عند اللقاء و ما همّوا[2]بتكذيب

ألا فدى لهم أمّي و ما ولدت # غداة يمشون إرقال المصاعيب

بكلّ سلهبة[3]كالأيم ماضية # و كلّ أبيض ماضي الحدّ مخشوب

-أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوبا؛ فشبهها بالحية في انسلالها-قال: فلبث الأوس و الخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سمير يتعاودون القتال في تلك السنين، و كانت لهم فيها أيام و مواطن لم تحفظ، فلما رأت الأوس طول الشرّ و أن مالكا لا ينزع[4]، قال لهم سويد بن صامت الأوسيّ-و كان يقال له الكامل في الجاهلية، و كان الرجل عند العرب[5]إذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا سمّوه الكامل، و كان /سويد أحد الكملة-: يا قوم، أرضوا هذا الرجل من حليفه، و لا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضكم بعضا و يطمع فيكم غيركم، و إن حملتم على أنفسكم بعض الحمل. فأرسلت الأوس إلى مالك بن العجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه و بينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسّان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، و هو في البئر التي يقال لها سميحة[6]، فقالوا: إنا قد حكّمناك بيننا؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك؛ قالوا: و لم؟قال: أخاف أن تردّوا حكمي/كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس؛ قالوا: فإنا لا نردّ حكمك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تعطوني موثقا و عهدا لترضون بحكمي و ما قضيت به و لتسلمنّ له؛ فأعطوه على ذلك عهودهم و مواثيقهم، فحكم بأن يودى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنّة فيهم بعده على ما كانت عليه: الصريح[7]على ديته و الحليف على ديته، و أن تعدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم[ثم يكون بعض ببعض][8]ثم يعطوا الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين، فرضي بذلك مالك و سلّمت الأوس و تفرّقوا على أنّ على بني النّجّار نصف دية جار مالك معونة لإخوتهم، و على بني عمرو بن عوف نصفها؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي كان عليهم، و رأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب، و ودي جاره دية الصريح.

و يقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت.

[1]في أكثر النسخ «بني سالم» و لعلها محرفة عن بئر سالم التي أثبتناها في الأصل و في ط، ء: «سالم» .

[2]في أ، م: «و لا هموا» .

[3]السلهبة من الخيل: الطويلة على وجه الأرض.

[4]ينزع: يكف و ينتهي.

[5]كذا في أ، م، ط. و في سائر النسخ: «و كان الرجل في الجاهلية» .

[6]هي بئر بالمدينة و قيل بناحية قديد، قال السكري: يروي سميحة (بالتصغير) و سميحة (بفتح السين و كسر الميم) و مسيحة.

[7]كذا في أغلب الأصول. و في ب، س، حـ: «في الصريح... » بزيادة «في» .

[8]هذه الجملة ساقطة من ب، س، حـ.

18-ذكر طويس و أخباره[1]

اسمه و كنيته:

طويس لقب غلب عليه، و اسمه عيسى بن عبد اللّه، و كنيته أبو عبد المنعم و غيّرها المخنّثون فجعلوها أبا عبد النّعيم، و هو مولى بني مخزوم. و قد حدّثني جحظة عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد: قال سعد بن أبي وقّاص: كني طويس أبا عبد المنعم.

أوّل من غنى بالعربية في المدينة و ألقى الخنث بها:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المسيّبي[2]و محمد بن سلاّم الجمحيّ، و عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد؛ و عن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه، و عن ابن الكلبيّ عن أبيه و عن أبي مسكين.

قالوا: أوّل من غنّى بالعربيّ بالمدينة طويس، و هو أوّل من ألقى الخنث بها، و كان طويلا أحول يكنى أبا عبد المنعم، مولى بني مخزوم، و كان لا يضرب بالعود. إنما كان ينقر بالدفّ، و كان ظريفا عالما بأمر المدينة و أنساب أهلها، و كان يتّقى للسانه.

شؤمه:

قالوا[3]: و سئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و فطم يوم مات أبو بكر، و ختن يوم قتل عمر، و زوّج يوم قتل عثمان، و ولد له يوم قتل عليّ رضوان اللّه عليهم أجمعين. قال و قيل: إنه ولد له يوم مات الحسن بن عليّ/عليهما السلام. قال: و كانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنّميمة. قالوا: و أوّل غناء غنّاه و هزج به[4]:

صوت

كيف يأتي من بعيد # و هو يخفيه القريب

نازح بالشأم عنّا # و هو مكسال هيوب

قد براني الحبّ حتى # كدت من وجدي أذوب

[1]تكررت ترجمة طويس في كتاب «الأغاني» ، فقد ترجم له المؤلف هنا و أعاد ترجمته في الجزء الرابع. و لم نشأ أن نضم الترجمتين في باب واحد لأنا وجدنا النسخ المخطوطة في دار الكتب كالنسخ المطبوعة. و يغلب على ظننا أن ذلك من صنع أبي الفرج نفسه، و لعل ذلك راجع إلى أنه سها عن هذه الترجمة فترجم له الترجمة الثانية. و واجب الأمانة في النقل و في مراعاة ترتيب الكتاب أن نترك الترجمتين كما هما كل على حدة كما وضعهما مؤلفهما أو كما وردا كذلك في نسخ «الأغاني» .

[2]كذا في أ، م و هو محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي المسيبي المدني نزيل بغداد توفي سنة 236 هـ و كان معاصرا لإسحاق الموصلي الذي توفي سنة 235 هـ. و في سائر النسخ: «الشعبي» و هو تحريف لأنه توفي سنة 103 هـ.

[3]في أكثر النسخ «قال» . و في ب، س، حـ: «قالوا» .

[4]في أ، م، ء، ط: «و هزج هزجه» . ـ

/الغناء لطويس هزج بالبنصر.

قال إسحاق: أخبرني الهيثم بن عديّ قال قال صالح بن حسّان الأنصاريّ أنبأني أبي قال: اجتمع يوما جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويسا، فقالوا: كان و كان؛ فقال رجل منا: أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تسرّون به علما و ظرفا و حسن غناء و جودة نقر بالدفّ، و يضحك كلّ ثكلى حرّى؛ فقال بعض القوم: و اللّه إنه على ذلك كان مشئوما؛ و ذكر خبر ميلاده كما قال الواقدي، إلا أنه قال: ولد يوم مات نبيّنا صلّى اللّه عليه و سلّم، و فطم يوم مات صدّيقنا، و ختن يوم قتل فاروقنا، و زوّج يوم قتل نورنا، و ولد له يوم قتل أخو نبينا[1]؛ و كان مع هذا مخنّثا يكيدنا و يطلب عثراتنا؛ و كان مفرطا في طوله مضطربا في خلقه أحول. فقال رجل من جلّة أهل المجلس: لئن كان كما قلت لقد كان ممتعا فهما يحسن رعاية من حفظ له حقّ المجالسة، و رعاية حرمة الخدمة، و كان لا يحمل قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له.

كان يحب قريشا و يحبونه:

و لقد كان معظّما لمواليه بني مخزوم و من والاهم من سائر قريش، و مسالما لمن عاداهم دون التّحكيك به؛ و ما يلام من قال بعلم و تكلّم على فهم، و الظالم/الملوم، و البادئ أظلم. فقال رجل آخر: لئن كان ما قلت لقد رأيت قريشا يكتنفونه و يحدقون به و يحبّون مجالسته و ينصتون إلى حديثه و يتمنّون غناءه، و ما وضعه شيء إلا خنثه، و لو لا ذلك ما بقي رجل من قريش و الأنصار و غيرهم إلا أدناه.

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلاني قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سياط قال: كان أوّل من تغنّى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع[2]طويس، و كان مولده يوم مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و فطامه في اليوم الذي توفّي فيه أبو بكر، و ختانه في اليوم الذي قتل فيه عمر، و بناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، و ولد له يوم قتل عليّ رضوان اللّه عليهم أجمعين، و ولد و هو ذاهب العين اليمنى.

كان يلقب بالذائب و سبب ذلك:

و كان يلقّب بالذائب، و إنما لقّب بذلك لأنه غنى:

قد براني الحبّ حتى # كدت من وجدي أذوب

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال:

مروان بن الحكم و النغاشي المخنث:

كان بالمدينة مخنّث يقال له النّغاشيّ، فقيل لمروان بن الحكم: إنه لا يقرأ من كتاب اللّه شيئا، فبعث إليه يومئذ، و هو على المدينة، فاستقرأه أمّ الكتاب؛ فقال: و اللّه ما معي بناتها، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمّهنّ! [1]كان أبو بكر يلقب بالصديق، و عمر بالفاروق، و عثمان بذي النورين، و يشير بقوله: «أخو نبينا» إلى عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنهم.

[2]الإيقاع: بناء ألحان الغناء على موقعها و ميزانها.

فقال: أ تهزأ لا أمّ لك!فأمر به فقتل في موضع يقال له بطحان[1]، و قال: من جاءني فمخنّث فله عشرة دنانير.

طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات:

فأتي طويس و هو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة، و هو يغنّي بشعر حسّان بن ثابت: /

لقد هاج نفسك أشجانها # و عاودها اليوم أديانها

تذكّرت هندا و ما ذكرها # و قد قطّعت منك أقرانها

وقفت عليها فساءلتها # و قد ظعن الحيّ ما شأنها

فصدّت و جاوب من دونها # بما أوجع القلب أعوانها

/فأخبر بمقالة مروان فيهم؛ فقال: أ ما فضّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيّ و فيهم أمرا واحدا!ثم خرج حتى نزل السّويداء-على ليلتين من المدينة في طريق الشأم-فلم يزل بها عمره، و عمّر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك.

هيت المخنث و بادية بنت غيلان:

قال إسحاق و أخبرني ابن الكلبيّ قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه و عوانة قالا: قال هيت[2]المخنّث لعبد اللّه بن أبي أميّة: إن فتح اللّه عليكم الطائف فسل النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتّب، فإنها هيفاء شموع[3]نجلاء، إن تكلّمت تغنّت، و إن قامت تثنّت، تقبل بأربع و تدبر بثمان[4]، مع ثغر كأنه الأقحوان، و بين رجليها كالإناء المكفوء[5]، كما قال قيس بن الخطيم: تغترق الطرف و هي لاهية # كأنما شفّ وجهها نزف

بين شكول النساء خلقتها # قصد فلا جبلة و لا قضف

/فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «لقد غلغلت النظر يا عدوّ اللّه» ، ثم جلاه عن المدينة إلى الحمى[6]. قال هشام: و أوّل ما اتّخذت النّعوش[7]من أجلها. قال: فلما فتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بريهة. فلم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فلما ولي أبو بكر رضي اللّه عنه كلّم فيه فأبى أن يردّه؛ فلما ولي عمر رضي اللّه عنه كلّم فيه فأبى أن يردّه و قال: إن رأيته لأضربنّ عنقه؛ فلما ولي عثمان رضي اللّه عنه كلّم فيه فأبى أن [1]بطحان-بفتح أوله و كسر ثانيه كما ضبطه أهل اللغة-: واد بالمدينة و هو أحد أوديتها

الثلاثة: العقيق و بطحان و قناة. و المحدّثون ينطقونه بضم أوله و سكون ثانيه.

[2]كذا في ء، ط، س. و في ب: «هنب» و قد رواه أصحاب الحديث هكذا: «هيت» و بعضهم يقول: إن هذا تصحيف من الرواة و صوابه «هنب» بالنون و الباء. و الأزهري يرجح أن يكون «هيت» صوابا لأنه رواه كذلك الشافعي و غيره من كبار الأئمة (انظر «القاموس» و «شرحه» و «اللسان» في مادتي هنب و هيت) .

[3]الشموع: اللعوب الضحوك.

[4]يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع و إذا أدبرت ثمان كما فسره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ج 1 ص 284 في باب صفات النساء.

[5]في ب، س: «و بين رجليها المكفأ كالإناء المكفوء» . و كلمة «المكفأ» هنا مقحمة. مستغنى عنها في الكلام.

[6]في ط، ء: «الجماء» و الجماء: جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق.

[7]كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته، و هو جمع نعش و هو شبه المجفة يحمل عليها الملك إذا مرض. و في جميع النسخ: «النقوش» و لم يتبين لها معنى في هذا المقام.

يردّه؛ فقيل له: قد كبر و ضعف و احتاج؛ فأذن له أن يدخل كلّ جمعة فيسأل و يرجع إلى مكانه. و كان هيت مولى لعبد اللّه بن أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّ، و كان طويس له؛ فمن ثمّ قيل[1]الخنث.

و جلس يوما فغنّى في مجلس فيه ولد لعبد اللّه بن أبي أمية: تغترق الطرف و هي لاهية

إلى آخر البيتين؛ فأشير إلى طويس أن اسكت؛ فقال: و اللّه ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة و إنما هذا مثل ضربه هيت في أمّ بريهة؛ ثم التفت إلى ابن عبد اللّه فقال: يا ابن الطاهر، أوجدت عليّ في نفسك؟أقسم باللّه قسما حقا لا أغنّي بهذا الشعر أبدا.

ضافه عبد اللّه بن جعفر فأكرمه و غناه:

قال إسحاق و حدّثنا أبو الحسن الباهليّ الراوية عن بعض أهل المدينة، و حدّثنا الهيثم بن عديّ و المدائنيّ، قالوا: /كان عبد اللّه بن جعفر معه إخوان له في عشيّة من عشايا الربيع، فراحت عليهم السماء بمطر جود فأسال[2] كلّ شيء؛ فقال عبد اللّه: هل لكم في العقيق؟-و هو متنزّه أهل المدينة في أيام الرّبيع و المطر-فركبوا دوابّهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه و هو يرمي بالزّبد مثل مدّ الفرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد اللّه لأصحابه ليس معنا جنّة نستنجنّ بها و هذه سماء خليقة أن تبلّ ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس فإنه قريب منا فنستكنّ فيه و يحدّثنا و يضحكنا؟ و طويس في النّظّارة يسمع كلام عبد اللّه بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت: جعلت فداءك!و ما تريد من طويس عليه غضب اللّه: مخنّث شائن لمن عرفه؛ فقال له عبد اللّه: لا تقل ذلك، فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس؛ فلما استوفى طويس كلامهم تعجّل إلى منزله فقال لامرأته: ويحك!قد جاءنا عبد اللّه بن جعفر سيد الناس، فما/عندك؟قالت: نذبح هذه العناق[3]، و كانت عندها عنيقه قد ربّتها باللبن، و اختبز خبزا رقاقا؛ فبادر فذبحها و عجنت هي. ثم خرج فتلقّاه مقبلا إليه؛ فقال له طويس: بأبي أنت و أمي؛ هذا المطر، فهل لك في المنزل فتستكنّ فيه إلى أن تكفّ السماء؟ قال: إياك أريد؛ قال: فامض يا سيدي على بركة اللّه، و جاء يمشي بين يديه حتى نزلوا، فتحدّثوا حتى أدرك الطعام، فقال: بأبي أنت و أمي، تكرمني إذ دخلت منزلي بأن تتعشّى عندي؛ قال: هات ما عندك؛ فجاءه بعناق سمينة و رقاق، فأكل و أكل القوم حتى تملّئوا[4]، فأعجبه طيب طعامه، فلما غسلوا/ أيديهم قال: بأبي أنت و أمي، أتمشّى معك و أغنّيك؟قال: افعل يا طويس؛

فأخذ ملحفة فأتزر بها و أرخى لها ذنبين، ثم أخذ المربّع[5]فتمشّى و أنشأ يغنّي: يا خليلي نابني سهدي # لم تنم عيني و لم تكد

كيف تلحوني[6]على رجل # آنس تلتذّه كبدي

[1]كذا في ط، ء، حـ. و في سائر النسخ: «قيل الخنث» .

[2]كذا في أغلب النسخ. و في ب، س، حـ: «فانسال» و لم نجد هذه الكلمة في كتب اللغة. و لعلها محرفة عن «فانثال» بمعنى تتابع و انصب.

[3]العناق وزان سحاب: الأنثى من ولد المعز.

[4]تملئوا: امتلئوا من كثرة الأكل.

[5]المربع: آلة من آلات الطرب، يريد دفه لتربيعه كما سيأتي وصفه بذلك بعد في ص 37 من هذا الجزء.

[6]لحاه يلحوه و يلحاه (من بابي نصر و فتح) : لامه و عذله.

مثل ضوء البدر طلعته # ليس بالزّمّيلة[1]النّكد

فطرب القوم و قالوا أحسنت و اللّه يا طويس. ثم قال: يا سيدي، أ تدري لمن هذا الشعر؟قال: لا و اللّه، ما أدري لمن هو، إلا أني سمعت شعرا حسنا؛ قال: هو لفارعة[2]بنت ثابت أخت حسّان بن ثابت و هي تتعشّق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ و تقول فيه هذا الشعر؛ فنكّس القوم رءوسهم، و ضرب عبد الرحمن برأسه على صدره[3]، فلو شقّت الأرض له لدخل فيها[4].

عرّض بسعيد بن عبد الرحمن في شعر غناه فأغضبه:

قال و حدّثني ابن الكلبيّ و المدائنيّ عن جعفر بن محرز قال: خرج عمر بن عبد العزيز، و هو على المدينة، إلى السّويداء و خرج الناس معه، و قد أخذت المنازل، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأب اللّيثيّ و سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبي أنتما و أمّي!عرّجا إلى منزلي؛ فقال يزيد لسعيد: مل بنا مع أبي عبد النّعيم[5]؛ فقال سعيد: أين تذهب/مع هذا المخنّث!فقال يزيد: إنما هو منزل ساعة فمالا، و احتمل طويس الكلام على سعيد[6]، فأتيا منزله فإذا هو قد نضحه و نصّعه[7]، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء[8]؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتنا يا أبا عبد النّعيم!فتناول خريطة[9] فاستخرج منها دفّا ثم نقره و قال: يا خليلي نابني سهدي # لم تنم عيني و لم تكد

فشرابي ما أسيغ و ما # أشتكي ما بي إلى أحد

كيف تلحوني على رجل # آنس تلتذّه كبدي

مثل ضوء البدر صورته # ليس بالزّمّيلة النّكد

من بني آل المغيرة لا # خامل نكس و لا جحد[10]

نظرت يوما فلا نظرت # بعده عيني إلى أحد

ثم ضرب بالدفّ الأرض؛ فقال سعيد: ما رأيت[كاليوم][11]قطّ شعرا أجود و لا غناء أحسن منه؛ فقال له [1]الزميلة: الرذل الجبان الضعيف، يزمل في بيته خوفا و جبنا.

[2]كذا في ء: و هي محرفة في سائر النسخ.

[3]ضرب برأسه على صدره: أطرق استحياء و خجلا، و هو يريد بعبد الرحمن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.

[4]في ب، س، حـ: «فلو شقت الأرض لدخل فيها خالدا» .

[5]في ب، س، حـ: «مل بنا المنزل مع... » .

[6]أي حفظه له و اضطغن عليه من أجله.

[7]يريد أنه رشه بالماء و نظفه.

[8]لم نعثر على معنى خاص لهذه الكلمة. و أقرب الكلمات تحريفا لها هي: «فاكهة الشتاء» و هي النار و لكنها غير مناسبة في هذا المقام.

[9]الخريطة: وعاء من أدم.

[10]النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. و الجحد: القليل الخير.

[11]هذه الكلمة ساقطة من ب، س، حـ.

طويس: يا ابن الحسام، أ تدري من يقوله؟قال: لا؛ قال: قالته عمّتك خولة بنت ثابت تشبّب بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ؛ فخرج سعيد و هو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ[1]مثل/ما استقبلني به هذا المخنّث!و اللّه لا يفلتني!فقال يزيد: دع هذا و أمته و لا ترفع به رأسا. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحرميّ بن أبي العلاء عن الزّبير بن بكّار، لابن زهير المخنّث.

مدح ابن سريج غناءه:

قال إسحاق و حدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش، و ابن الكلبيّ عن أبي مسكين، قالا: قدم ابن سريج المدينة فغنّاهم، فاستظرف الناس غناءه و آثروه على كلّ من غنّى؛ و طلع عليهم طويس فسمعهم و هم يقولون ذلك[2]، فاستخرج دفّا من حضنه ثم نقر به و غنّاهم بشعر عمارة بن الوليد المخزوميّ في خولة بنت ثابت، عارضها بقصيدتها فيه: يا خليلي نابني سهدي # لم تنم عيني و لم تكد

و هو:

تناهى فيكم وجدي[3] # و صدّع حبّكم كبدي

فقلبي مسعر حزنا # بذات الخال في الخدّ

فما لاقى أخو عشق # عشير[4]العشر من جهدي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال: و اللّه هذا أحسن الناس غناء.

أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدّثنا إسماعيل بن مجمّع قال حدّثني المدائنيّ قال: قدم ابن سريج المدينة فجلس يوما في جماعة و هم يقولون: أنت و اللّه أحسن الناس غناء، إذ مرّ بهم طويس فسمعهم و ما يقولون: فاستلّ دفّه من حضنه و نقره و تغنّى: إن المجنّبة[5]التي # مرّت بنا قبل الصّباح

في حلّة موشيّة # مكيّة غرثى الوشاح[6]

زين لمشهد فطرهم # و تزينهم يوم الأضاحي

-الشعر لابن زهير المخنّث. و الغناء لطويس هزج، أخبرنا بذلك الحرميّ بن أبي العلاء عن الزّبير بن بكّار- فقال ابن سريج: هذا و اللّه أحسن الناس غناء لا أنا.

[1]كذا في ط، أ، م. و في سائر النسخ «ما رأيت قط كاليوم و لا مثل ما استقبلني به إلخ» .

[2]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «و هم يقولون ذلك له» .

[3]في هامش ط إشارة إلى رواية أخرى و هي:

خويلة شفني وجدي

[4]العشير: جزء من العشرة كالعشر.

[5]المجنبة: وصف من جنبه إذا أبعده. و في ب، س، حـ: «المخنثة» .

[6]غرثى الوشاح: خميصة البطن دقيقة الخصر.

تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر:

قال إسحاق حدّثني المدائنيّ قال: حدّثت أنّ طويسا تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها، فخبّت[1]في المشي فلم ينقطع عنها؛ فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت: يا هؤلاء، لي صديق و لي زوج و مولى ينكحني، فسلوا هذا ما يريد منّي!فقال أضيّق ما قد وسّعوه. ثم جعل يتغنّى: أفق يا قلب عن جمل # و جمل قطّعت حبلي

أفق عنها فقد عنّيـ # ت حولا في هوى جمل

و كيف يفيق محزون # بجمل هائم العقل

براه الحبّ في جمل # فحسبي الحبّ من ثقل[2]

و حسبي فيك ما ألقى # من التّفنيد و العذل

و قد ما لامني فيها[3] # فلم أحفل بهم أهلي

حديث طويس و الرجل المسحور:

قال إسحاق و قال المدائنيّ قال مسلمة بن محارب حدّثني رجل من أصحابنا قال: خرجنا في سفرة و معنا رجل، فانتهينا إلى واد فدعونا بالغداء، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه، و هو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل، فخرجنا نسأل عن حاله/فلقينا رجلا طويلا/أحول مضطرب الخلق في زيّ الأعراب، فقال لنا: ما لكم؟فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبر الرجل؛ فقال: ما اسم صاحبكم؟فقلنا: أسيد؛ فقال: هذا واد قد أخّذت[4]سباعه فارحلوا، فلو قد جاوزتم الوادي استمرّ[5]صاحبكم و أكل. قلنا في أنفسنا: هذا من الجنّ، و دخلتنا فزعة؛ ففهم ذلك و قال: ليفرخ[6]روعكم فأنا طويس. قال له بعض من معنا من بني غفار أو من بني عبس: مرحبا بك يا أبا عبد النّعيم، ما هذا الزّيّ!فقال: دعاني بعض أودّائي من الأعراب فخرجت إليهم و أحببت أن أتخطّى الأحياء فلا ينكروني. فسألت الرجل أن يغنّينا؛ فاندفع و نقر بدفّ كان معه مربّع، فلقد تخيّل لي أنّ الوادي ينطق معه حسنا، و تعجّبنا من علمه و ما أخبرنا[به][7]من أمر صاحبنا.

و كان الذي غنّى به في شعر عروة بن الورد في سلمى امرأته الغفاريّة حيث رهنها على الشراب: سقوني الخمر ثم تكنّفوني # عداة اللّه من كذب و زور

و قالوا لست بعد فداء سلمى # بمفن ما لديك و لا فقير

[1]خبت: أسرعت.

[2]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، حـ: «فحسب القلب من ثقل» .

[3]في ط: «و قد وبّخني فيها» و بهامشها ما بسائر النسخ.

[4]كذا في ط، ء، و «نهاية الأرب» ج 4 ص 264 طبع دار الكتب، و أخذت: سحرت. و في سائر النسخ: «أخاف سباعه» .

[5]استمر: قوي و استقام أمره.

[6]ليفرخ روعكم: ليذهب رعبكم و فزعكم. (انظر الحاشية رقم 4 ص 226 من الجزء الأول) .

[7]زيادة في أ، م، حـ.

فلا و اللّه لو ملّكت أمري # و من لي بالتّدبّر في الأمور

إذا لعصيتهم في حبّ سلمى # على ما كان من حسك[1]الصدور

فيا للنّاس كيف غلبت أمري # على شيء و يكرهه ضميري

قصة عروة و امرأته سلمى الغفارية:

قال إسحاق و حدّثني الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال: لما غزا النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم بني النّضير و أجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خيبر يضربون بدفوف و يزمرون بالمزامير و على النساء المعصفرات و حليّ الذهب مظهرين لذلك تجلّدا، و مرّت في الظّعن[2]يومئذ سلمى امرأة عروة بن الورد[العبسي][3]، و كان عروة حليفا في بني عمرو بن عوف، و كانت سلمى من بني غفار، فسباها عروة من قومها و كانت ذات جمال فولدت له أولادا و كان شديد الحب لها و كان ولده يعيّرون بأمّهم و يسمّون بني الأخيذة-أي السّبية-فقالت: أ لا ترى ولدك يعيّرون؟قال: فما ذا ترين؟قالت: أرى أن تردّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأنعم[4]لها، فأرسلت إلى قومها أن ألقوه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكر و يثمل فإنه لا يسأل حينئذ شيئا إلا أعطاه؛ فلقوه و قد نزل في بني النّضير فسقوه الخمر، فلما سكر سألوه سلمى فردّها عليهم ثم أنكحوه بعد.

و يقال: إنما جاء بها إلى بني النّضير، و كان صعلوكا يغير، فسقوه الخمر، فلما انتشى منعوه و لا شيء معه إلا هي فرهنها، و لم يزل يشرب حتى غلقت[5]؛ فلما قال لها: انطلقي قالت: لا سبيل إلى ذلك، قد أغلقتني. فبهذا صارت عند بني النّضير. فقال في ذلك: سقوني الخمر ثم تكنّفوني # عداة اللّه[6]من كذب و زور

/هذه الأبيات مشهورة بأن لطويس فيها غناء، و ما وجدته في شيء من الكتب مجنّسا فتذكر طريقته.

كان يغري بين الأوس و الخزرج و يتغنى بالشعر الذي قيل في حروبهم:

قال إسحاق و حدّثني المدائنيّ قال: كان طويس ولعا بالشعر الذي قالته الأوس و الخزرج في حروبهم، و كان يريد بذلك الإغراء، فقلّ مجلس اجتمع فيه هذان/الحيّان فغنّى فيه طويس إلا وقع فيه شيء؛ فنهي عن ذلك، فقال: و اللّه لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسّدوني التراب؛ و ذلك

‴

لكثرة تولّع القوم به، فكان يبدي السرائر و يخرج الضغائن، فكان القوم يتشاءمون به.

[1]الحسك: الشوك، و يكنى به عن العداوة و الحقد.

[2]الظعن: جمع ظعينة و هي المرأة في هودجها، و قد يقال للمرأة ظعينة و إن كانت في بيتها لأنها تصير ظعينة أي مظعونا بها. و يسمى الهودج أيضا ظعينة سواء كانت فيه امرأة أم لا.

[3]زيادة في أ، م.

[4]أنعم لها: قال لها نعم.

[5]غلق الرهن في يد المرتهن: استحقه، و ذلك إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط.

[6]في أ، م، ء، ط:

ألا للّه من كذب و زور

و قد تقدم هذا البيت باتفاق الأصول كما في رواية الصلب.

و كان يستحسن غناؤه و لا يصبر عن حديثه و يستشهد على معرفته، فغنّى يوما بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس و الخزرج و هو: ردّ الخليط الجمال فانصرفوا # ما ذا عليهم لو أنهم وقفوا

لو وقفوا ساعة نسائلهم # ريث يضحّي جماله السّلف

فليت أهلي و أهل أثلة في الـ # دّار قريب من حيث نختلف

فلما بلغ إلى آخر بيت غنّى فيه طويس من هذه القصيدة و هو: أبلغ بني جحجبى و قومهم # خطمة أنّا وراءهم أنف

تكلّموا و انصرفوا و جرت بينهم دماء، و انصرف طويس من عندهم سليما لم يكلّم و لم يقل له شيء.

سبب الحرب بين الأوس و الخزرج:

قال إسحاق فحدّثني الواقديّ و أبو البختريّ[1]، قالا:

قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويل[2]. و نذكر سبب أوّل ما جرى بين الأوس و الخزرج من الحرب: /قال إسحاق قال أبو عبد اللّه اليزيدي[و أبو البختريّ][3]، و حدّثني مشايخ لنا قالوا: كانت الأوس و الخزرج أهل عزّ و منعة و هما أخوان لأب و أمّ و هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، و أمّهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو؛ و قضاعة تذكر أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. و كانت أوّل حرب جرت بينهم في مولى كان لمالك بن العجلان قتله سمير بن يزيد بن مالك، و سمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف، و كان مالك سيد الحيّين[4]في زمانه، و هو الذي ساق تبّعا إلى المدينة و قتل الفطيون[5] صاحب زهرة[6]و أذلّ اليهود للحيّين جميعا، فكان له بذلك الذكر و الشرف عليهم، و كانت دية المولى فيهم-و هو الحليف-خمسا من الإبل، و دية الصريح عشرا، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف: ابعثوا إليّ سميرا حتى أقتله بمولاي فإنّا نكره أن تنشب بيننا و بينكم حرب؛ فأرسلوا إليه: إنّا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منا

[1]في ب، س: «أبو البحتري» .

[2]في ب، س، حـ: «قال قيس بن الخطيم شعرا أثار القوم و هو طويل» .

[3]زيادة في ء، ط و هامش أ.

[4]في حـ، أ، م: «الحضر» .

[5]حدّث عنه «ياقوت» في الكلام على يثرب حيث قال في ج 4 ص 463: «و كان ملك بني إسرائيل يقال له الفيطوان. و في «كتاب ابن الكلبي» : الفطيون بكسر الفاء و الياء بعد الطاء، و كانت اليهود و الأوس و الخزرج يدينون له إلخ» . و ذكره ابن الأثير في «الكامل» ج 1 ص 492 طبع ليدن سنة 1866 م، و ضبط فيه بالقلم بكسر أوله و إسكان ثانيه، فقال ما ملخصه: إنه كان عظيم اليهود بالمدينة و كان رجل سوء فاجرا، و كانت اليهود تدين لهذا الرجل إلى أن كانت لا تزوّج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، و يقال: إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس و الخزرج، و كانت الغلبة يومئذ لليهود عليهم، حتى جاء زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية و الغيرة، فتزيا مالك بزيّ امرأة و تقلد سيفه و اندس فيمن كان معها من النساء و قتل الفطيون، ثم فر هاربا إلى الشأم حتى دخل على أبي جبيلة عبيد بن سالم بن مالك الخزرجي، و كان أثيرا عند ملوك غسان، فشكا إليه حاله، فأقسم أبو جبيلة ليذلنّ اليهود و ليجعلن الغلبة للأوس و الخزرج عليهم. و قد فعل اهـ بتصرف في العبارة.

[6]زهرة: القبيلة المعروفة التي ينتسب إليها عبد الرحمن بن عوف الزهري. ـ

عقله[1]، فإنك قد عرفت/أن الصريح لا يقتل بالمولى؛ قال: لا آخذ في مولاي دون دية الصريح، فأبوا إلا دية المولى. فلما رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج، و كان فيهم مطاعا، و أمرهم بالتهيّؤ للحرب. فلمّا بلغ الأوس استعدّوا لهم و تهيّئوا للحرب و اختاروا الموت على الذلّ؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصّفينة بين بئر سالم[2]و بين قباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالا شديدا حتى نال بعض القوم من بعض. ثم إنّ رجلا من الأوس نادى: يا مالك، ننشدك اللّه و الرّحم[3]-و كانت أمّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف-فاجعل بيننا و بينك عدلا من قومك فما حكم علينا سلّمنا لك؛ فارعوى مالك عند ذلك، و قال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به، و استوثق منهم، ثم قال: فإنّي أقضي بينكم: إن كان سمير قتل صريحا من القوم فهو به قود، و إن قبلوا العقل فلهم/دية الصريح؛ و إن كان قتل مولى فلهم دية المولى بلا نقص، و لا يعطى فوق نصف الدية، و ما أصبتم منا في هذه الحرب ففيه الدية مسلّمة إلينا، و ما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلّمة إليكم. فلما قضى بذلك عمرو بن امرئ القيس غضب مالك بن العجلان و رأى أن يردّ عليه رأيه، و قال: لا أقبل هذا القضاء؛ و أمر قومه بالقتال، فجمع القوم بعضهم لبعض ثم التقوا بالفضاء[4]عند آطام بني قينقاع، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم تداعوا إلى الصلح فحكّموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسّان بن ثابت النّجّاريّ، فقضى بينهم أن يدوا مولى مالك بن العجلان بدية الصّريح ثم تكون السّنّة فيهم بعده على مالك و عليهم كما كانت أوّل مرّة: المولى على ديته؛ و الصّريح على ديته؛ فرضي مالك و سلّم الآخرون. و كان ثابت إذ حكّموه/أراد إطفاء النائرة[5]فيما بين القوم و لم شعثهم، فأخرج خمسا من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدّي إلى مالك أكثر من خمس و أبى مالك أن يأخذ دون عشر. فلما أخرج ثابت الخمس أرضى مالكا بذلك و رضيت الأوس، و اصطلحوا بعهد و ميثاق ألا يقتل رجل في داره و لا معقله-و المعاقل: النخل-فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له و لا عقل. ثم انظروا[6]في القتلى فأيّ الفريقين فضل على صاحبه ودى له صاحبه. فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر فودتهم الأوس و اصطلحوا. ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لما كان أبوه أصلح بينهم و رضاهم بقضائه في ذلك:

و أبي في سميحة القائل الفا # صل حين التفّت عليه الخصوم

و في ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته و هي طويلة:

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا # ما ذا عليهم لو أنّهم وقفوا

أنشد عمر بن عبد العزيز شيئا من شعره و قال هو أنسب الناس:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال:

[1]عقله: ديته.

[2]كذا في ط: و في سائر النسخ: «بني سالم» انظر ص 24 من هذا الجزء.

[3]في ب، س، حـ: «ننشدك باللّه و الرحم» .

[4]كذا في ط، ء: و الفضاء كما في «ياقوت» : موضع بالمدينة، و لم يعينه. و لعله هو المراد هنا أو أنه أراد مطلق الفضاء المتسع.

[5]كذا في ط، ء. و النائرة: الفتنة القائمة المنتشرة. و في باقي الأصول: «إطفاء الثائرة» بالثاء المثلثة.

[6]كذا في جميع الأصول. و كان الأولى بالسياق أن يقول: «ثم قال انظروا إلخ» أو «ثم أن ينظروا» على أن يكون معطوفا على معمول «فقضى» المتقدّمة.

كان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الخطيم:

بين شكول النساء خلقتها # قصد فلا جبلة و لا قضف

تنام عن كبر شأنها فإذا # قامت رويدا تكاد تنقصف

تغترق الطرف و هي لاهية # كأنما شفّ وجهها نزف

ثم يقول: قائل هذا الشعر أنسب[1]الناس.

و مما في المائة المختارة من أغاني طويس صوت أصوات من المائة المختارة:

يا لقومي قد أرّقتني الهموم # ففؤادي مما يجنّ سقيم

أندب الحبّ في فؤادي ففيه # لو تراءى للناظرين كلوم

يجنّ: يخفى، و الجنّة من ذلك، و الجنّ أيضا مأخوذ منه. و أندب: أبقى فيه ندبا و هو أثر الجرح؛ قال ذو الرّمّة: تريك سنّة[2]وجه غير مقرفة # ملساء ليس بها خال و لا ندب

الشعر لابن قيس الرّقيّات فيما قيل. و الغناء لطويس، و لحنه المختار خفيف رمل مطلق/في مجرى الوسطى، قال إسحاق: و هو أجود لحن غنّاه طويس، و وجدته في كتاب الهشاميّ خفيف رمل بالوسطى منسوبا إلى ابن طنبورة. قال و قال ابن المكيّ: إنه لحكم، و قال عمرو بن بانة: إنه لابن عائشة أوّله هذان البيتان، و بعدهما: ما لذا الهمّ لا يريم فؤادي[3] # مثل ما يلزم الغريم الغريم

إنّ من فرّق الجماعة منّا # بعد خفض[4]و نعمة لذميم

انقضت أخبار طويس.

صوت من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

حجب الألى كنّا نسرّ بقربهم # يا ليت أنّ حجابهم لم يقدر

[1]أنسب الناس: أرقهم غزلا و نسيبا بالنساء.

[2]سنة الوجه: صورته. و غير مقرفة: غير كريهة. و المراد وصف صورة وجهها بالحسن. و قد أورد صاحب «اللسان» هذا البيت شاهدا على أن مقرفا في قولهم: «وجه مقرف» بمعنى غير حسن. و قيل: إن «مقرفة» هنا بمعنى مدانية الهجنة، يقال: أقرف الرجل إذا دنا من الهجنة، و على هذا

التفسير ذهب الصاغاني فقال: هو يقول: إنها كريمة الأصل لم يخالطها شيء من الهجنة.

[3]في أ، م، ط، ء: «لا يريم وسادي» . و لا يريم: لا يبرح.

[4]الخفض: سعة العيش و لينه. و النعمة (بالفتح) : النعيم و رغد العيش.

حجبوا و لم نقض اللّبانة منهم # و لنا إليهم صبوة لم تقصر[1]

و يحيط مئزرها بردف كامل # رابى المجسّة[2]كالكثيب الأعفر

و إذا مشت خلت الطريق لمشيها # و حلا[3]كمشي المرجحنّ[4]الموقر

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر. و الغناء لقفا النجّار، و لحنه المختار من النقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و يقال: إن فيه لحنا لابن سريج. و ذكر يحيى بن عليّ[ابن يحيى][5]في الاختيار الواثقيّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل.

صوت من المائة المختارة

أفق يا دارميّ فقد بليتا # و إنك سوف توشك أن تموتا

أراك تزيد عشقا[6]كلّ يوم # إذا ما قلت إنك قد بريتا

الشعر و الغناء جميعا لسعيد الدارميّ، و لحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

[1]لم تقصر: لم تكف و لم تنته.

[2]المجسة الموضع التي تقع عليه اليد عند الجس، فمعنى رابى المجسة: أنه عظيم سمين حيث يجس.

[3]وحلا: ذا وحل.

[4]المرجحنّ: المائل من ثقله. و الموقر: الذي يحمل حملا ثقيلا.

[5]زيادة في أ، م.

[6]في أ، م، ط، ء: «غشيا كل يوم» . و غشي عليه (مجهولا غشيا بالفتح و الضم و غشيانا) : نابه ما غشي عقله.

19-ذكر الدارميّ و خبره و نسبه

نسبه و كان من الشعراء و أرباب النوادر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال: الدارميّ من ولد سويد بن زيد الذي كان جدّه قتل أسعد بن عمرو بن هند، ثم هربوا إلى مكة فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف.

و كان الدارميّ في أيّام عمر بن عبد العزيز، و كانت له أشعار و نوادر، و كان من ظرفاء أهل مكّة، و له أصوات يسيرة. و هو الذي يقول: و لما رأيتك أوليتني الـ # قبيح و أبعدت عنّي الجميلا

تركت وصالك في جانب # و صادفت في الناس خلا بديلا

شيب بذات خمار أسود فنفقت الخمر السود و لم تبق فتاة إلا لبسته:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن/الأصمعيّ، و أخبرني عمّي قال حدّثنا فضل اليزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ، و أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرّياشيّ عن الأصمعيّ، قال و حدّثني به النّوشجانيّ عن شيخ له من البصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزّناد، و لم يقل عن ابن أبي الزناد[غيره][1]: أنّ تاجرا من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر[2]فباعها كلها و بقيت السود منها فلم تنفق[3]، و كان صديقا للدارميّ، فشكا ذاك إليه، و قد كان نسك[4]و ترك الغناء و قول الشعر؛ فقال له: لا تهتمّ بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع؛ ثم قال:

صوت

قل للمليحة في الخمار الأسود # ما ذا صنعت براهب متعبّد

قد كان شمّر للصلاة ثيابه # حتى وقفت له بباب المسجد

[1]التكلمة من ط، ء، حـ.

[2]الخمر: جمع خمار، و هو ما تغطي به المرأة رأسها.

[3]نفقت السلعة (وزان نصر) نفاقا: راجت و رغب فيها. و أنفقها و نفقها: روّجها.

[4]نسك (وزان ضرب) : تعبد و تزهد و تقشف.

و غنّى فيه، و غنّى فيه أيضا سنان الكاتب، و شاع في الناس و قالوا: قد فتك[1]الدارميّ و رجع عن نسكه؛ فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خمارا أسود حتى نفد ما كان مع العراقيّ منها؛ فلما علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه و لزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ و الغناء أيضا، و هو خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لسنان الكاتب رمل بالوسطى عن حبش. و ذكر حبش أن فيه لابن سريج هزجا بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هفّان قال: حضرت يوما مجلس بعض قوّاد الأتراك و كانت له ستارة فنصبت، فقال لها[2]: غنّي صوت الخمار الأسود المليح، فلم ندر ما أراد حتى غنّت: قل للمليحة في الخمار الأسود

ثم أمسك ساعة ثم قال لها غنّي:

إني خريت و جئت أنتقله

فضحكت ثم قالت: هذا يشبهك!فلم ندر أيضا ما أراد حتى غنّت: إنّ الخليط أجدّ منتقله

بخله و ظرفه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سلّم[3]الخزاعيّ قال حدّثني الحرمازيّ قال زعم[لي][4]ابن مودود قال: /كان الدارميّ المكيّ شاعرا ظريفا و كانت متفنّيات[5]أهل مكة لا يطيب لهن متنزّه إلاّ بالدارمي، فاجتمع جماعة منهنّ في متنزّه لهنّ، و فيهنّ صديقة له، و كلّ واحدة منهنّ قد واعدت هواها[6]، فخرجن حتى أتين الجحفة[7]و هو معهنّ؛ فقال بعضهنّ لبعض: كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ؟فإنّا إن فعلنا قطّعنا في الأرض[8]!قالت لهنّ صاحبته: أنا أكفيكنّه؛ قلن: إنا نريد ألاّ يلومنا؛ قالت: عليّ أن ينصرف حامدا، و كان أبخل الناس، فأتته فقالت: يا دارميّ، إنّا قد تفلنا[9]فاجلب لنا طيبا[10]؛ قال نعم هو ذا، آتي سوق الجحفة آتيكنّ منها بطيب؛ فأتى المكارين فاكترى حمارا فصار عليه إلى مكة و هو يقول: [1]فتك: مجن.

[2]لم يتقدم لهذا الضمير مرجع و لكنه مفهوم من سياق الكلام أنه للجارية التي أمرت بالغناء.

[3]كذا في أغلب النسخ. و في ب، س، حـ: «محمد بن أبي سلمة الخزاعي» .

[4]هذه الكلمة ساقطة من ب، س.

[5]متفتيات: وصف من تفتت الجارية إذا راهقت فخدّرت و منعت من اللعب مع الصبيان.

[6]هواها: من تهواه و تحبه.

[7]الجحفة: قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة، و هي ميقات أهل مصر و الشأم إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة.

[8]يريد أنه يمزق أعراضهن و ينشر ذلك في الأرض بين الناس.

[9]تفل كفرح: تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب.

[10]في ط، أ، م: «فاحتل لنا طيبا» .

أنّا باللّه ذي العزّ # و بالرّكن و بالصّخره

من اللائي يردن الطّيـ # ب في اليسر و في العسره[1]

و ما أقوى على هذا # و لو كنت على البصرة

فمكث النسوة ما شئن. ثم قدم من مكة فلقيته صاحبته ليلة في الطّواف، فأخرجته إلى ناحية المسجد و جعلت تعاتبه على ذهابه و يعاتبها، إلى أن قالت له: يا دارميّ، بحقّ هذه/البنيّة[2]أ تحبّني؟فقال نعم، فبربّها أ تحبّيني؟قالت نعم؛ قال: فيا لك الخير فأنت تحبّيني و أنا أحبّك، فما مدخل الدراهم بيننا!.

الدارمي و عبد الصمد بن علي:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال: كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه، فأغفى عبد الصمد فعطس الدارميّ عطسة هائلة، ففزع عبد الصمد فزعا شديدا و غضب غضبا شديدا، ثم استوى جالسا و قال: يا عاضّ كذا من أمه[3]أ تفزّعني!قال: لا و اللّه و لكن هكذا عطاسي!قال: و اللّه لأنقعنّك في دمك[4]أو تأتينّي ببيّنة على ذلك؛ قال: فخرج و معه حرسيّ[5] لا يدري أين يذهب به، فلقيه ابن الريّان[6]المكيّ فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟قال: أشهد أني رأيته مرّة عطس عطسة فسقط[7]ضرسه؛ فضحك عبد الصمد و خلّى سبيله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال: قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ: لو صلحت عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فديتك!إن لم تصلح عليّ ثيابك صلحت عليّ دنانيرك.

الدارمي مع نسوة من الأعراب:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير، و نسخت من كتاب هارون بن محمد: حدّثنا الزبير قال حدّثني يونس بن عبد اللّه الخيّاط قال: /خرج الدارميّ مع السّعاة[8]، فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم، فأتى بها في ثوبه، و أحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه و ألححن عليه و هو يردّهن؛ فعرفته صبيّة منهنّ فقالت: يا أخواتي، أ تدرين [1]في أ، م: «في اليسرة و العسرة» .

[2]البنية: الكعبة.

[3]كذا في ط. و في باقي الأصول: «يا عاض كذا و كذا من أمه» .

[4]لأنقعنك في دمك: لأريقن دمك حتى تقرّ فيه كما يقرّ الشيء الجامد في الماء و نحوه.

[5]الحرس: الأعوان. قال في «المصباح» : جعل علما على الجمع هذه الحالة المخصوصة و لا يستعمل له واحد من لفظه، و لهذا نسب إلى الجمع، و لو جعل الحرس هنا جمع حارس لقيل حارسيّ. قالوا: و لا يقال حارسيّ إلا إذا ذهب به إلى معنى الحراسة دون الجنس.

[6]ابن الريان: هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن هشام المكيّ. و في ط، ء: «أبو الزناد المكيّ» .

[7]كذا في حـ. و في سائر النسخ: «سقط» .

[8]السعاة: جمع ساع و هو العامل على الصدقات، يأخذها من الأغنياء و يردها على الفقراء.

من تسألن منذ اليوم؟هذا الدارميّ السائل. ثم أنشدت:

إذا كنت لا بدّ مستطعما # فدع عنك من كان يستطعم

فولّى الدارميّ هاربا منهنّ و هنّ يتضاحكن به.

الدارمي و الأوقص القاضي:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال أخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا مصعب الزبيريّ قال: أتى الدارميّ الأوقص القاضي بمكّة في شيء فأبطأ عليه فيه، و حاكمه إليه خصم له في حقّ، فحبسه به حتى أدّاه إليه. فبينا الأوقص يوما في المسجد الحرام يصلّي و يدعو و يقول: يا ربّ أعتق رقبتي من النار، إذ قال له الدارميّ و الناس يسمعون: أولك رقبة تعتق!لا و اللّه ما جعل اللّه، و له الحمد، لك من عتق و لا رقبة!فقال له الأوقص: ويلك!و من أنت؟قال: أنا الدارميّ، حبستني و قتلتني؛ قال: لا تقل ذلك و ائتني فإني أعوّضك؛ فأتاه ففعل ذلك به.

نادرة له مع عبد الصمد بن علي:

أخبرني الحرميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال: مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة و استأذنه في الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أدخل إليه رجل من الشّراة[1]؛ فقال لغلامه: أعط هذا مائة دينار و اضرب عنق/هذا؛ فوثب الدارميّ فقال: بأبي أنت و أمي!برّك و عقوبتك جميعا نقد!فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني!فإني لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك؛ قال: و لم ويلك؟قال: أخشى أن يغلط فيما بيننا، و الغلط في هذا لا يستقال؛ فضحك و أجابه إلى ما سأل.

نادرة له في مرضه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي قال:

أصابت الدارميّ قرحة في صدره، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده. فرآه قد نفث/من فيه نفثا أخضر، فقال له: أبشر، قد اخضرّت القرحة و عوفيت؛ فقال: هيهات!و اللّه لو نفثت كلّ زمرّدة في الدنيا ما أفلتّ منها.

صوت من المائة المختارة

يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طربا # زدت الفؤاد على علاّته وصبا

ربع تبدّل ممّن كان يسكنه # عفر الظّباء و ظلمانا به عصبا[2]

الشعر لهلال بن الأسعر المازنيّ، أخبرني بذلك وكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه. و هكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ. و من لا يعلم ينسبه إلى عمر ابن أبي ربيعة و إلى الحارث بن خالد و نصيب، و ليس [1]الشراة: الخوارج، سموا بذلك لقولهم: «إننا شرينا أنفسنا في طاعة اللّه» أي بعناها بالجنة.

[2]الظلمان (بالضم و الكسر) : جمع ظليم و هو ذكر النعام. و العصب: الجماعات.

كذلك. و الغناء في اللحن المختار لعزّور[1]الكوفيّ، و من الناس من يقول عزّون بالنون و تشديد الزاي، و هو رجل من أهل الكوفة غير مشهور و لا كثير الصنعة، و لا أعلم أنّي سمعت له بخبر و لا صنعة/غير هذا الصوت. و لحن هذا المختار ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، و هكذا نسبه في الاختيار الواثقيّ. و ذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن عائشة لحنا من الثقيل الأول بالبنصر. و في أخبار الغريض عن حمّاد أنّ له فيه ثقيلا أول. و قال الهشاميّ: فيه لعبد اللّه بن العبّاس لحن من الثقيل الثاني. و ذكر حبش أنّ فيه لحسين بن[2]محرز خفيف رمل[3]بالبنصر.

[1]كذا في أكثر النسخ. و في أ، م: «عزوز» . و في حـ: «غزون» .

[2]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س، حـ: «الحسين بن محمد بن محرز» .

[3]في أ، م: «خفيف ثقيل بالبنصر» . و في حـ: «ثقيلا بالبنصر» .

20-أخبار هلال و نسبه

نسبه و هو شاعر أموي شجاع أكول:

هو، فيما ذكر خالد بن كلثوم، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرقم بن قسيم[1]بن ناشرة بن سيّار بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، و أظنه قد أدرك الدولة العباسية، و كان رجلا شديدا عظيم الخلق أكولا معدودا من الأكلة. قال أبو عمرو: و كان هلال فارسا شجاعا شديد البأس و البطش أكثر الناس أكلا و أعظمهم في حرب غناء. هذا لفظ أبي عمرو. و قال أبو عمرو: و عمّر هلال بن أسعر عمرا طويلا و مات بعد بلايا عظام مرّت على رأسه. قال: و كان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له المغيرة بن قنبر يعوله و يفضل عليه و يحتمل ثقله و ثقل عياله فهلك، فقال هلال يرثيه:

كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه:

ألا ليت المغيرة كان حيّا # و أفنى قبله الناس الفناء

ليبك على المغيرة كلّ خيل # إذا أفنى عرائكها[2]اللّقاء

ويبك على المغيرة كلّ كلّ # فقير كان ينعشه العطاء

ويبك على المغيرة كلّ جيش # تمور[3]لدى معاركه الدّماء

فتى الفتيان فارس كلّ حرب # إذا شالت[4]و قد رفع اللّواء

/لقد وارى جديد[5]الأرض منه # خصالا عقد عصمتها الوفاء

فصبرا للنوائب إن ألمّت # إذا ما ضاق بالحدث الفضاء

هزبر تنجلي الغمرات عنه # نقيّ العرض همّته العلاء

/إذا شهد الكريهة خاض منها # بحورا لا تكدّرها الدّلاء

جسور لا يروّع عند روع[6] # و لا يثني عزيمته اتّقاء

[1]سمي بقسيم كأمير و قسيم كزبير. و قد ضبط هذا الاسم بالقلم في ط كزبير.

[2]العرائك: جمع عريكة. و أصل العريكة سنام البعير، و تقال على النفس، و على القوّة و الشدّة، و لعل هذا المعنى هو المراد في هذا البيت. و قد فسرت العريكة بمعنى الشدّة و القوّة في قول الأخطل: من اللواتي إذا لانت عريكتها # كان لها بعدها آل و مجهود

(أنظر «اللسان» مادة عرك) .

[3]تمور: تجري و تسيل.

[4]شالت الحرب: تهيأت الآن يخوض الأبطال غمارها. و هو من شالت الناقة إذا رفعت ذنبها للقاح.

[5]يريد بجديد الأرض قبره الذي جدّ منها و حفر ليدفن فيه.

[6]في ط:

حليم في مشاهده إذا ما # حبا الحلماء أطلقها المراء[1]

حميد في عشيرته فقيد[2] # يطيب عليه في الملأ الثناء

فإن تكن المنية أقصدته[3] # و حمّ[4]عليه بالتلف القضاء

فقد أودى به كرم و خير[5] # و عود بالفضائل و ابتداء

وجود لا يضمّ إليه جودا # مراهنه إذا جدّ الجراء[6]

كان عاديّ الخلق صبورا على الجوع:

و قال خالد بن كلثوم: كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، يرد مع الإبل فيأكل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها و لا يتزوّد طعاما و لا شرابا حتى يرجع يوم ورودها، لا يذوق فيما بين ذلك طعاما و لا شرابا، و كان عاديّ الخلق[7] لا توصف صفته.

حكايات عن قوّته:

قال/خالد بن كلثوم فحدّثنا عنه من أدركه: أنه كان يوما في إبل له، و ذلك عند الظّهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة و قد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نهشل و الآخر من بني فقيم[8]، كانا أشدّ تميميّين في ذلك الزمان بطشا، يقال لأحدهما الهيّاج، و قد أقبلا من البحرين و معهما أنواط[9]من تمر هجر[10]، و كان هلال بناحية الصّعاب[11]؛ فلما انتهيا إلى الإبل، و لا يعرفان هلالا بوجهه و لا يعرفان أن الإبل له، ناديا: يا راعي، أ عندك شراب تسقينا؟و هما يظنّانه عبدا لبعضهم؛ فناداهما هلال و رأسه تحت كسائه: عليكما الناقة[12]التي صفتها كذا في موضع كذا () جسور لا يوزع منه روع

يريد أنه ثابت الجنان لا يفزع.

[1]حبا: جمع حبوة و هي الثوب الذي يحتبي به، و اسم للاحتباء بالثوب أي الاشتمال به. و إطلاق الحبا يكنى به عن السفه و الطيش.

و المراء: المجادلة و الملاجة و المخاصمة.

[2]فقيد: يفتقده العافون و يطلبونه.

[3]أقصدته: أصابته.

[4]حم: قضى و قدر.

[5]الخير: (بالكسر) الشرف.

[6]مراهنه: مسابقه. و الجراء: مصدر كالمجاراة و هي المسابقة و المفاخرة.

[7]عاديّ الخلق: عملاق ضخم الجسم، نسبة إلى عاد. و العرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظم خلقها، و تزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها. قال الشاعر: كأنما ورثوا لقمان حكمته # علما كما ورثوا الأحلام من عاد

[8]في ط، أ، م: «بني تيم» .

[9]أنواط: جمع نوط، و النوط: الجلة الصغيرة فيها التمر و نحوه.

[10]هجر: مدينة و هي قاعدة البحرين، و قبل ناحية البحرين كلها هجر، و هو الصواب.

[11]الصعاب: اسم جبل بين اليمامة و البحرين، و قيل: رمال بين البصرة و اليمامة صعبة المسالك.

[12]في ب، س، حـ: «عليكما بالناقة» . و هو كما يتعدى بنفسه يتعدى بالباء. ـ

فأنيخاها[1]فإنّ عليها و طبين[2]من لبن، فاشربا منهما ما بدا لكما. قال فقال له أحدهما: ويحك!انهض يا غلام فأت بذلك اللبن!فقال لهما: إن تك لكما حاجة فستأتيانها فتجدان[3]الوطبين فتشربان؛ قال فقال أحدهما: إنك يا ابن اللّخناء لغليظ الكلام، قم فاسقنا، ثم دنا من هلال و هو على تلك الحال. و قال لهما، حيث قال له أحدهما: «إنك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام» ، أراكما و اللّه ستلقيان هوانا و صغارا؛ و سمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسّوط على عجزه و هو مضطجع، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه و رماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطة؛ فنادى صاحبه: ويحك أغثني قد قتلني! فدنا/صاحبه منه، فتناوله هلال أيضا فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى، ثم أخذ برقابهما فجعل يصكّ برءوسهما[4]بعضا ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كن هلالا و لا نبالي[5]ما صنعت؛ فقال لهما: أنا و اللّه هلال، و لا و اللّه لا تفلتان منّي حتى تعطياني عهدا و ميثاقا لا تخيسان[6] به: لتأتيانّ المربد[7]إذا قدمتما البصرة، ثم لتناديانّ بأعلى أصواتكما بما كان منّي و منكما؛ فعاهداه و أعطياه نوطا من التمر الذي معهما، و قدما البصرة فأتيا المربد فناديا بما كان منه و منهما.

و حدّث خالد عن كنيف[8]بن عبد اللّه المازنيّ قال: كنت يوما مع هلال و نحن نبغي إبلا لنا، فدفعنا إلى قوم من بكر بن وائل و قد لغبنا[9]و عطشنا، و إذا نحن بفتية شباب عند ركيّة[10]لهم/و قد وردت إبلهم، فلما رأوا هلالا استهولوا خلقه و قامته، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما: يا عبد اللّه، هل لك في الصّراع؟فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوج؛ قال: و ما هو؟قال: إلى لبن و ماء فإنّني لغب ظمآن؛ قال: ما أنت بذائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيبنّنا إلى الصّراع إذا أرحت[11]و رويت؛ فقال لهما هلال: إنني لكم ضيف، و الضيف لا يصارع [آهله[12]و]ربّ منزله، و أنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم: اعمدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم و أهيبه صولة و إلى أشدّ رجل منكم ذراعا، فإن لم أقبض على هامة البعير و على يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل و لا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني، و إن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك. قال: فعجبوا من مقالته تلك، و أومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائل قطم[13]؛ فأتاه هلال و معه نفر من [1]في ء و إحدى روايتي ط: «فاقصداها» . و في ط: «فانتحياها» .

[2]الوطب: سقاء اللبن خاصة.

[3]في ط، ء، حـ: «فتحذران» . و حدر الشيء: أنزله من علو.

[4]الجمع في رءوسهما دون التثنية لكراهة اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد، و هو في مثل ذلك أكثر استعمالا من التثنية و الإفراد، و في القرآن الكريم: **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** .

[5]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «و لا تبالي» بالتاء.

[6]لا تخيسان به: لا تغدران به و لا تنكثان.

[7]المربد: من أشهر محال البصرة، و كان يكون سوق الإبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس و به كانت مفاخرات الشعراء و مجالس الخطباء.

[8]كذا في كذا. و في سائر النسخ: «كفيف» و في «القاموس» و شرحه مادة كنف أنه سمى بكنيف كزبير. و لم نعثر على أنه سمي بكفيف.

[9]الغبنا: تعبنا و أصابنا الإعياء.

[10]الركية: البئر لأنها مركوة أي محفورة.

[11]أراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء.

[12]زيادة في ط، أ، م، ء. و الآهل: من قولهم أهل. إذا أنس به.

[13]كذا في ط و القطم: الهائج. و في سائر النسخ: «فطم» بالفاء و هو تحريف.

أولئك القوم و شيخ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضغطة جرجر الفحل[منها][1]و استخذى و رغا، و قال: ليعطني من أحببتم يده أولجها في فم هذا الفحل. قال فقال الشيخ: يا قوم تنكّبوا هذا الشيطان، فو اللّه ما سمعت فلانا[2] (يعني الفحل) [3]جرجر منذ بزل[4]قبل اليوم، فلا تعرضوا لهذا الشيطان. و جعلوا يتبعونه و ينظرون إلى خطوه و يعجبون من طول أعضائه حتى جازهم.

صارع في المدينة عبدا بأمر أميرها:

قال و حدّثنا من سمع هلالا يقول: قدمت المدينة و عليها رجل من آل مروان، فلم أزل أضع عن إبلي و عليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي و قيل لي: أجب الأمير. قال: قلت لهم: ويلكم!إبلي و أحمالي!فقيل: لا بأس على إبلك و أحمالك. قال: فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير، فسلّمت عليه ثم قلت: جعلت فداك!إبلي و أمانتي!قال فقال: نحن ضامنون لإبلك و أمانتك حتى نؤدّيها إليك. قال فقلت/عند ذلك: فما حاجة الأمير إليّ جعلني اللّه فداه؟قال فقال لي-و إلى جنبه رجل أصفر، لا[5]و اللّه ما رأيت رجلا قطّ أشدّ خلقا منه و لا أغلظ عنقا، ما أدري أطوله أكثر أم عرضه-: إن هذا العبد الذي ترى لا و اللّه ما ترك بالمدينة عربيّا[6]يصارع إلا صرعه، و بلغني عنك قوّة، فأردت أن يجري اللّه صرع هذا العبد على يديك فتدرك ما عنده من أوتار العرب. قال فقلت: جعلني اللّه فداء الأمير، إني لغب نصب جائع، فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلي و أؤدّي أمانتي و أريح يومي هذا و أجيئه غدا فليفعل. قال فقال لأعوانه: انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله و أداء أمانته و انطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به. قال: فظللت بقية يومي ذلك و بتّ ليلتي تلك بأحسن حال شبعا و راحة و صلاح أمر، فلما كان من الغد غدوت عليه و عليّ جبّة لي صوف و بتّ[7]و ليس عليّ إزار إلا أني قد شددت بعمامتي وسطي، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، و قال للأصفر: قم إليه، فقد أرى أنه أتاك اللّه بما يخزيك؛ فقال العبد: ائتزر يا أعرابيّ؛ فأخذت بتّي فائتزرت به على جبّتي؛ فقال: هيهات!هذا لا يثبت، إذا قبضت عليه جاء في يدي؛ قال فقلت: و اللّه ما لي من إزار؛ قال: فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها و لا علا جلدي مثلها، فشددت بها على حقوي[8]و خلعت الجبّة؛ قال: و جعل العبد يدور/ حولي و يريد ختلي و أنا منه وجل و لا أدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دنوة فنقد[9]جبهتي بظفرة نقدة[حتى][10]ظننت أنه قد شجّني و أوجعني، /

فغاظني ذلك، فجعلت أنظر [1]زيادة يقتضيها السياق. و جرجر: ردد صوته في حنجرته. و استخذى: خضع.

[2]كذا في جميع النسخ، و لكن الذي قاله أئمة اللغة أن فلانا و فلانة بغير أل يكنى بهما عن الآدميين، و الفلان و الفلانة بأل يكنى بهما عن غيرهم.

[3]كذا في أ، م. و في بقية الأصول: «يعني هذا الفحل» .

[4]في ط: «برك» و في سائر النسخ: «نزل» بالنون بدل الباء، و كلتاهما محرفة عن «بزل» . و بزل البعير: فطر نابه و دخل في سنته التاسعة.

[5] «لا» هذه زائدة، و العرب يزيدونها قبل القسم تمهيدا لنفي الجواب.

[6]كذا في ء، ط. و في حـ، و في حـ، ب: «عبدا» . و في س، أ، م: «عبدا عربيا» .

[7]البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر. و قيل: هو من وبر و صوف.

[8]الحقو: الخصر.

[9]كذا في ء، ط. و نقد الشيء: نقره بإصبعه. و في باقي النسخ: «فنفذ جبهتي بظفره نفذة» و نفذ الشيء الشيء: خرقه. و المقام هنا يأباه.

[10]الزيادة عن أ، م.

في خلقه بم أقبض منه، فما وجدت في خلقه شيئا أصغر من رأسه، فوضعت إبهاميّ في صدغيه[1]و أصابعي الأخر في أصل أذنيه، ثم غمزته غمزة صاح منها: قتلتني!قتلتني!فقال الأمير: اغمس رأس العبد في التراب؛ قال فقلت له: ذلك لك عليّ؛ قال: فغمست و اللّه رأسه في التراب و وقع شبيها بالمغشيّ عليه، فضحك الأمير حتى استلقى و أمر لي بجائزة[2]و كسوة و انصرفت.

قتل رجلا من بني جلان استجار بمعاذ فقبض عليه للثأر منه، ثم فر إلى اليمن و شعره في ذلك:

قال أبو الفرج: و لهلال أحاديث كثيرة من أعاجيب شدّته. و قد ذكره حاجب بن ذبيان[3]فقال لقوم من بني رباب من بني حنيفة في شيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف، فقال حاجب: و قائلة و باكية بشجو # لبئس السيف سيف بني رباب

و لو لاقى هلال بني رزام # لعجّله إلى يوم الحساب

و كان هلال بن الأسعر ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جلاّن يقال له عبيد بن جريّ[4]في شيء كان بينهما، فشجّه و خمشه[5]خماشة، فأتى هلال بني جلاّن فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقّي، فأوعدوه و زجروه[6]؛ فخرج من عندهم و هو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلاد قومه؛ فمضى/لذلك زمن طويل حتى درس ذكره؛ ثم إن عبيد بن جريّ قدم الوقبي-و هو موضع من بلاد بني مالك-فلما قدمها ذكر هلالا و ما كان بينه و بينه فتخوّفه؛ فسأل عن أعزّ أهل الماء، فقيل له: معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن ربيعة بن سيّار بن رزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائبا عن الماء، فعقد عبيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طنب بيت معاذ- و كانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يجيره و أن يطلب له بظلامته-و كان يوم فعل ذلك غائبا عن الماء، فقيل: رجل استجار بآل معاذ بن جعدة. ثم خرج عبيد بن جريّ ليستقي، فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده، و كان إنما يقدمها في الأيام، فلما نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه و بينه، و لم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئا يضربه به فلم يجده، فانتزع المحور[7]من السّانية فعلاه به ضربة على رأسه فصرع و وقيذا[8 و قيل: قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن جعدة!فلما سمع ذلك هلال تخوّف بني جعدة الرّزاميّين، و هم بنو عمه، فأتى راحلته ليركبها. قال[9]هلال: فأتتني خولة بنت

يزيد[10]بن ثابت أخي بني [1]كذا في ط، ء. و في ب، س، حـ: «فوضعت إبهامي في صدغه و أصابعي الأخر في أصل أذنه الأخرى» . و في أ، م: «في أصل أذنه» بدون الأخرى.

[2]كذا في أغلب النسخ. و في ب، س: «بجائزة وصلة و كسوة» . و في حـ: «بجائزة و صلة و كسوة و مئزرة ثم انحدرت إلخ» .

[3]كذا في ء و هامش ط، و هكذا ورد في «تاريخ ابن جرير الطبري» في حوادث سنة 10 طبع أوروبا. و في حـ: «صاحب بن ذبيان» و في باقي الأصول «حاجب بن دينار» .

[4]كذا في أكثر النسخ. و في ط، حـ: «حرى» بالحاء المهملة.

[5]الخمش: الخدش في الوجه، و قد يستعمل للخدش في سائر الجسد.

[6]كذا في أ، م، س. و في باقي النسخ: «زبروه» .

[7]المحور الحديدة التي تجمع بين الخطاف و البكرة. و السانية: الدلو العظيمة مع أدواتها.

[8]الوقيذ: الدنف الذي أشفى على الموت.

[9]كذا في أ، م، حـ. و في سائر النسخ: «فقال» و لا موقع لهذه الفاء.

[10]في ط، حـ، ء: «زيد» .

43

جعدة بن ثابت، و هي جدّة أبي السّفّاح زهيد[1]بن عبد اللّه بن مالك أمّ أبيه، فتعلّقت بثوب هلال، ثم قالت: أي عدوّ اللّه قتلت جارنا!و اللّه لا تفارقني حتى يأتيك رجالنا!قال هلال: و المحور في يدي لم أضعه؛ قال: فهممت أن أعلو به رأس خولة، ثم قلت في نفسي: عجوز لها سنّ و قرابة! قال: فضربتها برجلي ضربة رميت بها من بعيد، ثم أتيت/ناقتي فأركبها[2]ثم أضربها هاربا. و جاء معاذ بن جعدة و إخوته-و هم يومئذ تسعة إخوة-و عبد اللّه بن مالك زوج لبنت معاذ[و][3]يقال لها جبيلة، و هو مع/ذلك ابن عمتهم خولة بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه بعضهم؛ فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواعية[4]على الجلّانيّ و هو دنف لم يمت، فسألوا عن تلك الواعية فأخبروا بما كان من استجارة الجلّانيّ بمعاذ بن جعدة و ضرب هلال له من بعد ذلك؛ فركب الاخوة التسعة و عبد اللّه بن مالك عاشرهم، و كانوا أمثال الجبال في شدّة خلقهم مع نجدتهم، و ركبوا معهم بعشرة غلمة لهم أشدّ منهم خلقا لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريده من رميّته، حتى تبعوا هلالا؛ و قد نسل[5]هلال من الهرب يومه ذلك كلّه و ليلته، فلما أصبح أمنهم و ظنّ أن قد أبعد في الأرض و نجا منهم؛ و تبعوه، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصّوا[6] أثره، و كان لا يخفى أثره على أحد لعظم قدمه، فلحقوه من بعد الغد، فلما أدركوه و هم عشرون و معهم النّبل و القسيّ و السيوف و التّرسة[7]، ناداهم: يا بني جعدة، إني أنشدكم اللّه!أن أكون قتلت رجلا غريبا طلبته بترة تقتلوني و أنا ابن عمّكم!و ظنّ أنّ الجلّانيّ قد مات، و لم يكن مات إلى أن تبعوه و أخذوه؛ فقال معاذ: و اللّه لو أيقنّا أنه قد مات ما ناظرنا بك[8]القتل من ساعتنا و لكنّا تركناه و لم يمت، و لسنا نحبّ قتلك إلاّ أن تمتنع منا، و لا نقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا؛ فقاتلهم و امتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه و غلمانه: لا ترموه/بالنبل و لا تضربوه بالسيوف، و لكن ارموه بالحجارة و اضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع و من الأخرى إصبعين، و دقّوا ضلعين من أضلاعه و أكثروا الشّجاج في رأسه، ثم أخذوه و ما كادوا يقدرون على أخذه، فوضعوا في رجله أدهم[9]، ثم جاءوا به و هو معروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوقبى فدفعوه إلى الجلّاني و لم يمت بعد، فقالوا[10]: انطلقوا به معكم إلى بلادكم و لا تحدثوا في أمره شيئا حتى تنظروا ما يصنع بصاحبكم، فإن مات فاقتلوه و إن حيي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش[11]الجناية. فقال الجلّانيّون: وفت ذمّتكم يا بني جعدة، و جزاكم اللّه أفضل ما يجزي به خيار الجيران، إنّا نتخوّف أن ينزعه منّا قومكم

إن خلّيتم عنّا و عنهم و هو في أيدينا؛ فقال لهم معاذ: فإني أحمله معكم و أشيّعكم حتى تردوا بلادكم، ففعلوا ذلك، [1]كذا في أكثر النسخ. و في إحدى روايتي ط: «مهند» . و في حـ: «و هي جدة أبي السفاح و هي بنت عبد اللّه إلخ» .

[2]في حـ: «فركبتها» .

[3]هذه الواو ساقطة من ب، س، حـ.

[4]الواعية: الصراخ على الميت.

[5]نسل: أسرع في سيره.

[6]قص أثره قصا و قصصا: تتبعه.

[7]الترسة: جمع ترس، و هو صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف.

[8]ما ناظرنا بك القتل: ما أخرناه. و لم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى في كتب اللغة التي بين أيدينا.

[9]الأدهم: القيد.

[10]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، حـ: «فقال» .

[11]الأرش: دية الجراحات.

فحمل معروضا على بعير و ركبت أخته جماء[1]بنت الأسعر معه، و جعل يقول: قتلتني بنو جعدة!و تأتيه أخته بمغرة[2]فيشربها فيقال: يمشي[3]بالدّم، لأن بني جعدة فرثوا[4]كبده في جوفه. فلمّا بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجلاّنيّون لمعاذ و أصحابه: أدام اللّه عزّكم، و قد وفيتم فانصرفوا. و جعل هلال يريهم أنّه يمشي في اللّيلة عشرين مرّة. فلمّا ثقل الجلاّنيّ و تخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميّتا، تبرّز هلال كما كان يصنع و في رجله الأدهم كأنه يقضي حاجة، و وضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، و كان أدلّ الناس فتنكّب الطّريق التي تعرف و يطلب فيها/و جعل يسلك المسالك التي لا يطمع فيها. حتّى انتهى إلى رجل من بني أثاثة بن مازن يقال له السّعر بن يزيد بن طلق[5]بن جبيلة بن أثاثة بن مازن، فحمله السّعر على ناقة له يقال لها ملوة، فركبها ثمّ تجنّب بها الطريق/فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان، تخوّفا من بني مازن أن يتبعوه أيضا فيأخذوه، فسار ثلاث ليال و أيّامها حتّى نزل اليوم الرّابع، فنحر الناقة فأكل لحمها كلّه إلا فضلة فضلت منها فاحتملها، ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها، فلبث زمانا و ذلك عند مقام[6]الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر بن وائل، فانطلقوا إلى الحجّاج فاستعدوه و أخبروه بقتله صاحبهم؛ فبعث الحجاج إلى عبد اللّه بن شعبة بن العلقم، و هو يومئذ عريف بني مازن حاضرتهم و باديتهم، فقال له: لتأتينّي بهلال أو لأفعلنّ بك و لأفعلن؛ فقال له عبد اللّه بن شعبة: إن أصحاب هلال و بني عمّه قد صنعوا كذا و كذا: فاقتصّ عليه ما صنعوا في طلبه و أخذه و دفعه إلى الجلاّنيّين و تشييعهم إيّاه حتّى وردوا بلاد بكر بن وائل؛ فقال له الحجّاج: ويلك!ما تقول؟ قال فقال بعض البكريّين: صدق، أصلح اللّه الأمير؛ قال فقال الحجّاج: فلا يرغم اللّه إلاّ أنوفكم[7]، اشهدوا أنّي قد آمنت كلّ قريب لهلال و حميم و عريف و منعت من أخذ أحد به و من طلبه حتّى يظفر به البكريّون أو يموت قبل ذلك.

فلمّا وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رزام بن مازن[8]بشعر يعاتبهم فيه و يعظّم عليهم حقّه و يذكر قرابته، و ذلك أنّ سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدّم، فقال معاذ: /لا أرضى و اللّه أن يحمل لجاري دم واحد حتى يحمل له دم و لجواري دم آخر، و إن أراد هلال الأمان وسطنا حمل له دم ثالث؛ فقال هلال في ذلك: بني مازن لا تطردوني فإنّني # أخوكم و إن جرّت جرائرها[9]يدي

و لا تثلجوا أكباد بكر بن وائل # بترك أخيكم كالخليع المطرّد

و لا تجعلوا حفظي بظهر و تحفظوا # بعيدا ببغضاء يروح و يغتدي[10]

فإنّ القريب حيث كان قريبكم # و كيف بقطع الكفّ من سائر اليد

[1]كذا في ب، س، حـ. و في ء، أ، م «حماء» بالحاء المهملة و المد و في ط: «حما» بالحاء المهملة مقصورا.

[2]المغرة (بالفتح و بالتحريك) : طين أحمر يصبغ به.

[3]أمشى الرجل: استطلق بطنه من دواء تناوله.

[4]فرثوا كبده: ضربوها و هو حيّ.

[5]في ط، ء: «علق» و في أ، م: «على» .

[6]كذا في ب، س، حـ. و في باقي الأصول: «عند مقدم الحجاج العراق» .

[7]كذا في أكثر الأصول، و في س: «أنوفهم» .

[8]كذا في ط، حـ، ء. و في سائر النسخ: «مالك» و مالك جد رزام لا أبوه (راجع أول هذه الترجمة) .

[9]الجرائر: جمع جريرة و هي الذنب و الجناية.

[10]كذا في ط، ء. و هو الأقرب إلى الصواب. و في باقي النسخ: «تروح و تغتدي» بالتاء.

و إن البعيد إن دنا فهو جاركم # و إن شطّ عنكم فهو أبعد أبعد

و إنّي و إن أوجدتموني[1]لحافظ # لكم حفظ راض عنكم غير موجد

سيحمي حماكم بي و إن كنت غائبا # أغرّ إذا ما ربع لم يتبلّد

و تعلم بكر أنّكم حيث كنتم # و كنت من الأرض الغريبة محتدي

و أنّي ثقيل حيث كنت على العدا # و أنّي و إن أوحدت لست بأوحد

و أنهم لمّا أرادوا هضيمتي # منوا[2]بجميع القلب عضب مهنّد

حسام متى يعزم على الأمر يأته # و لم يتوقّف للعواقب في غد

و هم بدءوا بالبغي حتّى إذا جزوا # بأفعالهم قالوا لجازيهم[3]قد[4]

فلم يك منهم في البديهة[5]منصف # و لم يك فيهم في العواقب مهتدي

/و لم يفعلوا فعل الحليم فيجملوا[6] # و لم يفعلوا فعل العزيز المؤيّد

فإن يسر لي إيعاد[7]بكر فربّما # منعت الكرى بالغيظ من متوعّد

و ربّ حمى قوم أبحت و مورد # وردت بفتيان الصباح و مورد

/و سجف دجوجيّ من الليل حالك # رفعت بعجلي الرّجل موّارة اليد[8]

سفينة خوّاض بحور همومه # قليل التياث[9]العزم عند التردّد

جسور على الأمر المهيب إذا ونى # أخو الفتك ركّاب قرى[10]المتهدّد

و قال و هو بأرض اليمن:

أقول و قد جاوزت نعمى و ناقتي # تحنّ إلى جنبي[11]فليج[12]مع الفجر

سقى اللّه يا ناق البلاد التي بها # هواك، و إن عنّا نأت، سبل[13]القطر

[1]كذا في ط، حـ، ء. و أوجدتموني: أغضبتموني، من وجد يجد وجدا و جدة و موجدة إذا غضب. و تعدية الفعل بالهمزة في مثل هذا قياسية على المختار. و في باقي النسخ: «أوحدتموني» بالحاء، أي جعلتموني وحيدا منفردا.

[2]منوا: ابتلوا.

[3]في ط، ء: «لجاريهم» بالراء، و التحريف فيها واضح. و في سائر النسخ: «لجارهم» و هو تحريف.

[4]قد: اسم فعل بمعنى يكفي.

[5]البديهة: أول الشيء.

[6]كذا في ط. و في ب، س، حـ: «فيحلموا» .

[7]كذا في حـ. و في سائر النسخ: «إبعاد» بالباء الموحدة و هو تحريف.

[8]يريد بموّارة اليد: الناقة: أي أن يدها كثيرة التردد في عرض جنبها، يعني أنها سهلة السير سريعته.

[9]كذا في ط، ء. و الالتياث: الإبطاء. و في سائر النسخ: «ثبات» .

[10]القرى (بالتحريك) : الظهر، و قيل: وسطه.

[11]في ط، ء: «خيفي فليج» .

[12]كذا في ط، ء: و «معجم ياقوت» . و في باقي النسخ: «فليح» بالحاء و هو تصحيف.

[13]السبل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض.

فما

عن قلى منّا لها خفّت النّوى # بنا عن مراعيها و كثبانها العفر

و لكنّ صرف الدّهر فرّق بيننا # و بين الأداني، و الفتى غرض الدهر

فسقيا لصحراء الإهالة[1]مربعا # و للوقبى من منزل دمث[2]مثري

و سقيا و رعيا حيث حلّت لمازن # و أيّامها الغرّ المحجّلة الزّهر

/قال خالد بن كلثوم: و لما دفع هلال إلى أولياء الجلاّنيّ ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له: حفيد كان هلال قد وتره فقال: و اللّه لأؤنّبنّه[3]و لأصغّرنّ إليه نفسه و هو في القيود مصبور[4]للقتل، فأتاه فلم يدع له شيئا مما يكره إلا عدّة عليه. قال: و إلى جنب هلال حجر يملأ الكفّ، فأخذه هلال فأهوى به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف[5]جلفة من وجهه و رأسه، ثم رمى بها و قال: خذ القصاص منّي الآن، و أنشأ يقول: أنا ضربت كربا و زيدا # و ثابتا مشّيتهم رويدا

كما أفدت[6]حينه عبيدا # و قد ضربت بعده حفيدا

قال: و هؤلاء كلّهم من بني رزام بن مازن، و كلّهم كان هلال قد نكأ[7]فيهم.

أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه:

قال خالد بن كلثوم: و لما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازن بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال و رهط معاذ بن جعدة جار الجلاّنيّ المقتول، فقالوا: إنكم قد أسأتم بابن عمّكم و جزتم الحدّ في الطلب بدم جاركم، فنحن نحمل لكم ما أردتم، فحمل ديسم بن المنهال بن خزيمة[8]بن شهاب بن أثاثة[9]بن ضباب بن حجيّة[10]بن كابية بن حرقوص بن مازن الذي طلب معاذ بن جعدة أن يحمل لجاره، لفضل عزّه و موضعه في عشيرته، و كان الذي طلب ثلاثمائة بعير؛ فقال هلال في ذلك: /

إن ابن كابية المرزّأ[11]ديسما # واري الزناد بعيد ضوء النار

من كان يحمل ما تحمّل ديسم # من حائل فنق[12]و أمّ حوار

[1]صحراء الإهالة: موضع ذكره «ياقوت» و لم يبينه و استشهد بهذا البيت.

[2]دمث: سهل لين. و مثر: كثير الثرى خصب.

[3]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «لآتينه» .

[4]كذا في ط، ء. و المصبور: المحبوس للقتل. و في سائر النسخ: «مصفود» .

[5]اجتلف منه جلفة: بضع من لحمه بضعة.

[6]كذا في أ، م. و في ب، س: «أفأت» . و في ط: «أقدت» .

[7]نكأ فيهم: قتل فيهم و جرح و أثخن.

[8]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س: «جزيمة» بالزاي. و في حـ: «جذيمة» بالذال.

[9]في ط: «أمامة» .

[10]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ. و لم نعثر على أنه سمي به.

[11]المرزأ: الكريم الذي يصاب في ماله كثرا.

[12]الفنق بضمتين: الناقة الفتية السمينة. و الحوار بالضم و يكسر: الفصيل. ـ

47

عيّت[1]

بنو عمرو بحمل هنائد[2] # فيها العشار[3]ملابئ الأبكار

حتى تلافاها كريم سابق # بالخير حلّ منازل الأخيار

حتى إذا وردت جميعا أرزمت[4] # جلاّن بعد تشمّس و نفار

ترعى بصحراء[5]الإهالة روبة[6] # و العنظوان[7]منابت[8]الجرجار[9]

أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل و قال في ذلك شعرا:

و قال خالد بن كلثوم: كان قمير بن سعد مصدّقا على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلا قد سرق/صدقته[10]، فأخذه قمير ليحبسه، فوثب قومه و أرادوا أن يحولوا بين قمير و بينه و هلال حاضر، فلما رأى ذلك هلال وثب على البكريّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنفهما[11]و يناطح بين رءوسهما، فانتهى إلى قمير أعوانه فقهروا البكريّين؛ فقال هلال في ذلك: / دعاني قمير دعوة فأجبته # فأيّ امرئ في الحرب حين دعاني

معي مخذم قد أخلص القين حدّه # يخفّض عند الرّوع روع جناني

و ما زلت مذ شدّت يميني حجزتي[12] # أحارب أو في ظلّ حرب[13]تراني

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثنا حكيم بن سعد عن زفر بن هبيرة قال: [1]كذا في ط، ء. و في ب، س، أ: «عنيت» .

[2]كذا في الأصول كلها، و الظاهر أنه جمع هنيدة و هي المائدة من الإبل. و الذي في «اللسان» و «شرح القاموس» : أن هنيدة مائة من الإبل معرفة لا تنصرف و لا يدخلها الألف و اللام و لا تجمع و لا واحد لها من جنسها. و في «الأساس» : «و أعطاه هنيدة: مائة من الإبل، و هندا: مائتين» .

[3]العشار: جمع عشراء بضم العين و فتح الشين كنفساء و نفاس و لا ثالث لهما، و العشراء: الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها.

و يقال عشار ملابئ إذا دنا نتاجها.

[4]أرزمت الناقة: حنت إلى ولدها. و في المثل: «لا أفعله ما أرزمت أم حائل» .

[5]صحراء الإهالة: اسم موضع ذكره «ياقوت» و لم يعينه و استشهد بشعر لهلال بن الأسعر.

[6]الروبة: مكرمة من الأرض كثيرة النبات و الشجر و هي أبقى الأرض كلأ.

[7]العنظوان: ضرب من النبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه.

[8]كذا في جميع الأصول و لعلها «فنابت» بفاء العطف ليستقيم المعنى.

[9]الجرجار: نبت طيب الريح.

[10]في ب، س، حـ: «بعض صدقته» .

[11]يكنفهما: يضمهما.

[12]الحجزة: معقد الإزار.

[13]لم يقع في هذا البيت ما يسمى في العروض بالاعتماد. و الاعتماد: سقوط الخامس من فعولن التي قبل القافية. و إثبات هذا الساكن فيما يكون ضربه محذوفا كما في هذا الشعر لم يقع إلا على قبح، و لم يأت في الشعر إلا شاذا قليلا، و منه ما أنشده الخليل: أقيموا بني النعمان عنا صدوركم # و إلا تقيموا صاغرين الرءوسا

و قول امرئ القيس:

أعني على برق أراه وميض # يضيء حبيّا في شماريخ بيض

و تخرج منه لامعات كأنها # أكف تلقى الفوز عند المفيض

حبسه بلال بن أبي بردة و أفنكه فيسم:

تقاوم هلال بن أسعر المازنيّ، و هو أحد بني رزام بن مازن، و نهيس[1]الجلاّنيّ من عنزة و هما يسقيان إبلهما، فخذف[2]هلال نهيسا بمحور في يده فأصابه فمات، فاستعدى ولده بلال[3]بن أبي بردة على هلال فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام و عمل في أمره ديسم بن المنهال[4]أحد بني كابية بن حرقوص فافتكّه بثلاث ديات، فقال هلال يمدحه: تدارك ديسم حسبا و مجدا # رزاما بعد ما انشقّت عصاها

همو حملوا المئين فألحقوها[5] # بأهليها فكان لهم سناها

/و ما كانت لتحملها رزام # بأستاه معقّصة لحاها

بكابية بن حرقوص و جدّ # كريم لا فتى إلا فتاها

الحديث عن هلال في نهمه و كثرة أكله:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا[6]حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثني نصر بن عليّ الجهضميّ قال حدّثنا الأصمعيّ، و أخبرني أبو عبيد[7]محمد بن أحمد بن المؤمّل الصّيرفيّ قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال حدّثنا المعتمر بن سليمان قال: قلت لهلال بن أسعر: ما أكلة أكلتها بلغتني عنك؟قال: جعت مرّة و معي بعيري فنحرته و أكلته إلا ما حملت منه على ظهري، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل[8]: ثم أردت امرأتي فلم أقدر على جماعها؛ فقالت لي: ويحك!كيف تصل إليّ و بيني و بينك بعير!قال المعتمر: فقلت له: كم تكفيك هذه الأكلة؟قال: أربعة أيام.

و حدّثني به ابن عمّار[9]قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لهلال بن الأسعر-هكذا قال ابن أبي سعد: معتمر عن أبيه و قال في خبره: فقلت له؛ كم تكفيك هذه الأكلة؟فقال: خمسا.

/أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال حدّثني شيخ من بني مازن قال: [1]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «بهيس» و لم نعثر على أنه سمي به و إنما سمي ببيهس بتقديم الياء على الهاء.

[2]خذف بالحصاة و النواة و نحوهما: رمى بها من بين سبابتيه أو بمخذفة من خشب. و لعل المحرر كان في يد هلال لقوّته أشبه بالنواة، أو

لعلها «فحذف» بالحاء المهملة.

[3]في ب، س: «فاستعدى ولده له بلال إلخ» .

[4]كذا ورد هذا الاسم باتفاق النسخ فيما تقدم، و ورد هنا في ب، س، م: «ميهال» و لم ترد في باقي النسخ.

[5]في ب، س، حـ: «و ألحقوها» .

[6]كذا في أ، م. و في باقي النسخ: «قال» بدون ألف التثنية.

[7]في ء: «أبو عبيد بن محمد» . و في حـ: «أبو عبيد أحمد بن محمد» .

[8]في ب، س، حـ: «فضل المضري» .

[9]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س: «و حدّثني به ابن عمار قال قال المعتمد حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد إلخ» . و الظاهر أن ما جاء في هاتين النسختين من زيادة قوله: قال المعتمد غير صحيح لأن أحمد بن عمار يروي عن عبد اللّه بن أبي سعد مباشرة كما سيجيء بعد أسطر، على أنا لم تجد في رواة «الأغاني» من اسمه المعتمد.

أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميع ما في بيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبز قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتم إلى الجيران، أ عندكم سويق[1]؟قلنا: نعم، فجئته بجراب طويل فيه سويق و ببرنيّة[2]نبيذ، فصبّ السويق كلّه و صبّ عليه النبيذ حتى أتى على السّويق و النبيذ كلّه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن/الحارث عن المدائنيّ: أن هلال بن أسعر مرّ على رجل من بني مازن بالبصرة و قد حمل من بستانه رطبا في زواريق[3]، فجلس على زورق صغير منها و قد كثب[4]الرطب فيه و غطّي بالبواري[5]؛ قال له: يا ابن عمّ آكل من رطبك هذا؟قال: نعم؛ قال: ما يكفيني[6]؟قال: ما يكفيك؛ فجلس على صدر الزورق و جعل يأكل إلى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكشف الزورق فإذا هو مملوء نوى قد أكل رطبه و ألقى النوى فيه.

/قال المدائنيّ و حدّثني من سأله عن أعجب شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مكّوك[7]ملح.

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن عليّ بن منصور الأهوازيّ، و كان كهلا سريّا معدّلا، قال حدّثني شبان[8]النّيليّ عن صدقة بن عبيد المازنيّ قال: أولم[9]عليّ أبي لما تزوّجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور. فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ، فقدّمنا إليه جفنة فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر، ثم استسقى فأتي بقربة من نبيذ فوضع طرفها في شدقه ففرّغها في جوفه، ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عمل الطعام.

حدّث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه:

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت هلال بن أسعر ميتا و لم أره حيّا، فما رأيت أحدا على سرير[10]أطول منه.

غنى مخارق الرشيد فأعتقه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد قال حدّثني بعض حاشية السلطان قال: [1]السويق: دقيق الحنطة و الشعير.

[2]البرنية: إناء من خزف.

[3]زواريق: جمع زورق أتبع الكسرة فتولدت منها ياء كما جاء في قوله: تنفي يداها الحصى في كل هاجرة # نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

و منه للمتنبي:

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها # مضغ الكلام و لا صبغ الحواجيب

[4]كذا في ط، حـ، ء، و معناه جمع. و في ب، س: «كتب» . و في أ، م: «كب» و كلاهما تحريف.

[5]البواري: الحصر المنسوجة من القصب.

[6]كذا في ط، حـ، ء. و في سائر النسخ: «فيه ما يكفيني؟قال: ما يكفيك إلخ» و المعنى بهذه الزيادة غير المعنى المراد.

[7]المكوك: مكيال يسع صاعا و نصف صاع.

[8]كذا في أكثر النسخ، و لم نعثر على هذا الاسم، و قد سمى العرب شبان كرمان و شبان كشداد.

[9]أولم عليّ أبي: عمل لي وليمة زواجي.

[10]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، حـ: «سريره» .

50

غنّى إبراهيم الموصليّ الرشيد يوما:

يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طربا # زدت الفؤاد على علاّته وصبا[1]

/-قال: و الصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عزّون[2]-فأعجب به الرشيد و طرب له و استعاده مرارا؛ فقال له الموصليّ: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مخارق، فإنه أخذه عنّي و هو يفضل فيه الخلق جميعا و يفضلني، فأمر بإحضار مخارق، فأحضر فقال له غنّني: يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طربا # زدت الفؤاد على علاّته وصبا

فغنّاه إياه؛ فبكى و قال: سل حاجتك!قال مخارق: فقلت: تعتقني يا أمير المؤمنين من الرقّ و تشرّفني بولائك، أعتقك اللّه من النار، قال: أنت حرّ لوجه اللّه، أعد الصوت؛ قال: فأعدته، فبكى و قال: سل حاجتك، فقلت: يا أمير المؤمنين ضيعة تقيمني غلّتها؛ فقال: قد أمرت لك بها، أعد الصوت؛ فأعدته فبكى و قال: سل حاجتك؛ فقلت: يأمر لي أمير المؤمنين بمنزل و فرشه و ما يصلحه و خادم فيه؛ قال: ذلك لك، أعده؛ فأعدته فبكى و قال: سل حاجتك؛ قلت: حاجتي يا أمير المؤمنين أن يطيل اللّه بقاءك و يديم عزّك و يجعلني من كل سوء فداءك؛ قال: فكان إبراهيم الموصليّ سبب عتقه بهذا الصوت[3].

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن مخارق، و حدّثني به الصّوليّ أيضا عن وكيع عن هارون بن مخارق قال: كان أبي إذا غنّى هذا الصوت:

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا # زدت الفؤاد على علاّته وصبا

/يقول: أنا مولى هذا الصوت؛ فقلت له يوما: يا أبت، و كيف ذلك؟ فقال: غنّيته مولاي الرشيد/فبكى و قال: أحسنت، أعد فأعدت؛ فبكى و قال: أحسنت!أنت حرّ لوجه اللّه و أمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي، و ذكر[4]قريبا مما ذكره المبرّد[5]من باقي الخبر.

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن أبي الدّنيا قال حدّثني إسحاق النّخعيّ عن حسين بن الضّحّاك عن مخارق: أن الرشيد أقبل يوما على المغنّين و هو مضطجع، فقال: من منكم يغني: يا ربع سلمى لقد هيّجت لي طربا # زدت الفؤاد على علاّته وصبا

قال: فقمت فقلت: أنا، فقال: هاته؛ فغنيته فطرب و شرب، ثم قال: عليّ بهرثمة، فقلت في نفسي: ما تراه يريد منه!فجاءوا بهرثمة فأدخل إليه و هو يجرّ سيفه، فقال: يا هرثمة، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟فقال: أبو المهنّا؛ فقال: انصرف فانصرف؛ ثم أقبل عليّ فقال: قد كنيتك أبا المهنّا لإحسانك، و أمر [1]في ط، ء: «نصبا» .

[2]في أ، م، حـ: «غزون» بالغين المعجمة و قد تقدم الكلام على هذا الاسم في الحاشية رقم 2 ص 50 من هذا الجزء.

[3]كذا في ط، حـ، ء. و في سائر النسخ: «فكان إبراهيم الموصليّ يقول: سبب عتقه بهذا الصوت» .

[4]في ب، س، حـ: «فذكر» .

[5]المبرد هو محمد بن يزيد الذي تقدم ذكره في أول السند.

لي بمائة ألف درهم، فانصرفت بها و بالكنية.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

و خلّ كنت عين الرّشد منه # إذا نظرت و مستمعا سميعا

أطاف بغيّة[1]فعدلت عنه # و قلت له أرى أمرا فظيعا

الشعر لعروة بن الورد، و الغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة. و فيه لإبراهيم ما خوريّ بالوسطى عن عمرو أيضا.

[1]في ط، حـ، ء: «بغية» .

21-أخبار عروة بن الورد و نسبه

نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور:

عروة بن الورد بن زيد، و قيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد اللّه بن ناشب بن هريم[1]بن لديم بن عوذ[2]بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الرّيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر من شعراء الجاهلية و فارس من فرسانها و صعلوك[3]من صعاليكها المعدودين المقدّمين الأجواد.

كان يلقب بعروة الصعاليك و سبب ذلك

و كان يلقّب عروة[4]الصعاليك لجمعه إيّاهم و قيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم و لم يكن لهم معاش و لا مغزى، و قيل: بل لقّب عروة الصّعاليك لقوله: لحى اللّه صعلوكا إذا جنّ ليله # مصافي[5]المشاش آلفا كلّ مجزر

يعدّ الغنى من دهره كلّ ليلة # أصاب قراها من صديق ميسّر[6]

و للّه صعلوك[7]صفيحة وجهه # كضوء شهاب القابس المتنوّر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال بلغني أن معاوية[8]قال:

شرف نسبه و تمنى الخلفاء أن يصاهروه أو ينتسبوا إليه:

لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوّج إليهم.

/أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ، و حدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد اللّه بن مسلم قالا جميعا: قال عبد الملك بن مروان: ما يسرّني أن أحدا من العرب ولدني[9]ممّن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله: [1]في ط، حـ، ء: «هرم» و ضبط في ط بتشديد الراء.

[2]كذا في ط، ء. و هو الصواب كما في «شرح القاموس» . و في سائر النسخ: «عود» بالدال المهملة.

[3]الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، و صعاليك العرب: لصوصها و فقراؤها.

[4]يقال: لقب بكذا، و قد اعتاد أبو الفرج إسقاط هذه الباء في أسلوبه.

[5]كذا في ط، ء، و هو موافق لما جاء في «ديوان الحماسة» . و مصافي المشاس: آلفه و ملازمه و المنكب عليه. و في سائر النسخ: «مضى

في المشاش» و هو تحريف. و المشاش: كل عظم هش دسم واحدته مشاشة. و لم تظهر الفتحة على الياء هنا للضرورة.

[6]يسر الرجل: سهلت ولادة إبله و غنمه و لم يعطب منها شيء.

[7]في «ديوان الحماسة» : «و لكن صعلوكا» و خبر لكن في البيت الثاني بعده (انظر «شرح التبريزي على الحماسة» ص 219 ج 1 طبع بولاق) .

[8]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «ابن معاوية» .

[9]في جميع النسخ: «أن أحدا من العرب ممن ولدني لم يلدني» . و قد أثبتنا ما بالصلب لأنه هو الذي يؤدي المعنى المراد من التمدح بالنسب إلى عروة.

إنّي[1]

امرؤ عافي إنائي شركة # و أنت امرؤ عافي إنائك واحد

/أ تهزأ منّي أن سمنت و أن ترى # بجسمي مسّ[2]الحقّ و الحقّ جاهد

أفرّق[3]جسمي في جسوم كثيرة # و أحسو قراح الماء و الماء بارد

قال الحطيئة لعمر بن الخطاب كنا نأتم في الحرب بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال:

بلغني أن عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه قال للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟قال: كنّا ألف حازم، قال: و كيف؟قال: كان فينا قيس بن زهير و كان حازما و كنا لا نعصيه، و كنا نقدم إقدام عنترة، و نأتمّ بشعر عروة بن الورد، و ننقاد لأمر الرّبيع بن زياد.

قال عبد الملك إنه أجود من حاتم:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

و يقال: إن عبد الملك قال: من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

منع عبد اللّه بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له يحث فيها على الاغتراب:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا معن بن عيسى قال: سمعت أن[4]عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلّم ولده: لا تروّهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها: دعيني للغنى أسعى فإنّي # رأيت الناس شرّهم الفقير

و يقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم.

خبر عروة مع سلمى سبيته و فداء أهلها بها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهريّ عن عامر بن جابر قال: أغار عروة بن الورد على مزينة فأصاب منهم امرأة من كنانة ناكحا، فاستاقها و رجع و هو يقول: تبغّ عديّا[5]حيث حلّت ديارها # و أبناء عوف في القرون الأوائل

فإلاّ أنل أوسا فإنّي حسبها # بمنبطح الأدغال[6]من ذي السلائل[7]

[1]كذا في أكثر النسخ، و بذا يكون قد دخله الخرم و هو حذف الأوّل من فعولن. و في ب، س، حـ: «و إني» بالواو.

[2]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، حـ: «شحوب» و في «ديوان الحماسة» «بوجهي شحوب» إلخ.

[3]في «ديوان الحماسة» «أقسّم» .

[4]كلمة «أن» ساقطة من أ، م.

[5]في ب، س، حـ: «عداء» .

[6]كذا في ط، ء. و الأدغال: جمع دغل، و له معان كثيرة أنسبها هنا الوادي أو المنخفض من الأرض. و في سائر النسخ: «الأوعال» .

[7]كذا في أ، م و ذو السلائل: واد بين الفرع و المدينة. و في باقي النسخ: «الشلائل» بالشين المعجمة و هو تصحيف.

ثم أقبل سائرا حتى نزل ببني النّضير، فلما رأوها أعجبتهم فسقوه الخمر، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم، و كان لا يمسّ النساء، فلما أصبح و صحا ندم فقال: سقوني الخمر ثم تكنّفوني

الأبيات. قال: و جلاها[1]النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم مع من جلا من بني النضير.

/و ذكر أبو عمرو الشّيبانيّ من خبر عروة بن الورد و سلمى هذه أنه أصاب امرأة من بني كنانة بكرا يقال لها سلمى و تكنى أمّ وهب، فأعتقها و اتّخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة و ولدت له أولادا و هو لا يشكّ في أنها أرغب الناس فيه، و هي تقول له: لو حججت بي فأمرّ على أهلي و أراهم!فحجّ بها، فأتى مكة ثم أتى المدينة، و كان يخالط من أهل يثرب بني النّضير فيقرضونه إن احتاج و يبايعهم[2]إذا غنم، و كان قومها يخالطون بني النّضير، فأتوهم و هو عندهم؛ فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه و أخبروه أنكم تستحيون أن نكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبيّة، و افتدوني منه فإنه لا يرى أنّي أفارقه و لا أختار عليه أحدا، فأتوه فسقوه الشّراب، فلمّا ثمل قالوا له: فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة[3]النسب فينا معروفة، و إنّ علينا سبّة أن تكون سبيّة، فإذا صارت إلينا و أردت معاودتها فاخطبها إلينا فإننا ننكحك؛ فقال لهم: ذاك لكم، و لكن لي الشرط فيها أن تخيّروها، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها و إن اختارتكم انطلقتم/بها؛ قالوا: ذاك لك؛ قال: دعوني أله بها الليلة و أفادها[4]غدا، فلمّا كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها؛ فقالوا له: قد فاديتنا بها منذ البارحة، و شهد عليه بذلك جماعة ممّن حضر، فلم يقدر على الامتناع و فاداها، فلما فادوه بها خيّروها فاختارت أهلها، ثم أقبلت عليه فقالت: يا عروة أما إنّي أقول فيك و إن فارقتك الحقّ: و اللّه ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك و أغضّ طرفا و أقلّ فحشا و أجود يدا و أحمى لحقيقة[5]؛ و ما مرّ عليّ يوم منذ كنت عندك إلا و الموت فيه أحبّ إليّ من الحياة بين/قومك، لأنّي لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا و كذا إلا سمعته؛ و و اللّه لا أنظر في وجه غطفانيّة أبدا، فارجع راشدا إلى ولدك و أحسن إليهم. فقال عروة في ذلك: سقوني الخمر ثم تكنّفوني

و أوّلها:

أرقت و صحبتي بمضيق عمق[6] # لبرق من تهامة مستطير

[1]كذا في حـ. وجلا متعدّ و لازم كأجلى. و في سائر النسخ «أجلاها» .

[2]و يبايعهم: يعقد معهم البيع.

[3]وسيطة النسب: حسيبة في قومها كريمة.

[4]في جميع النسخ: «و أفاديها» بإثبات الياء.

[5]في ب، س، حـ: «لحقيقته» و الحقيقة: ما يجب على الرجل أن يحميه و ما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته.

[6]عمق: موضع قرب المدينة من بلاد مزينة.

[7]كذا في إحدى روايتي ط و هو الموافق لما ذكره ياقوت في «معجمه» من أن السرير موضع في بلاد بني كنانة مستشهدا بهذا البيت.

و في سائر النسخ: «السدير» و هو تحريف.

إذا حلّت بأرض بني عليّ # و أهلي بين إمّرة[1]و كير

ذكرت منازلا من أمّ وهب # محلّ الحيّ أسفل من نقير[2]

و أحدث معهد[3]من أمّ وهب # معرّسنا بدار بني النّضير

و قالوا ما تشاء فقلت ألهو # إلى الأصباح آثر ذي أثير[4]

بآنسة الحديث رضاب فيها # بعيد النوم كالعنب العصير

و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، و قال فيها: إنّ قومها أغلوا بها الفداء، و كان معه طلق و جبار أخوه و ابن عمه، فقالا له: و اللّه لئن قبلت ما أعطوك لا تفتقر أبدا، و أنت على النساء قادر/متى شئت، و كان قد سكر فأجاب إلى فدائها، فلما صحا ندم فشهدوا[5]عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع. و جاءت سلمى تثني عليه فقالت: و اللّه إنك ما علمت لضحوك مقبلا كسوب مدبرا خفيف على متن الفرس[6]ثقيل على العدوّ[7]طويل العماد كثير الرّماد راضي الأهل و الجانب[8]، فاستوص ببنيك خيرا، ثم فارقته. فتزوّجها رجل من بني عمّها، فقال لها يوما من الأيام: يا سلمى، أثني عليّ كما أثنيت على عروة-و قد كان قولها فيه شهر-فقالت له: لا تكلّفني ذلك فإني إن قلت الحقّ غضبت و لا و اللّات و العزّى لا أكذب؛ فقال: عزمت عليك لتأتيني في مجلس قومي فلتثنين عليّ بما تعلمين، و خرج فجلس في نديّ القوم، و أقبلت فرماها القوم بأبصارهم، فوقفت عليهم و قالت: أنعموا صباحا، إنّ هذا عزم عليّ أن أثني عليه بما أعلم. ثم أقبلت عليه فقالت: و اللّه إنّ شملتك لالتحاف، و إنّ شربك لاشتفاف[9]، و إنك لتنام ليلة تخاف، و تشبع ليلة تضاف، و ما ترضي الأهل و لا الجانب، ثم انصرفت. فلامه قومه و قالوا: ما كان أغناك عن هذا القول منها.

كان يجمع الصعاليك و يكرمهم و يغير بهم:

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني أبو فقعس قال: كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض و الكبير و الضعيف، و كان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يحفر لهم الأسراب و يكنف عليهم الكنف[10] و يكسبهم[11]، و من/قوي منهم-إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوّته-خرج به معه فأغار، و جعل [1]كذا في حـ، و هو الموافق لما في «معجم ياقوت» من أن إمرة منزل في طريق مكة من البصرة و هو

منهل. و في سائر الأصول: «زامرة» و هو تحريف. و كير: جبلان في أرض غطفان.

[2]نقير: موضع بين هجر و البصرة. و رواية «ياقوت» «أسفل ذي النقير» .

[3]كذا في ط، ء، حـ. و في سائر النسخ: «معهدا» .

[4]آثر ذي أثير: أول كل شيء، يقال: افعل هذا آثرا ما و آثر ذي أثير أي قدّمه على كل عمل.

[5]في أ، م «فشهدا» بألف التثنية.

[6]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «الفراش» .

[7]في ب، س، حـ: «على ظهر العدوّ» .

[8]الجانب: الغريب و المراد به الضيف.

[9]الاشتفاف: شرب كل ما في الإناء.

[10]يكنف عليهم الكنف: يتخذ لهم حظائر يؤوبهم إليها، واحدها «كنيف» .

[11]كذا في ط، ء، يقال كسب لأهله: طلب المعيشة و يتعدّى بنفسه إلى مفعول ثان كما هنا. و في سائر النسخ: «يكسيهم» بالياء المثناة ـ

لأصحابه الباقين في ذلك نصيبا، حتى إذا أخصب الناس و ألبنوا و ذهبت السّنة ألحق كلّ إنسان بأهله و قسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله و قد استغنى، فلذلك سمّي عروة الصعاليك، فقال في ذلك[1]بعض السنين و قد ضاقت حاله: لعلّ ارتيادي[2]في البلاد و بغيتي # و شدّي حيازيم المطيّة بالرّحل

سيدفعني يوما إلى ربّ هجمة[3] # يدافع عنها بالعقوق و بالبخل

أغار مع جماعة من قومه على رجل فأخذ إبله و امرأته ثم اختلف معهم فهجاهم:

فزعموا أن اللّه عز و جل قيّض له و هو مع قوم من هلاّك[4]عشيرته في شتاء شديد ناقتين دهماوين، فنحر لهم إحداهما و حمل متاعهم و ضعفاءهم على الأخرى، و جعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، و كان بين النّقرة[5] و الرّبذة[6]فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له: ماوان[7]. ثم إن اللّه عز و جل قيّض له رجلا صاحب مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق[8]قومه-و ذلك أوّل ما ألبن الناس-فقتله و أخذ إبله و امرأته، و كانت من أحسن النساء، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم و حملهم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم و أخذ مثل نصيب أحدهم، فقالوا: لا[9]و اللات/و العزّى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء أخذها، فجعل يهمّ بأن يحمل عليهم فيقتلهم و ينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته و أنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلا ثم أجابهم إلى أن يردّ عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أوّلها: ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم # كما الناس لمّا أمرعوا و تموّلوا

و إني لمدفوع إليّ ولاؤهم # بماوان إذ نمشي و إذ نتململ

و إنّي و إيّاهم كذي الأمّ أرهنت[10] # له ماء عينيها تفدّي و تحمل[11]

() و هو تحريف.

[1]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «فقال في بعض السنين إلخ» .

[2]في «ديوان الحماسة» :

لعل انطلاقي في البلاد و رحلتي

[3]الهجمة من الإبل: أوّلها أربعون إلى ما زادت أو ما بين السبعين إلى المائة أو إلى دوينها فإذا بلغت المائة فهي «هنيدة» .

[4]كذا في أكثر النسخ و الهلاك: الصعاليك. و في ب، س، حـ: «هلال» بلامين و هو تحريف.

[5]النقرة-بفتح أوّله و سكون ثانيه أو بفتح أوّله و كسر ثانيه-: من منازل حاج الكوفة بين أضاخ و ماوان.

[6]الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من قيد تريد مكة، و بها قبر أبي ذر الغفاري.

[7]ماوان: قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة.

[8]في «شرح الحماسة» : «عقوق» بالعين.

[9]كذا في ب، س، حـ، بإثبات «لا» و قد سقطت من باقي النسخ.

[10]أرهنت: أدامت، و قد جاء في «ديوان الحماسة» ص 230 طبع أوروبا شرحا لهذا البيت ما نصه: و هذا مثل، تقول المرأة لولدها ربيتك ماء عيني فضلا عن كل شيء.

[11]في «ديوان الحماسة» «تجمل» أي ترفق.

فباتت بحدّ[1]المرفقين كليهما[2] # توحوح ممّا نالها و تولول[3]

تخيّر من أمرين ليسا بغبطة # هو الثّكل إلا أنّها قد تجمّل[4]

سبي ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعرا:

و قال ابن الأعرابيّ في هذه الرّواية أيضا: كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها: ليلى بنت شعواء، فمكثت عنده زمانا و هي معجبة له تريه أنّها تحبّه، ثم استزارته أهلها فحملها حتّى أتاهم بها، فلمّا أراد الرّجوع أبت أن ترجع معه، و توعّده قومها بالقتل فانصرف عنهم، و أقبل عليها فقال لها: يا ليلى، خبّري صواحبك[5]عنّي كيف أنا؛ فقالت: ما أرى لك عقلا!أ تراني قد اخترت عليك و تقول: خبّري عنّي!فقال في ذلك: /

تحنّ إلى ليلى بجوّ[6]بلادها # و أنت عليها بالملا[7]كنت أقدرا

و كيف ترجّيها و قد حيل دونها # و قد جاوزت حيّا بتيماء منكرا

/لعلّك يوما أن تسرّي[8]ندامة # عليّ بما جشّمتني يوم غضورا[9]

و هي طويلة. قال: ثمّ إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس ثم من بني سكين يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم إلاّ يوما حتّى استنقذها قومها؛ فبلغ عروة أنّ عامر بن الطّفيل فخر بذلك و ذكر أخذه إيّاها، فقال عروة يعيّرهم[10]بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية: إن تأخذوا أسماء موقف ساعة # فمأخذ ليلى و هي عذراء أعجب

لبسنا زمانا حسنها و شبابها # و ردّت إلى شعواء و الرّأس أشيب

[1]كذا في ط. و في ب، س: «تحدّ» . و في حـ: «لحدّ» و المراد أنها باتت متكئة على مرفقيها.

[2]في «ديوان الحماسة» «مكبة» .

[3]بين هذا البيت و البيت الذي قبله بيت يتوقف عليه فهم الأبيات و هو: فلما ترجت نفعه و شبابه # أتت دونه أخرى جديد نكحل

[4]في حـ: «أنها تتجمل» و في ء: «قد تحمل» .

[5]في أ، م، ط، ء: «صواحباتك» و هو صحيح أيضا، حكى الفارسي عن أبي الحسن: «هن صواحبات يوسف» جمعوا صواحب جمع السلامة.

[6]كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «بحرّ» و حر البلاد (بضم الحاء) : وسطها، يقال نزل في حرّ الدار أي في وسطها، و حرّ كل أرض وسطها.

[7]الملا: المتسع من الأرض.

[8]تسري: تكشف.

[9]غضور: مدينة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة و كنانة، و بهذا شرح ابن السكيت غضور في قول عروة: عفت بعدنا من أم حسان غضور # و في الرمل منها آية لا تغير

(انظر «معجم البلدان» لياقوت في اسم «غضور») .

[10]أنكر صاحب «القاموس» استعمال «عير» متعديا بالباء و قال: و عيره الأمر و لا تقل بالأمر. و قال صاحب «اللسان» : و العامّة تقول عيره بكذا. و لكن المرزوقي في «شرح الحماسة» صرح بأنه يتعدّى بالباء قال: و «المختار» تعديته بنفسه (انظر «شرح القاموس» للسيد مرتضى) .

كمأخذنا حسناء كرها و دمعها # غداة اللّوي معصوبة يتصبّب

خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها و قال في ذلك شعرا:

و قال ابن الأعرابيّ: أجدب ناس من بني عبس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم و أصابهم جوع شديد و بؤس، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته، فلمّا بصروا به صرخوا و قالوا: يا أبا الصّعاليك، أغثنا؛ فرقّ لهم و خرج ليغزو بهم/و يصيب معاشا، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوّفت عليه من الهلاك، فعصاها و خرج غازيا، فمرّ بمالك بن حمار الفزاريّ ثم الشّمخيّ[1]؛ فسأله: أين يريد؟فأخبره، فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها؛ و أشار عليه مالك أن يرجع، فعصاه و مضى حتّى انتهى إلى بلاد بني القين، فأغار عليهم فأصاب هجمة[2]عاد بها على نفسه و أصحابه؛ و قال في ذلك: أرى أمّ حسّان الغداة تلومني # تخوّفني الأعداء و النّفس أخوف

تقول سليمى لو أقمت لسرّنا # و لم تدر أنّى للمقام أطوّف

لعلّ الذي خوّفتنا من أمامنا # يصادفه في أهله المتخلّف

و هي طويلة.

و قال في ذلك أيضا:

أ ليس ورائي أن أدبّ على العصا # فيشمت[3]أعدائي و يسأمني أهلي

رهينة قعر البيت كلّ عشيّة # يطيف بي[4]الولدان أهدج[5]كالرّأل

أقيموا بني لبنى صدور ركابكم # فكلّ منايا النّفس[6]خير من الهزل[7]

فإنكم لن تبلغوا كلّ همّتي # و لا أربى[8]حتّى تروا منبت الأثل[9]

/لعلّ ارتيادي في البلاد و حيلتي[10] # و شدّي حيازيم المطيّة بالرّحل

سيدفعني يوما إلى ربّ هجمة # يدافع عنها بالعقوق و بالبخل

[1]انظر الكلام عليه في الحاشيتين رقم 2، 3 ص 329 من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

[2]انظر الكلام عليه في الحاشية رقم 3 ص 79 من هذا الجزء.

[3]في «ديوان الحماسة» «فيأمن» .

[4]في «ديوان الحماسة» : «يلاعبني الولدان» .

[5]أهدج: وصف من الهدج أو الهدجان، و هو اضطراب المشي من الكبر. و لهذا سموا مشية الشيخ هدجانا. و الرأل: ولد النعام أو حوليه. و

شبه الشيخ به في مشيته لأن في مشيته ارتعاشا، يقال: هدج الظليم يهدج هدجانا إذا مشى وعدا في ارتعاش.

[6]في ط: «فكل منايا القوم» . و في «ديوان الحماسة» : فإن منايا القوم شر من الهزل

و هو لا يؤدّي المعنى المراد.

[7]الهزل: الضعف و قلة الشحم و اللحم و هو نقيض السمن.

[8]في ط، ء، أ، م: «أربتي» .

[9]يريد بلاد بني القين و في «ديوان الحماسة» : «منبت النخل» و هو بيثرب.

[10]الرواية فيما تقدّم ص 79: «و بغيتي» .

59

قصته مع هزلي أغار على فرسه:

نسخت من «كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف» قال حدّثني حرّ[1]بن قطن أنّ ثمامة بن الوليد دخل على المنصور؛ فقال: يا ثمامة، أتحفظ حديث ابن عمّك عروة الصّعاليك بن الورد العبسيّ؟فقال: أيّ حديثه يا أمير المؤمنين؟فقد كان كثير الحديث حسنه؛ قال: حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسه؛ قال: ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين؛ فقال المنصور: خرج عروة حتّى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلين و قد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أورى نارا فشواها و أكلها و دفن النّار على مقدار ثلاث أذرع و قد ذهب اللّيل و غارت النّجوم، ثمّ أتى سرحة[2]فصعدها و تخوّف الطّلب، فلما تغيّب فيها إذ الخيل قد/جاءت و تخوّفوا البيات[3]. قال:

فجاءت جماعة منهم و معهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رمحه في موضع النّار و قال: لقد رأيت النّار هاهنا؛ فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئا، فأكبّ القوم على الرّجل[4]يعذلونه و يعيبون أمره و يقولون: عنّيتنا في مثل هذه اللّيلة القرّة و زعمت لنا شيئا كذبت فيه؛ فقال: ما كذبت، و لقد رأيت النّار في موضع رمحي؛ فقالوا: ما رأيت شيئا و لكن تحذلقك[5]و تدهّيك[6]هو الذي حملك على هذا، /و ما نعجب إلاّ لأنفسنا حين أطعنا أمرك و اتّبعناك؛ و لم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم. و اتّبعهم عروة، حتّى إذا وردوا منازلهم جاء عروة فتكمّن[7] في كسر[8]بيت؛ و جاء الرّجل إلى امرأته و قد خالفه إليها عبد أسود، و عروة ينظر، فأتاها العبد بعلبة فيها لبن فقال: اشربي؛ فقالت لا، أو تبدأ، فبدأ الأسود فشرب؛ فقالت للرجل حين جاء: لعن اللّه صلفك[9]!عنّيت قومك منذ اللّيلة؛ قال: لقد رأيت نارا، ثمّ دعا بالعلبة ليشرب، فقال حين ذهب ليكرع: ريح رجل و ربّ الكعبة!فقالت امرأته: و هذه أخرى، أيّ[10]ريح رجل تجده في إنائك غير ريحك!ثم صاحت، فجاء قومها فأخبرتهم خبره، فقالت: يتّهمني و يظنّ بي الظّنون!فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجع عن قوله؛ فقال عروة: هذه ثانية. قال ثم أوى الرجل إلى فراشه، فوثب عروة إلى الفرس و هو يريد أن يذهب به، فضرب الفرس بيده و تحرّك[11]، فرجع عروة إلى موضعه، و وثب الرجل فقال: ما كنت لتكذبيني[12]فمالك؟فأقبلت عليه امرأته لوما و عدلا. قال: فصنع عروة ذلك [1]في ط، ء: «جزء» . و في أ، م: «جز» بدون همزة. و الذي في «شرح القاموس» مادة: قطن «و قطن أبو حرب» و كلاهما محدّث، و ورد له ذكر في الطبري قسم 2 ص 1980 طبع أوروبا، فلعل ما هاهنا تحريف عن «حرب» .

[2]السرحة: واحدة السرح و هو شجر كبار عظام طوال لا ترعى و إنّما يستظل به، و قيل: السرح كل شجر طال.

[3]البيات: الإيقاع بالقوم ليلا من دون أن يعلموا، و هو اسم مصدر لبيت كالكلام من كلم، يقال: بيتنا القوم أي أوقعنا بهم ليلا و هم لا يعلمون.

[4]في ء، حـ، ط: «فركب القوم الرجل يعذلونه» و المعنى علوه بعذلهم.

[5]التحذلق: إظهار الإنسان الحذق، أو ادعاؤه أكثر مما عنده.

[6]كذا في أكثر النسخ، و التدهي: أن يفعل الإنسان فعل الدهاة. و في ب، س، حـ: «تداهيك» و لم نجد في «اللسان» و لا في «القاموس» «تفاعل» من هذه المادة.

[7]كذا في أكثر الأصول. و لم نجد في «اللسان» و لا في «القاموس» «تفعّل» من هذه المادة، و إنما يقال: «كمن» و «اكتمن» أي اختفى.

و في ط: «فتمكن» .

[8]كسر البيت: جانبه.

[9]كذا في أكثر النسخ، و الصلف: مجاوزة الرجل قدر الظرف و ادعاؤه فوق ذلك إعجابا و تكبرا. و في ب، س، حـ: «صلبك» بالباء.

[10]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، حـ: «و أي ريح» بزيادة الواو.

[11]كذا في أ، م. و في سائر النسخ: «و نخر» .

[12]في ب، س: «لتكذبيني» و هو تحريف، و الفرس يقع على الذكر و الأنثى و المراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد.

ثلاثا و صنعه[1]الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه و ضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم إليك اللّيلة؛ و أتاه عروة فحال[2]في متنه و خرج ركضا، و ركب الرجل/فرسا عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمعه خلفي يقول: الحقي فإنك من نسله. فلما انقطع عن البيوت، قال له عروة بن الورد: أيّها الرجل قف، فإنك لو عرفتني لم تقدم عليّ، أنا عروة بن الورد، و قد رأيت اللّيلة منك عجبا، فأخبرني به و أردّ إليك فرسك؛ قال: و ما هو؟ قال: جئت مع قومك حتّى ركزت رمحك في موضع نار قد كنت أوقدتها فثنوك عن ذلك فانثنيت و قد صدقت، ثم اتّبعتك حتّى أتيت منزلك و بينك و بين النار ميلان فأبصرتها منهما، ثم شممت رائحة رجل في إنائك، و قد رأيت الرجل حين آثرته زوجتك بالإناء، و هو عبدك الأسود و أظن أن بينهما ما لا تحبّ، فقلت: ريح رجل؛ فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى انثنيت، ثم خرجت إلى فرسك فأردته فاضطرب و تحرّك فخرجت إليه، ثم خرجت و خرجت، ثم أضربت عنه، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس و لكنك تنثني و ترجع؛ فضحك و قال: ذلك لأخوال السّوء، و الذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي و هم هذيل، و ما رأيت من كعاعتي[3]فمن قبل أخوالي و هم بطن من خزاعة، و المرأة التي رأيت عندي امرأة منهم و أنا نازل فيهم، فذلك الذي يثنيني عن أشياء كثيرة، و أنا لا حق بقومي و خارج عن أخوالي هؤلاء و مخلّ سبيل المرأة، و لو لا ما رأيت من كعاعتي لم يقو على مناوأة قومي أحد من العرب. فقال عروة: خذ فرسك راشدا؛ قال: ما كنت لآخذه منك و عندي من نسله جماعة مثله، فخذه مباركا لك فيه. /قال ثمامة: إنّ له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا.

قصة غزوة لماوان و حديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه:

قال المنصور: أ فلا أحدّثك له بحديث هو أظرف من هذا؟قال: بلى يا أمير المؤمنين، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره؛ قال: خرج عروة و أصحابه حتى أتى ماوان/فنزل أصحابه و كنف عليهم كنيفا من الشجر، و هم أصحاب الكنيف الذي سمعته قال فيهم: ألا إنّ أصحاب الكنيف وجدتهم # كما الناس لمّا أمرعوا و تموّلوا

و في هذه الغزاة يقول عروة:

أقول لقوم[4]في الكنيف تروّحوا # عشيّة قلنا حول ماوان رزّح[5]

و في هذه القصيدة يقول:

ليبلغ[6]عذرا أو يصيب غنيمة # و مبلغ نفس عذرها مثل[7]منجح

[1]في ب، س: «لتكذبيني» و هو تحريف، و الفرس يقع على الذكر و الأنثى و المراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد.

[2]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، حـ: «و منعه» بالميم و هو تحريف.

[3]الكعاعة: الجبن و الضعف.

[3]كذا في أكثر النسخ. و في «اللسان» : حال في متن فرسه حئولا إذا وثب و ركب. و في ب، س: «فجال» بالجيم.

[4]كذا في حـ. و في باقي الأصول: «أقول لأصحاب الكنيف... » و في ط، ء، مع ذكرهما هذه الرواية الأخيرة، زيادة تؤيد رواية حـ و هي: «الرواية أقول لقوم في الكنيف، ليكون رزح محمولا عليه» . و في «ديوان الحماسة» .

و هي: «الرواية أقول لقوم في الكنيف، ليكون رزح محمولا عليه» . و في «ديوان الحماسة» .

قلت لقوم في الكنيف تروّحوا # عشية بتنا عند ماوان رزح

[5]و رزح جمع رازح، و الرازح: الهالك هزالا.

[6]في الأصل: «لتبلغ، و نصيب» و الصواب ما أثبتناه لقوله قبل هذا البيت: و من يك مثلى ذا عيال و مقترا # من المال يطرح نفسه أي مطرح

[7]في ب، س: «منك منجح» و هو تحريف.

61

ثم مضى يبتغي لهم شيئا و قد جهدوا، فإذا هو بأبيات شعر و بامرأة قد خلا من سنّها و شيخ كبير كالحقاء[1] الملقى، فكمن في كسر بيت منها، و قد أجدب الناس و هلكت الماشية، فإذا هو في البيت بسحور ثلاثة مشويّة- فقال ثمامة: و ما السّحور؟قال: الحلقوم بما فيه-و البيت خال فأكلها، و قد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئا فاشبعته و قوي، فقال: لا أبالي من لقيت بعد هذا. و نظرت المرأة فظنّت أنّ الكلب أكلها فقالت للكلب: أ فعلتها يا خبيث!و طردته. فإنه لكذلك/إذا هو عند المساء بإبل قد ملأت الأفق و إذا هي تلتفت فرقا، فعلم أن راعيها جلد شديد الضرب لها، فلما أتت المناخ بركت، و مكث الراعي قليلا ثم أتى ناقة منها فمرى[2]أخلافها، ثم وضع العلبة على ركبتيه و حلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها ذلك[3]و سقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم التفع بثوب و اضطجع ناحية، فقال الشيخ للمرأة و أعجبه ذلك: كيف ترين ابني؟فقالت: ليس بابنك!قال: فابن من ويلك؟قالت: ابن عروة بن الورد، قال: و من أين؟قالت: أتذكر يوم مرّ بنا يريد[4]سوق ذي المجاز فقلت: هذا عروة بن الورد، و وصفته لي بجلد فإني استطرفته[5]. قال: فسكت، حتى إذا نوّم[6]وثب عروة و صاح بالإبل فاقتطع منها نحوا من النصف و مضى و رجا ألاّ يتبعه الغلام-و هو غلام حين بدا شاربه-فاتّبعه. قال: فاتخذا[7]و عالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائما، فتخوّفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به و بادره، فقال: إنّي عروة بن الورد، و هو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال: فارتدع، ثم قال مالك ويلك!لست أشكّ أنك قد سمعت ما كان من أمّي؛ قال قلت نعم. فاذهب معي أنت و أمك و هذه الإبل ودع هذا الرجل فإنه لا ينهاك[8]عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليل، و أنا مقيم معه ما بقي، فإن له حقّا و ذماما، فإذا هلك فما أسرعني إليك، و خذ من هذه الإبل بعيرا؛ قلت: لا يكفيني، إنّ معي/أصحابي[9]قد خلّفتهم؛ قال: فثانيا، قلت لا؛ قال: فثالثا، و اللّه لا زدتك على ذلك[10]. فأخذها و مضى إلى أصحابه، ثم إنّ الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ.

قال: و اللّه يا أمير المؤمنين لقد زيّنته عندنا و عظّمته في قلوبنا؛ قال: فهل أعقب عندكم؟قال لا، و لقد كنا نتشاءم /بأبيه، لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس و فزارة بمراهنته حذيفة، و لقد بلغني أنه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه و يقرّبه، فقيل له: أ تؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه!قال: أ ترون هذا الأصغر!لئن بقي مع ما رأى ما شدّة نفسه ليصيرنّ الأكبر عيالا عليه.

[1]كذا في أكثر النسخ. و الحقاء: الإزار. و في ب، س، حـ: «كالخباء» .

[2]مري أخلافها: مسح ضرعها لتدرّ.

[3]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س، حـ: «كذلك» .

[4]كذا في أ، م. و في أكثر الأصول: «مرّ بنا و نحن نريد» .

[5]كذا في ط، ء. و استطرفته: عددته طريفا. و لعلها: استظرفته. و في باقي الأصول: «استطرقته» بالقاف.

[6]نوّم: مبالغة في نام.

[7]كذا في ط، ء. يقال اتخذ القوم إذا أخذ بعضهم بعضا في القتال. و في حـ: «فاتحدا» . و في باقي الأصول: «فانحدرا» .

[8]كذا في ء و هامش ط. و معنى لا ينهاك عن شيء أنه لا غناء فيه فلا ينهاك عن تطلب غيره. و في ب، س: «لا يهنئك» و في باقي الأصول «لا ينهيك» و كلاهما تحريف.

[9]في حـ: «أصحابا» .

[10]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، حـ: «و اللّه لا زدتك على ذلك شيئا» بزيادة كلمة شيء.

62

صوت من المائة المختارة

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا # فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحة # لم أبك منك على دنيا و لا دين

الشعر لذي الإصبع العدوانيّ، و الغناء لفيل[1]مولى العبلات هزج خفيف بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

معنى قوله أزرى بنا: قصّر بنا، يقال: زريت عليه إذا عبت عليه فعله، و أزريت به إذا قصّرت به في شيء. و شالت نعامتهم إذا انتقلوا بكلّيتهم، يقال: شالت نعامتهم، و زفّ رألهم، إذا انتقلوا[2]عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد و لم يبق لهم فيه شيء. و خالني: ظنني، يقال: خلت كذا و كذا فأنا أخاله إذا ظننته. و الجائحة: النازلة التي تجتاح و لا تبقى على ما نزلت به.

[1]كذا في ط، ء. و في باقي النسخ «نفيل» بزيادة نون. و قد اضطربت فيه النسخ فيما سيأتي عند ذكر ترجمته، فذكر في ط، ء، «فيل» و في باقي الأصول «قيل» بالقاف. و ستأتي ترجمته في هذا الجزء.

[2]في ط، ء: «إذا استقلوا» .

22-ذكر ذي الإصبع العدوانيّ و نسبه و خبره

نسبه و هو شاعر فارس جاهلي:

هو حرثان بن الحارث بن محرّث بن ثعلبة بن سيّار[1]بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد[2]بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد[3]بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، أحد بني عدوان و هم بطن من جديلة. شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية و له غارات كثيرة في العرب و وقائع مشهورة.

فنيت عدوان فرثاها:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع و ابن عمّار و الأسديّ، قالوا حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثنا أبو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال: نزلت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل[4]سوى من كان مختونا لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع:

صوت

عذير الحيّ من عدوا # ن كانوا حيّة الأرض[5]

بغى بعضهم بعضا # فلم يبقوا على بعض

فقد صاروا أحاديث # برفع القول و الخفض[6]

/و منهم كانت السّادا # ت و الموفون بالقرض

و منهم من يجيز النا # س بالسّنة و الفرض

و منهم حكم يقضي # فلا ينقض ما يقضي

غنّى في هذه الأبيات مالك ثقيلا[7]أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو.

[1]كذا في جميع النسخ. و الذي جاء في «شرح ابن الأنباري» على «المفضليات» للضبيّ ص 313 طبع بيروت: «شباث» . و في «الخزانة» للبغدادي ج 2 ص 408: «شبابة» .

[2]كذا في جميع النسخ. و الذي في «شرح المفضليات» و «الخزانة» للبغدادي: «عياذ» .

[3]كذا في أكثر النسخ و «شرح المفضليات» و «الخزانة» . و في ب، س: «سعيد» .

[4]الأغرل: الذي لم يختن.

[5]يقول: هات عذرا فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد و التباغض و القتل بعد ما كانوا حية الأرض التي يحذرها كل أحد، و العرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب حية الأرض.

[6]يعني بقوله هذا: أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها و يخفضونها، و معنى يخفضونها: يسرونها.

[7]كذا في ب، س، حـ و في باقي النسخ: «ثقيل الأول» بالإضافة. ـ

/و أما قول ذي الإصبع:

و منهم حكم يقضي

فإنه يعني عامر بن الظّرب العدوانيّ، كان حكما للعرب تحتكم إليه.

من قرعت له العصا:

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن محمد بن حبيب قال: قيس تدّعي هذه الحكومة و تقول: إنّ عامر بن الظّرب العدوانيّ هو الحكم و هو الذي كانت العصا تقرع له، و كان قد كبر فقال له الثاني من ولده: إنك ربّما أخطأت في الحكم فيحمل عنك؛ قال: فاجعلوا لي أمارة أعرفها فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم و الصواب، فكان يجلس قدّام بيته و يقعد ابنه في البيت و معه العصا، فإذا زاغ[1] أو هفا قرع له الجفنة فرجع إلى الصواب. و في ذلك يقول المتلمّس: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا # و ما علّم الإنسان إلا ليعلما

قال ابن حبيب: و ربيعة تدّعيه لعبد اللّه بن عمرو بن الحارث بن همّام. و اليمن تدّعيه لربيعة بن مخاشن، و هو ذو الأعواد، و هو أوّل من جلس على منبر أو سرير و تكلّم؛ و فيه يقول الأسود بن يعفر: و لقد علمت لو أنّ علمي نافعي # أنّ السبيل سبيل ذي الأعواد

/أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دلف قال أخبرنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ارتحلت عدوان من منزل، فعدّ فيهم أربعون ألف غلام أقلف[2]. قال الرياشيّ و أخبرني رجل عن هشام بن الكلبيّ قال: وقع على إياد البقّ فأصاب كلّ رجل منهم بقّتان.

استعراض عبد الملك بن مروان أحياء العرب و سؤاله عن ذي الإصبع:

أخبرني أحمد بن عبيد[3]اللّه بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزّياديّ، و أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبة و لم يسنده إلى أحد و روايته أتمّ: أنّ عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس لعرض[4]أحياء العرب-و قال عمر بن شبة: إنّ مصعب بن الزبير كان صاحب هذه القصّة-فقام إليه معبد بن خالد الجدليّ، و كان قصيرا دميما، فتقدّمه إليه رجل منا حسن الهيئة؛ قال معبد: فنظر عبد الملك إلى الرجل و قال: ممن أنت؟فسكت و لم يقل شيئا و كان منّا، فقلت

من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة؛ فأقبل على الرجل و تركني، فقال: من أيّكم ذو الإصبع؟قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان عدوانيّا؛ فأقبل على الرجل و تركني و قال: لم سمّي ذا الإصبع؟قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشته حية في إصبعه فيبست؛ فأقبل على الرجل و تركني، فقال: و بم كان يسمّى قبل [1]في حـ، ء: «زل» .

[2]الأقلف: الذي لم يختن.

[3]تقدم هذا الاسم غير مرة «أحمد بن عبيد اللّه» . و قد ذكر هنا باتفاق النسخ: «أحمد بن عبد اللّه» .

[4]في ء، ط: «يعترض» .

ذلك؟قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمّى حرثان؛ فأقبل على الرجل و تركني، فقال: من أيّ عدوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر: /

و أما بنو ناج فلا تذكرّنّهم # و لا تتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفا لأصلح بينهم # يقول وهيب لا أسالم ذلكا

و روى عمر بن شبة: لا أسلّم.

فأضحى كظهر الفحل جبّ سنامه # يدبّ إلى الأعداء أحدب باركا

/فأقبل على الرجل و تركني و قال أنشدني قوله:

عذير الحيّ من عدوان

قال الرجل: لست أرويها؛ قلت: يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك؛ قال: ادن منّي، فإني أراك بقومك عالما؛ فأنشدته: و ليس المرء في شيء # من الإبرام و النقض

إذا أبرم أمرا خا # له يقضي و ما يقضي

يقول اليوم أمضيه # و لا يملك ما يمضي

عذير الحيّ من عدوا # ن كانوا حيّة الأرض

بغى بعضهم بعضا # فلم يبقوا على بعض

فقد صاروا أحاديث # برفع القول و الخفض

و منهم كانت السادا # ت و الموفون بالقرض

و منهم حكم يقضي # فلا ينقض ما يقضي

و منهم من يجيز النا # س بالسّنّة و الفرض

و هم من ولدوا أشبوا[1] # بسرّ الحسب المحض

و ممّن ولدوا عامـ # ـر ذو الطول و ذو العرض[2]

و هم بوّوا[3]ثقيفا دا # ر لا ذلّ و لا خفض

/فأقبل على الرجل و تركني و قال: كم عطاؤك؟فقال: ألفان، فأقبل عليّ فقال: كم عطاؤك؟فقلت: خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه و قال: اجعل الألفين لهذا و الخمسمائة لهذا؛ فانصرفت بها.

و قوله: «و منهم من يجيز الناس» فإنّ إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذتها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم [1]يقال: أشبى فلان إذا ولد له

ولد كيس.

[2]كذا في ب، س. و في أ، م: «و ممن ولدوا عامر ذا الطول إلخ» . و في ط، ء: «و هم من ولدوا عامر ذا الطول إلخ» .

[3]بوّوا: أنزلوا، و الأصل بوءوا، و حذف الهمز للتخفيف.

يقال له أبو سيّارة أحد بني وابش[1]بن زيد[2]بن عدوان. و له يقول الراجز: خلّوا السبيل عن أبي سيّاره # و عن مواليه بني فزاره

حتى يجيز سالما حماره # مستقبل الكعبة يدعو جاره

قال: و كان أبو سيارة يجيز الناس في الحج بأن يتقدّمهم على حمار، ثم يخطبهم فيقول: اللهم أصلح بين نسائنا، و عاد بين رعائنا، و اجعل المال في سمحائنا، أوفوا بعهدكم، و أكرموا جاركم، و اقروا ضيفكم، ثم يقول: أشرق[3]ثبير كيما نغير، و كانت هذه إجازته، ثم ينفر[4]و يتبعه الناس. ذكر ذلك أبو عمرو الشّيبانيّ و الكلبيّ و غيرهما.

قصته مع بناته الأربع و قد أردن الزواج:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو بكر العليميّ قال حدّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال: كان لذي الإصبع أربع بنات و كنّ يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهنّ فيستحين و لا يزوّجهنّ، و كانت أمّهنّ تقول: لو زوّجتهنّ!فلا يفعل. قال: فخرج ليلة إلى متحدّث لهنّ فاستمع عليهنّ و هنّ لا يعلمن فقلن: تعالين نتمنّى و لنصدق، فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى # حديث الشباب[5]طيب الريح و العطر[6]

طبيب بأدواء النساء كأنه # خليفة جان لا ينام على وتر

/فقلن لها: أنت تحبّين رجلا ليس من قومك. فقالت الثانية:

ألا هل أراها ليلة و ضجيعها # أشمّ كنصل السيف غير مبلّد

لصوق بأكباد النساء و أصله # إذا ما انتمى من سرّ أهلي و محتدي

فقلن لها: أنت تحبّين رجلا من قومك. فقالت الثالثة:

ألا ليته يملا الجفان لضيفه[7] # له جفنة يشقى بها النّيب[8]و الجزر[9]

[1]كذا في أ، ء، ط. و قد أورد صاحب «القاموس» هذا الاسم في مادة «وبش» قال: «و بنو وابش بن زيد بن عدوان بطن من قيس عيلان» . و في باقي النسخ: «قايش» و هو تحريف.

[2]كذا في ط، ء، حـ و هو الصواب. و في باقي النسخ: «يزيد» و هو تحريف.

[3]هذا مثل، و معناه ادخل يا ثبير في الشروق و هو ضوء الشمس كما تقول: أشمل أي دخل في الشمال و أجنب أي دخل في الجنوب.

و كيما نغير أي كيما نسرع للنحر من قولهم أغار إغارة الثعلب أي أسرع و دفع في عدوه. و ثبير: جبل بمكة. قال عمر رضي اللّه عنه: كان المشركون يقولون ذلك و لا يفيضون، حتى تطلع الشمس فخالفهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. و هو يضرب في الإسراع و العجلة.

[4]في ط، ء: «ينفذ» بالذال المعجمة.

[5]في ب، س، حـ: «حديث شباب» .

[6]في حـ: «و النشر» .

[7]روي هذا الشطر في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 317 هكذا:

ألا ليته يعطي الجمال بديهة

[8]النيب جمع ناب و هي الناقة المسنة، و قيل لها ناب لطول نابها.

[9]الجزر بضم الزاي و سكن للضرورة جمع جزور، و هي الناقة المجزورة، و إنما عطفت على النيب لأن من الإبل ما يكون جزورا للنحر لا غير.

67

له حكمات[1]

الدّهر من غير كبرة # تشين و لا الفاني و لا الضّرع الغمر[2]

/فقلن لها: أنت تحبّين رجلا شريفا. و قلن للصّغرى: تمنّي؛ فقالت: ما أريد شيئا؛ قلن: و اللّه لا تبرحين حتّى نعلم ما في نفسك؛ قالت: زوج من عود خير من قعود. فلمّا سمع ذلك أبوهنّ زوّجهنّ أربعتهنّ. فمكثن برهة ثم اجتمعن إليه، فقال للكبرى: يا بنيّة، ما مالكم؟قالت: الإبل؛ قال: فكيف تجدونها؟قالت: خير مال، نأكل لحومها مزعا[3]، و نشرب ألبانها جرعا، و تحملنا و ضعيفنا معا؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟قالت: خير زوج يكرم الحليلة، و يعطي الوسيلة[4]؛ قال: مال عميم و زوج كريم. ثم قال للثانية: يا بنيّة ما مالكم؟قالت: البقر؛ قال: فكيف تجدونها؛ قالت: خير مال، تألف الفناء، و تودّك[5]السّقاء، و تملأ الإناء، و نساء في نساء؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟قالت: خير زوج يكرم أهله و ينسى فضله؛ قال: حظيت و رضيت. ثم قال للثالثة: ما مالكم؟قالت: المعزى؛ قال: فكيف تجدونها؟قالت: لا بأس بها نولدها فطما[6]، و نسلخها أدما[7]؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟قالت: لا بأس به ليس بالبخيل الحكر[8]و لا بالسّمح البذر، قال: جدوى[9]مغنية. ثم قال للرابعة: يا بنية، ما مالكم؟قالت: الضّأن؛ قال: و كيف تجدونها؟قالت: شرّ مال، جوف[10]لا يشبعن، و هيم[11] /لا ينقعن، و صمّ[12]لا يسمعن، و أمر مغويتهنّ يتبعن[13]؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟قالت: شرّ زوج، يكرم نفسه و يهين عرسه؛ قال: «أشبه امرأ بعض بزّه» [14].

و ذكر الحسن بن عليل العنزي في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبع الضّاديّة إلاّ الأبيات التي أنشدها و أنّ سائرها منحول.

[1]كذا في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 317؛ و الحكمات جمع حكمة و أصلها الحديدة في اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه.

و المراد بها هنا التجارب لأنها تمنع من ارتكاب ما لا يليق. و في أكثر الأصول: «به محكمات الشيب» . و في بعضها: «له حكمات الحي» و كلاهما تحريف.

[2]الضرع: الضعيف، و الغمر مثلث الغين: من لم يجرب الأمور.

[3]مزعا جمع مزعة بضم الميم و كسرها و هي القطعة من اللحم.

[4]الوسيلة: ما يتقرّب به إلى الغير. و في «الكامل» للمبرد: «و يقرب الوسيلة» .

[5]تودّك السقاء: تجعل فيه الودك و هو الدسم.

[6]جمع فطيم و هو ما يفصل عن الرضاع.

[7]الأدم: اسم لجمع الأديم و هو الجلد أو الأحمر منه أو مدبوغه.

[8]الحكر: المستبد بالشيء.

[9]كذا في جميع النسخ و الجدوى: الغناء و النفع. و في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 318 روى: «جذو مغنية» و قال في تفسيره: الجذو جمع جذوة و أصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار.

[10]جوف: عظام الأجواف.

[11]الهيم: العطاش واحده أهيم أو هيماء، و لا ينقعن: لا يروين.

[12]هذا وارد على وجه التمثيل، و شبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها. و العرب يقولون: أبلد ما يرعى الضأن.

[13]قال عليّ بن عبد اللّه: قلت لأبي عائشة: ما قولها: «و أمر مغويتهن يتبعن» فقال: أ ما تراهن يمرون فتسقط الواحدة منهن في ماء أو و حل و ما أشبه ذلك فيتبعنها إليه. انظر «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 318.

[14]كذا في الأصول و هي إحدى روايتين، و ثانيتهما «أشبه امرؤ بعض بزه» انظر «الكامل» للمبرد ص 318؛ و فيه: أنه أرسله مثلا و لم نجده في «مجمع الأمثال» للميداني و لا في «لسان العرب» .

خرف و أهتر و قال في ذلك شعرا:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد اللّه الحزنبل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ عن أبيه قال: عمّر ذو الإصبع العدواني عمرا طويلا حتى خرّف[1]و أهتر و كان يفرّق ماله، فعذله أصهاره و لاموه و أخذوا على يده[2]؛ فقال في ذلك: أهلكنا اللّيل و النّهار معا # و الدّهر يعدو مصمّما جذعا[3]

فليس فيما أصابني عجب # إن كنت شيبا أنكرت أو صلعا

و كنت إذ رونق الشّباب به # ماء شبابي تخاله شرعا

و الحيّ فيه الفتاة ترمقني # حتّى مضى شأو ذاك فانقشعا[4]

صوت

إنّكما صاحبيّ لم تدعا # لومي و مهما أضق فلن تسعا

لم تعقلا جفوة عليّ و لم # أشتم صديقا و لم أنل طبعا[5]

/إلاّ بأن تكذبا عليّ و ما # أملك أن تكذبا و أن تلعا[6]

لابن سريج في هذه الأبيات لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بالسبّابة و البنصر عن يحيى المكيّ، و الآخر ثقيل أوّل عن الهشاميّ.

و إنّني سوف أبتدي بندى # يا صاحبيّ الغداة فاستمعا

ثمّ سلا جارتي و كنّتها # هل كنت فيمن أراب أو خدعا[7]

أو دعتاني فلم أجب، و لقد # تأمن منّي حليلتي الفجعا[8]

آبى فلا أقرب الخباء إذا # ما ربّه بعد هدأة هجعا

و لا أروم الفتاة زورتها # إن نام عنها الحليل أو شسعا[9]

و ذاك في حقبة خلت و مضت # و الدّهر يأتي على الفتى لمعا[10]

[1]خرف بتثليث الراء: فسد عقله. و أهتر (بالبناء للمفعول فهو مهتر) : فسد عقله من الكبر و صار خرفا، و يقال: أهتر بالبناء للفاعل أيضا، و لكن الوصف منه مهتر على صيغة اسم المفعول شذوذا.

[2]أخذوا على يده: حجروا عليه و منعوه مما يريد أن يفعل.

[3]الجذع: الشاب الحدث.

[4]في ء، حـ: «فانقطعا» .

[5]الطبع: الدنس و العيب.

[6]تلعا: من الولع و هو الكذب، يقال: ولع يلع ولعا و ولعانا أي كذب.

[7]كذا في أ. و في حـ: «قذعا» و قذع: رمى بالفحش و سوء القول. و في باقي الأصول: «فدعا» و ليس له معنى يناسب المقام.

[8]في حـ: «الفزعا» .

[9]شسع: بعد.

[10]لمعا: ألوانا لاختلاف ما يأتي به من خير و شر. و اللمع: واحدته لمعة و هي كل لون خالف لونا آخر.

إن تزعما أنّني كبرت فلم # ألف ثقيلا نكسا و لا ورعا[1]

إمّا تري شكّتي[2]رميح أبي # سعد فقد أحمل السّلاح معا

/أبو سعد: ابنه، و رميح: عصا كانت لابنه يلعب بها مع الصّبيان يطاعنهم بها كالرّمح، فصار يتوكّأ هو عليها و يقوده ابنه هذا بها[3].

السّيف و الرّمح و الكنانة قد # أكملت فيها معابلا[4]صنعا[5]

و المهر صافي الأديم أصنعه[6] # يطير عنه عفاؤه قزعا[7]

أقصر من قيده و أردعه # حتّى إذا السّرب ربع أو فزعا

كان أمام الجياد يقدمها # يهزّ لدنا و جؤجؤا تلعا[8]

فغامس[9]الموت أو حمى ظعنا[10] # أو ردّ نهبا لأيّ ذاك سعى

وصيته لابنه عند موته:

قال أبو عمرو: و لمّا احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا[11]فقال له: يا بنيّ، إن أباك قد فني و هو حيّ و عاش حتّى سئم العيش، و إنّي موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عنّي: ألن جانبك لقومك يحبّوك، و تواضع لهم يرفعوك، /و ابسط لهم وجهك يطيعوك، و لا تستأثر عليهم بشيء يسوّدوك؛ و أكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم و يكبر على مودّتك صغارهم، و اسمح بمالك، و احم حريمك، و أعزز جارك، و أعن من استعان بك، و أكرم ضيفك، و أسرع النّهضة[12]في الصّريخ، فإن لك أجلا لا يعدوك، و صن وجهك عن مسألة أحد شيئا، فبذلك يتم سوددك؛ ثم أنشأ يقول: [1]النكس: الرجل الضعيف الذي لا خير فيه. و الورع: الضعيف لا غناء عنده.

[2]الشكة: السلاح.

[3]في «لسان العرب» مادة رمح: «و أخذ الشيخ رميح أبي سعد: اتكأ على العصا من كبره، و أبو سعد أحد وفد عاد، و قيل هو لقمان الحكيم، قال: إما تري شكّتي رميح أبي # سعد فقد أحمل السلاح معا

و قيل: «أبو سعد كنية الكبر» . و في «القاموس» مادة رمح مثل هذا الذي ذكره صاحب «اللسان» في تفسير «رميح أبي سعد» . و لم يرد فيهما شيء مما ذكره أبو الفرج.

[4]كذا في أكثر الأصول. و المعابل: جمع معبلة و هي نصل عريض طويل. و في ب، س، حـ: «مقابلا» و هو تحريف.

[5]صنعا: جمع صنيع و هو المجرّب المجلوّ، يقال: سيف صنيع و سهم صنيع أي مجرب مجلوّ.

[6]أصنعه: أحسن القيام عليه، يقال: صنعت فرسي صنعا و صنعة أي أحسنت القيام عليه.

[7]العفاء: الشعر الطويل. و القزع: القطع المتفرقة، و كل شيء يكون قطعا متفرقة فهو قزع.

[8]اللدن: اللبن من كل شيء، و لعل المراد منه هنا الكفل. و الجؤجؤ: الصدر. و تلع: منبسط.

[9]غامس الموت: ورده.

[10]ظعنا: جمع ظعينة و هي الزوجة، يقال: هي ظعينة فلان أي زوجته، و هؤلاء ظواعنه أي نساؤه، و سميت الزوجة ظعينة لأن الرجل يظعن بها.

[11]سمي بأسيد كزبير و بأسيد كأمير، و لم نعثر على نص خاص في هذا الاسم.

[12]استعمل ابن جني أسرع متعديا فقال: «و يسرع قبول ما يسمعه» قال صاحب «اللسان» : فهذا إما أن يكون يتعدى بحرف و بغير حرف، و إما أن يكون أراد إلى قبول فحذف و أوصل.

أ أسيد إن مالا ملكـ # ت فسر به سيرا جميلا

آخ الكرام إن استطعـ # ت إلى إخائهم سبيلا

و اشرب بكأسهم و إن # شربوا به السّمّ الثّميلا[1]

أهن اللّئام و لا تكن # لإخائهم جملا ذلولا

إنّ الكرام إذا توا # خيهم وجدت لهم فضولا[2]

ودع الذي يعد العشيـ # رة أن يسيل و لن[3]يسيلا

/أ بنيّ إن المال لا # يبكي إذا فقد البخيلا

صوت

أ أسيد إن أزمعت من # بلد إلى بلد رحيلا

فاحفظ و إن شحط المزا # ر أخا أخيك أو الزّميلا[4]

/و اركب بنفسك إن هممـ # ت بها الحزونة و السّهولا

وصل الكرام و كن لمن # ترجو مودّته وصولا

الغناء للهذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو.

ودع التّواني في الأمو # ر و كن لها سلسا ذلولا

و ابسط يمينك بالنّدى # و امدد لها باعا طويلا

و ابسط يديك بما ملكـ # ت و شيّد الحسب الأثيلا

و اعزم إذا حاولت أمـ # را يفرج الهمّ الدّخيلا

و ابذل لضيفك ذات رحـ # لك[5]مكرما حتّى يزولا

و احلل على الأيفاع للـ # عافين و اجتنب المسيلا

و إذا القروم تخاطرت # يوما و أرعدت الخصيلا[6]

فاهصر كهصر الليث خضّ # ب[7]من فريسته التّليلا[8]

[1]الظاهر أن الثميل هنا الناقع، و لكنا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا الثميل بهذا المعنى، و إنما الوارد الثمال، بضم أوّله، و المثمل و هو السم المنقع أي الذي أنقع فبقي و ثبت.

[2]كذا في ط، ء. و الفضول: جمع فضل، و في باقي الأصول: «قبولا» .

[3]كذا في أكثر الأصول. و في، ط، ء: «و لا» .

[4]كذا في أكثر الأصول، و الزميل: الرفيق في السفر الذي يعينك على أمورك. و في ط، ء، أ: «النزيلا» .

[5]الرحل: المثوى و المنزل.

[6]الخصيل: جمع خصيلة و هي كل لحمة فيها عصب.

[7]في ء، ط: «يخضب» .

[8]كذا في أكثر النسخ. و التليل: العنق. و في ء، ط: «الغليلا» و الغليل: الشعر المجتمع.

و انزل إلى الهيجا إذا # أبطالها كرهوا النزولا

و إذا دعيت إلى المهـ # مّ فكن لفادحه حمولا

استنشد معاوية قيسيا شعره و زاد في عطائه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبيّ قال: جرى بين عبد اللّه بن الزّبير و عتبة بن أبي سفيان لحاء[1]بين يدي معاوية، فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة و يعرّض بمعاوية، حتى أطال و أكثر[من ذلك][2]، فالتفت إليه معاوية متمثّلا و قال: /

ورام بعوران[3]الكلام كأنها # نوافر صبح نفّرتها المراتع

و قد يدحض[4]المرء المواربالخنا # و قد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزّبير: من يقول هذا؟فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أ ترويه؟قال لا؛ فقال: من هاهنا يروي هذه الأبيات؟فقام رجل من قيس فقال: أنا أرويها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشدني؛ فأنشده حتى أتى على قوله: و ساع برجليه لآخر قاعد # و معط كريم ذو يسار و مانع

و بان لأحساب الكرام و هادم # و خافض مولاه سفاها و رافع

و مغض على بعض الخطوب[5]و قد بدت # له عورة من ذي القرابة ضاجع

و طالب حوب باللسان و قلبه # سوى[6]الحقّ لا تخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟قال: سبعمائة؛ قال: اجعلوها ألفا، و قطع الكلام بين عبد اللّه و عتبة.

شعره في ابن عمه و قد عاداه:

قال أبو عمرو[7]: و كان لذي الإصبع ابن عمّ يعاديه فكان يتدسّس إلى مكارهه/و يمشي[8]به إلى أعدائه و يؤلّب عليه و يسعى بينه و بين بني عمّه و يبغيه عندهم شرّا؛ فقال فيه-و قد أنشدنا الأخفش هذه الأبيات[أيضا][9] عن ثعلب و الأحول السّكري: /

يا صاحبيّ قفا قليلا # و تخبّرا عنّي لميسا

[1]اللحاء: المنازعة.

[2]الزيادة عن ط، ء.

[3]كذا في أكثر النسخ و كذلك أصلحه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته طبع بولاق و ورد كذلك في «اللسان» مادة عور. و عوران الكلام: ما

تنفيه الأذن، الواحدة عوراء (انظر «اللسان» مادة عور) و في ب، س: «بعورات» .

[4]كذا في ء، ط، أ: «و يدحض: يزلق و يزل» . و في سائر النسخ: «يرخص» .

[5]في ب، س: «الخصوم» .

[6]سوى الحق: وسطه، يعني أن قلبه ملازم الحق.

[7]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «ابن عمر» .

[8]في ء، ط: «ويشي» .

[9]الزيادة عن ط، ء.

عمّن أصابت قلبه # في مرّها فغدا[1]نكيسا[2]

و لي ابن عمّ لا يزا # ل إليّ منكره[3]دسيسا

دبّت له فأحسّ بعـ # د البرء من سقم رسيسا[4]

إمّا علانية و إمّ # ا مخمرا[5]أكلا[6]و هيسا

إني رأيت بني أبيـ # ك يحمّجون[7]إليّ شوسا[8]

حنقا عليّ و لن ترى # لي فيهم أثرا بئيسا[9]

أنحوا[10]على حرّ الوجو # ه بحدّ مئشار[11]ضروسا

لو كنت[12]ماء لم تكن # عذب المذاق و لا مسوسا[13]

ملحا بعيد القعر قد # فلّت حجارته الفئوسا

منّاع ما ملكت يدا # ك[14]و سائل لهم نحوسا

/و أنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات-و ليس من شعر ذي الإصبع و لكنه يشبه معناه-: لو كنت ماء كنت غير عذب # أو كنت سيفا كنت غير عضب

أو كنت طرفا كنت غير ندب[15] # أو كنت لحما كنت لحم كلب

قال: و في مثله أنشدنا:

[1]في ب، س: «قعدا» و هو تحريف.

[2]النكيس: المريض.

[3]في ط، ء: «مئبره» . و المئبر: اللسان.

[4]الرسيس: أول الحمى.

[5]من أخمر الشيء إذا ستره.

[6]كذا في ط، ء، و الأكل الوهيس: الشديد. و في باقي النسخ: «كهلا» و هو تحريف.

[7]كذا في ط، حـ و معناه يديمون النظر. و قد ورد هذا البيت في «اللسان» في مادة شوس هكذا: أ إن رأيت بني أبيـ # ك محمجين إليك شوسا

و في باقي النسخ:

و هو تحريف.

[8]الشوس بالتحريك: النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا.

[9]البئيس: الشديد المكروه.

[10]كذا في ء، ط. و في باقي النسخ: «أنحى» .

[11]المئشار لغة في المنشار.

[12]في ط، ء: «لو كنت ماء كنت لا» .

[13]المسوس: الماء بين العذب و الملح.

[14]كذا في ط، ء: في باقي الأصول: «يداه» .

[15]يقال: فرس ندب أي ماض نشيط.

لو كنت مخّا كنت مخّا ريرا[1] # أو كنت بردا كنت زمهريرا

أو كنت ريحا كانت الدّبورا

سبب تفرق عدوان و تقاتلهم:

قال أبو عمرو، و كان السبب في تفرّق عدوان و قتال بعضهم بعضا حتى تفانوا: أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان، و نذرت[2]بهم بنو عوف فاقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانية نفر، فيهم عمير بن مالك سيّد بني عوف، و قتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سنان بن جابر، و تفرّقوا على حرب. و كان الذي أصابوه من بني واثلة[3]بن عمرو بن عباد و كان سيّدا، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها و رضوا بذلك، و أبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية، و اعتزل هو و بنو أبيه و من أطاعهم و من[4]و الاهم، و تبعه[5]على ذلك كرب بن خالد[6]أحد بني عبس بن ناج، فمشى إليهما ذو الإصبع و سألهما قبول الدية و قال: قد قتل منّا ثمانية نفر فقبلنا الدية و قتل/منكم رجل فاقبلوا ديته؛ فأبيا ذلك و أقاما على الحرب، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانوا و تقطّعوا. فقال ذو الإصبع في ذلك: و يا بؤس للأيّام و الدّهر هالكا # و صرف اللّيالي يختلفن كذلكا

/أبعد بني ناج و سعيك فيهم # فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفا لأصلح بينهم # يقول مرير لا أحاول ذلكا

فأضحوا كظهر العود جبّ سنامه # تحوم[7]عليه الطير أحدب باركا

فإن تك عدوان بن عمرو تفرّقت # فقد غنيت[8]دهرا ملوكا هنالكا

قصيدته النونية:

و قال أبو عمرو: و في مرير بن جابر يقول ذو الإصبع-و هذه القصيدة هي التي منها[الغناء][9]المذكور- و أوّلها: يا من لقلب شديد[10]الهمّ محزون # أمسى تذكّر ريّا أمّ هارون

أمسى تذكّرها من بعد ما شحطت # و الدّهر ذو غلظ[11]حينا و ذو لين

[1]يقال: مخ رير أي فاسد من الهزال.

[2]يقال: نذر بالشيء أي علمه فحذره.

[3]في، ط: «وائلة» .

[4]كذا في أ. و في باقي النسخ: «و ما» .

[5]في ء، ط: «و تابعه» .

[6]في ء، ط: «جبلة» .

[7]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «يدب إلى الأعداء أحدب باركا» .

[8]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «غيبت» .

[9]التكملة من ط، ء.

[10]في «أمالي القالي» ج 1 ص 255 طبع دار الكتب: «طويل البث» .

[11]كذا في ب، س، حـ. و في باقي النسخ و «أمالي القالي» : «ذو غلظة» . ـ

فإن يكن حبّها أمسى لنا شجنا # و أصبح الولي[1]منها لا يواتيني

فقد غنينا[2]و شمل الدار يجمعنا # أطيع ربّا و ربّا لا تعاصيني

نرمي الوشاة فلا نخطي مقاتلهم # بخالص[3]من صفاء الودّ مكنون

و لي ابن عمّ على ما كان من خلق # مختلفان فأقليه[4]و يقليني

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا # فخالني دونه بل خلته دوني

/لاه[5]ابن عمّك لا أفضلت في حسب # شيئا و لا أنت ديّاني[6]فتخزوني

و لا تقوت عيالي يوم مسغبة # و لا بنفسك في العزّاء[7]تكفيني

فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي # فإنّ ذلك ممّا ليس يشجيني

و لا ترى فيّ غير الصّبر منقصة # و ما سواه فإنّ اللّه يكفيني

لو لا أواصر قربى لست تحفظها # و رهبة اللّه في مولى يعاديني

إذا بريتك بريا لا انجبار له # إنّي رأيتك لا تنفكّ تبريني

إنّ الذي يقبض الدنيا و يبسطها # إن كان أغناك عنّي سوف يغنيني

اللّه يعلمكم و اللّه يعلمني # و اللّه يجزيكم عنّي و يجزيني

ما ذا عليّ و إن كنتم ذوي رحمي # ألاّ أحبّكم إن لم تحبّوني

لو تشربون دمي لم يرو شاربكم # و لا دماؤكم جمعا تروّيني

و لي ابن عمّ لو أنّ الناس في كبدي # لظلّ محتجزا[8]بالنّبل يرميني

يا عمرو إن لا[9]تدع شتمي و منقصتي # أضربك حتى تقول الهامة اسقوني[10]

كلّ امرئ صائر يوما لشيمته # و إن تخلّق أخلاقا إلى حين

إنّي لعمرك ما بابي بذي غلق[11] # عن[12]الصّديق و لا خيري بممنون

[1]كذا في ء، ط. و الولي: القرب. و في سائر النسخ: «الوأي» . و الوأي: الوعد.

[2]غنينا: أقمنا.

[3]في «أمالي القالي» ج 1 ص 255 طبع دار الكتب: «بصادق» .

[4]أقليه: أبغضه.

[5]أصله: للّه ابن عمك، حذفت منه اللام الخافضة.

[6]الديان: القائم بالأمر. و تخزوني: تسوسني و تقهرني.

[7]العزاء: الشدّة.

[8]كذا في ء، ط، و المحتجز: الشادّ مئزره على وسطه و هو كناية عن التهيؤ للأمر و التشمر له. و في ب، س: «منحجزا» .

[9]كذا في حـ و «الأمالي» طبع دار الكتب ج 1 ص 256، و في ط، ء: «إنك إن لا تدع إلخ» . و في أ، م: «يا عمرو إن لم تدع إلخ» .

[10]هذا وارد على ما يزعمه العرب في جاهليتهم من أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره قصير هامة فتزقو عند قبره و تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت.

[11]الغلق: ما يغلق به الباب.

[12]كذا في «المفضليات» ص 326 طبع بيروت. و في جميع الأصول: «على الصديق» .

/

و لا لساني على الأدنى بمنطلق # بالمنكرات و لا فتكي بمأمون

لا يخرج القسر[1]منّي غير مغضبة[2] # و لا ألين لمن لا يبتغي ليني

و أنتم معشر زيد على مائة # فأجمعوا أمركم شتّى فكيدوني

فإن علمتم سبيل الرّشد فانطلقوا # و إن غبيتم[3]طريق الرشد فأتوني

/يا ربّ ثوب حواشيه كأوسطه # لا عيب في الثوب من حسن و من لين

يوما شددت على فرغاء[4]فاهقة # يوما من الدّهر تارات تماريني

ما ذا على إذا تدعونني فزعا # ألاّ أجيبكم إذ لا تجيبوني

و كنت[5]أعطيكم ما لي و أمنحكم # ودّي على مثبت في الصدر مكنون

يا ربّ حيّ شديد الشّغب ذي لجب[6] # ذعرت[7]من راهن منهم و مرهون

رددت باطلهم في رأس قائلهم # حتى يظلّوا خصوما[8]ذا أفانين

يا عمرو لو كنت لي ألفيتني يسرا[9] # سمحا كريما أجازي من يجازيني

قصيدته في رثاء قومه:

قال أبو عمرو: و قال ذو الإصبع يرثي قومه:

و ليس المرء في شيء # من الإبرام و النقض

إذا يفعل شيئا خا # له يقضي و ما يقضي

جديد العيش ملبوس # و قد يوشك أن ينضى[10]

/و قد مضى بعض هذه القصيدة متقدّما في صدر هذه الأخبار، و تمامها:
و أمر اليوم أصلحه # و لا تعرض لما[11]يمضي

[1]كذا في ء، ط، حـ و «المفضليات» . و في سائر النسخ: «لا تخرج النفس» .

[2]في «المفضليات» : «مأبية» و معناه: إذا أكرهت على شيء لم يكن عندي إلا الإباء له.

[3]كذا في ط، ء. و في ب، س: «عييتم» . و في «المفضليات» و «أمالي القالي» : «جهلتم» .

[4]كذا في س، و الفرغاء: الواسعة و المراد طعنة واسعة، و في ء، ط: «فوهاء» ، و الفوهاء: الواسعة. و الفاهقة: التي تفهق بالدم أي تصب.

[5]في ء، ط: «قد كنت» .

[6]اللجب: ارتفاع الأصوات و اختلاطها.

[7]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «دعوت» .

[8]كذا في ء، ط و «المفضليات» ص 326 طبع بيروت، و في باقي النسخ: «حصونا» و هو تحريف.

[9]اليسر: السهل الانقياد.

[10]كذا في ط، ء. و بذلك يكون في هذه الأبيات إقواء، و الإقواء: اختلاف يقع في حركة القافية، و أكثر ما يكون ذلك بين الرفع و الجر، و أما مخالطة النصب لواحد منهما-كما في هذه الأبيات-فقليل، و قد استشهد صاحب «اللسان» لهذا القليل بشواهد كثيرة. و في سائر النسخ: «يغضي» .

[11]كذا في «شعراء النصرانية» طبع بيروت. و في جميع النسخ: «لمن» .

فبينا المرء في عيش # له من عيشة خفض

أتاه طبق[1]يوما # على مزلقة دحض

و هم كانوا فلا تكذب # ذوي القوّة و النّهض

و هم إن ولدوا أشبوا[2] # بسرّ الحسب المحض

لهم كانت أعالي الأر # ض فالسرّان فالعرض[3]

إلى ما حازه الحزن # فما أسهل للحمض[4]

إلى الكفرين من نخلـ # ة فالدّاءة[5]فالمرض

لهم كان جمام[6]الما # ء لا المزجى[7]و لا البرض

فكان الناس إذا همّوا # بيسر خاشع مغضي

تنادوا ثم ساروا بـ # رئيس لهم مرضي

/فمن ساجلهم حربا # ففي الخيبة و الخفض

و هم نالوا على الشّنآ # ن و الشّحناء و البغض

معالي لم ينلها النّا # س في بسط و لا قبض

شعر أمامة بنت ذي الإصبع في رثاء قومها:

قال أبو عمرو: قالت أمامة بنت ذي الإصبع و كانت شاعرة ترثي قومها: كم من فتى كانت له ميعة[8] # أبلج مثل القمر الزاهر

قد مرّت الخيل بحافاته[9] # كمرّ غيث لجب[10]ماطر

[1]الطبق: الشدة، و به فسر قوله تعالى: **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ** .

[2]كذا في «اللسان» مادة «شبا» و في جميع النسخ: و هم من ولدوا أشبوا

يقال: أشبى فلان إذا ولد له ولد كيّس.

[3]لم نعثر على السران اسما لموضع خاص و لعله تثنية السر و هو اسم لمواضع في بلاد العرب (انظر «معجم ياقوت» في اسم السرّ) .

و العرض: وادي اليمامة. و يقال لكل واد فيه قرى و مياه: عرض.

[4]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «للمحض» .

[5]كذا في ء، ط و الداءة (بوزن داعة) : اسم للجبل الذي يحجز بين نخلتين الشامية و اليمانية من نواحي مكة. و في باقي النسخ: «فالدارة»

بالراء.

[6]الجمام: جمع جم و هو الكثير من كل شيء.

[7]المزجى: القليل، و منه بضاعة مزجاة أي قليلة. و البرض: القليل أيضا، يقال: ماء برض، في مقابلة ماء غمر. و في المثل: «برض من عدّ» أي قليل من كثير.

[8]الميعة: أوّل الشباب و أنشطه.

[9]كذا في ط، ء، و في سائر النسخ: «بحافاتهم» .

[10]يقال: غيث لجب أو سحاب لجب، لما فيه من قعقعة الرعد.

قد

لقيت فهم و عدوانها # قتلا و هلكا آخر الغابر

كانوا ملوكا سادة في الذّرى[1] # دهرا لها الفخر على الفاخر

/حتى تساقوا كأسهم بينهم # بغيا فيا للشّارب الخاسر

بادوا فمن يحلل بأوطانهم # يحلل برسم مقفر داثر[2]

شعره في الكبر:

قال أبو عمرو: و لأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع و رأته قد نهض فسقط[3]و توكّأ على العصا فبكت فقال: جزعت أمامة أن مشيت على العصا # و تذكّرت إذ نحن م الفتيان

فلقبل ما رام الإله بكيده # إرما و هذا الحيّ من عدوان

/بعد الحكومة و الفضيلة و النّهي # طاف الزمان عليهم بأوان

و تفرّقوا و تقطّعت أشلاؤهم # و تبدّدوا فرقا بكلّ مكان

جدب البلاد فأعقمت أرحامهم # و الدّهر غيّرهم مع الحدثان

حتى أبادهم على أخراهم # صرعى بكلّ نقيرة و مكان

لا تعجبنّ أمامّ من حدث عرا # فالدّهر غيّرنا مع الأزمان

[1]في ب، س: «الورى» .

[2]كذا في ط، و الداثر: الدارس العافي. و في سائر النسخ: «داسر» بالسين و هو تحريف.

[3]كذا في ط. و في سائر النسخ: «و سقط» بالواو.

23-ذكر قيل[1]مولى العبلات

ولاؤه و غناؤه:

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان يحيى قيل عبدا للثّريّا و رضيّا و أخواتهما بنات[عليّ بن][2]عبد اللّه بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس موليات الغريض.

قال و حدّثني حمّاد قال[حدّثني][2]أبي قال حدّثني ابن أبي جناح قال حدّثنا مقاحف[3]بن ناصح مولى عبد اللّه بن عباس قال قال حدّثني هشام بن المرّيّة-و هي أمّه، و هو مولى بني مخزوم-قال: كان يحيى قيل عبدا لامرأة من العبلات، و له من الغناء:

صوت

و أخرجتها من بطن مكة بعد ما # أصات المنادي للصّلاة و أعتما[4]

فمرّت ببطن اللّيث[5]تهوي كأنما # تبادر بالإصباح نهبا مقسّما

و الشعر لأبي دهبل الجمحيّ. و أوّل هذه القصيدة:

ألا علق القلب المتيّم كلثما

أبو دهبل الجمحي:

و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزّبير بن بكّار قال حدّثني يحيى بن المقداد الزّمعيّ قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب الزّمعيّ قال أنشدني أبو دهبل الجمحيّ لنفسه: ألا علق القلب المتيّم كلثما # لجوجا و لم يلزم من الحبّ ملزما

خرجت بها من بطن مكة بعد ما # أصات المنادي للصّلاة و أعتما

[1]تقدّم هذا الاسم في الجزء الثاني من هذا الكتاب و اضطربت فيه النسخ فبعضها يذكره «قيل» بالقاف، و بعضها يذكره «فيل» بالفاء، و لم نقف على تحقيقه بالمراجع التي بأيدينا.

[2]التكملة عن ء، ط.

[3]كذا ورد هذا الاسم في أكثر النسخ. و في ء، ط ورد مرسوما هكذا: «معاحد» و لم نعثر فيما بين أيدينا من المراجع و لا في موالي ابن عباس على من تسمى بذلك، و قد وجد في موالي ابن عباس من اسمه «نافذ» بالفاء و الذال المعجمة، فلعله محرّف عنه.

[4]أعتم: دخل في العتمة و هي ثلث الليل الأول بعد مغيب الشفق.

[5]كذا في ء، ط، و هو الموافق لما في معجم «ياقوت» من أن الليث (بكسر اللام) : واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز. و في باقي النسخ: «البيت» .

فما نام من راع[1]

و لا ارتدّ سامر # من الحيّ حتى جاوزت بي يلملما[2]

و مرّت ببطن اللّيث تهوي كأنها # تبادر بالإدلاج نهبا مقسّما

أجازت على البزواء[3]و اللّيل كاسر # جناحين بالبزواء وردا[4]و أدهما

فما ذرّ قرن الشمس حتى تبيّنت # بعليب[5]نخلا مشرفا و مخيّما

و مرّت على أشطان[6]دومة[7]بالضحى # فما خزرت[8]للماء عينا و لا فما

/و ما شربت حتى ثنيت زمامها # و خفت عليها أن تحزّ[9]و تكلما

/فقلت لها قد تعت[10]غير ذميمة # و أصبح وادي البرك[11]غيثا مديّما

قال فقلت[له][12]: يا عمّ ما كنت إلا على الريح!فقال: يا ابن أخي إنّ عمّك كان إذا همّ فعل، و هي العجاجة، أ ما سمعت قول أخي ببني مرّة[13]: إذا أقبلت قلت مشحونة # أقلّت[14]لها الريح قلعا[15]جفولا

و إن أدبرت قلت مذعورة # من الرّمد[16]تتبع هيقا[17]ذمولا

[1]كذا في «ياقوت» (في الكلام على يلملم) و إحدى روايتي ط. و في جميع النسخ: (داع) .

[2]يلملم: موضع على ليلتين من مكة و هو ميقات أهل اليمن، و فيه مسجد معاذ بن جبل رضي اللّه عنه.

[3]كذا في «معجم ياقوت» في اسم البزواء و استشهد بهذا الشعر. و البزواء: موضع في طريق مكة قريب من الجحفة. و في ط «النزواء» بالنون و التحريف فيها واضح. و في باقي الأصول: «السرواء» و هو تحريف أيضا إذ لم نجد في الأماكن ما يسمى بهذا الاسم.

[4]الورد: وصف من الوردة و هي لون أحمر يضرب إلى صفرة، يقال: ورد الفرس يورد وردة و ورودة إذا صار وردا أي كلون الورد و هو ما بين الكميت و الأشقر، و المراد بالورد هنا الفجر عند انبثاقه، و بالأدهم آخر ما بقي من سواد الليل.

[5]كذا في أكثر الأصول، و عليب: موضع بتهامة. و في ء و إحدى روايتي ط: «بطيبة» .

[6]الأشطان: جمع شطن و هو الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به.

[7]كذا في أكثر النسخ و الظاهر أن المراد به الدومة و هو واد بين المدينة و خيبر به آبار. انظر «معجم ما استعجم» ص 331، و في ء، ط: «روقة» بالراء و القاف و لم نجده في أسماء الأماكن.

[8]كذا في ء، ط، و في باقي الأصول: «حدرت» .

[9]كذا في ء، و إحدى روايتي ط. و في باقي النسخ: «تجنّ» .

[10]كذا في ط و تعت أسرعت في السير، من تاع الماء يتيع تيعا أي سال على وجه الأرض، و على هامش هذه النسخة «تاع يتيع: انقاد» .

و في ء: «نغت» بالنون و الغين، و لم يظهر له معنى مناسب. و في باقي الأصول: «بعت» .

[11]كذا في ء، ط و هو كما في «معجم ياقوت» : ناحية باليمن بين ذهبان و حلي و هو نصف الطريق بين حلي و مكة، و في باقي الأصول: «البزل» و هو تحريف.

[12]الزيادة عن ء، ط.

[13]هو بشامة بن عمرو الغدير كما في «معجم ياقوت» و البكري في الكلام على «كشب» .

[14]في ء، ط: «أطاعت» .

[15]كذا في ء، ط. و القلع: شراع السفينة، و في باقي النسخ: «خلعا» و هو تحريف.

[16]كذا في ء، ط و «المفضليات» للضبي ص 86 طبع بيروت، و الرمد: جمع رمداء و هي النعامة التي فيها سواد منكسف كلون الرماد، و في باقي النسخ: «الدبر» و هو النحل و الزنابير.

[17]كذا في ء، ط. و الهيق: الظليم و هو ذكر النعام. و في باقي النسخ: «هيفا» بالفاء و هو تحريف، و ذمولا: سريعا.

و إن أعرضت[1]خال فيها البصيـ # ر ما لا يكلّفه أن يفيلا[2]

/يدا[3]سرحا مائرا[4]ضبعها # تسوم[5]و تقدم رجلا زجولا

فمرّت على كشب[6]غدوة # و مرّت فويق أريك[7]أصيلا

تخبّط بالليل حزّانه[8] # كخبط القويّ العزيز الذّليلا

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني ابن[9]أصبغ السلميّ قال: جاء إنسان يغنّي إلى عيّاش المنقريّ بالعقيق فجعل يغنّيه قول أبي دهبل: ألا علق القلب المتيم كلثما

و جعل يعيده فلما أكثر قال له عيّاش: كم تنذر[10]بالعجوز عافاك اللّه!اسم أمي كلثم، قال: و تسمع العجوز، فقالت: لا و اللّه ما كان بيني و بينه شيء. قال: و من غنائه: /

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا # فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحة # لا نبك[11]منك على دنيا و لا دين

[و أوّل هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب [12].

صوت من المائة المختارة

لي ابن عمّ على ما كان من خلق # مختلفان فأقليه و يقليني

[1]أعرضت: رأيتها من عرضها و أحد جانبيها.

[2]كذا في ء، ط، و يفيل: يخطئ، من فال رأيه إذا أخطأ، و المراد أنها إذا رؤيت لم يخطئ البصير في نجابتها. و في باقي النسخ: «يقيلا» بالقاف و هو تحريف.

[3]كذا في ء، ط و «المفضليات» للضبي ص 86 طبع بيروت. و في باقي النسخ: «يد سرح مائر ضبعها» .

[4]يقال: مارت الناقة تمور فهي مائرة إذا كانت نشيطة في سيرها. و الضبع: العضد، و قيل: هو ما بين الإبط إلى نصف العضد.

[5]كذا في ط و «المفضليات» للضبي، و تسوم: تعدو على وجهها، و قيل: تمرّ مرا سهلا. و زجولا بالزاي و الجيم من الزجل و هو الدفع، و المراد تدفع نفسها. و في ب، س: «يسوم و يقدم» .

[6]كذا في «معجم ياقوت» في مادة كشب و البكري، و قد اختلف ضبطه في «ياقوت» و «البكري» و «شرح القاموس» فقد روى بضم أوله و تشديد ثانيه المفتوح كما روى ككتب و ككتف و هو جبل مما يلي حدود اليمن. و في جميع النسخ و «ياقوت» في الكلام على أريك: «فمرت بذي خشب إلخ» و ذو خشب: موضع قرب المدينة.

[7]أريك: جبل في بلاد بني مرة، قال جابر بن حني التغلبي:

تصعّد في بطحاء عرق كأنها # ترقى إلى أعلى أريك بسلم

و قال الأخفش: إنما سمى أريكا لأنه جبل كثير الأراك.

[8]كذا في «المفضليات» و «شرح القاموس» «مادة أرك» و الحزان بكسر الحاء و ضمها: جمع حزين و هو المكان الغليظ الصلب من الأرض، و في الأصول: «حزانة» بالتاء المنقوطة و هو تحريف.

[9]في ء، ط: «أبو الأصبغ» .

[10]كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «كم تنذرنا بالعجوز» .

[11]في ء، ط: «لا أبك» .

[12]هذه الزيادة عن ط.

لاه ابن عمّك لا أفضلت في حسب # عنّي و لا أنت ديّاني فتخزوني

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني[1]ثقيل بالوسطى.

و قد عجبت و ما في الدّهر من عجب # يد تشجّ[2]و أخرى منك تأسوني

صوت من المائة المختارة

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه # يوما فتدركه العواقب قد نما[3]

يجزيك أو يثنى عليك و إنّ من # أثنى عليك بما فعلت فقد جزى[4]

/[عروضه من الكامل][5]. الشعر لغريض[6]اليهودي و هو السموأل[7]بن عادياء، و قيل إنه لابنه سعية[8]بن غريض، و قيل إنه لزيد[9]بن عمرو بن نفيل، و قيل إنه لورقة بن نوفل، و قيل إنه لزهير بن جناب[10]، و قيل إنه لعامر بن المجنون الجرميّ[11]الذي يقال له: مدرج الرّيح، و الصحيح أنه لغريض أو لابنه.

[1]كذا في ء، ط، حـ. و في باقي الأصول: «غنى في هذين البيتين للهذليّ» .

[2]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «تشح» بالحاء و هو تحريف.

[3]انظر الشرح رقم 2 صحيفة 117.

[4]في ط. «كمن جزى» .

[5]الزيادة عن ط، ء.

[6]كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول بالغين المعجمة و في «شرح القاموس» مادة عرض ذكر ابنه سعية فقال: «و كزبير سعية بن عريض و يقال بالغين المعجمة أيضا» و قد جاء في «الإصابة» ج 3 ص 167 في الكلام على سعية أنه سعية بن غريض بفتح الغين المعجمة.

[7]ذكر أبو الفرج هذا الاسم هنا فقال: إن الغريض اليهوديّ هو السموأل بن عادياء و في ترجمة السموأل ج 19 ص 18 طبع بولاق قال: إنه السموأل بن غريض بالغين المعجمة، و قال «صاحب معاهد التنصيص شرح شواهد» التلخيص «إنه السموأل بن عريض» بالعين المهملة.

[8]صحح الأستاذ الشنقيطي في نسخته طبع بولاق هذا الاسم هكذا: سعية بالسين و العين و الياء و سعنة بالسين و العين و النون و كتب فوقه

كلمة «معا» إشارة إلى أن كليهما صحيح، و قد ذكرهما كذلك ابن حجر في كتاب «الإصابة» ، و جاء في «شرح القاموس» مادة سعى «و سعية بن عريض شاعر» . و في جميع الأصول: «شعبة بن غريض» .

[9]كذا في ء، ط و هو الصواب، و في باقي النسخ: «يزيد» .

[10]كذا في ء، ط و هو الصواب. و في حـ: «خناب» . و في باقي النسخ: «خباب» و كلاهما تحريف.

[11]كذا في ء، ط بالجيم و هو الصواب كما في «حماسة البحتري» ص 113 طبعة ليدن و «شرح القاموس» مادة «درج» . و في باقي النسخ: «الحرمي» بالحاء و هو تحريف.

24-[خبر غريض[1]اليهودي]

نسبه و أصل قومه:

و غريض هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان موسى عليه الصلاة و السلام وجّه جيشا إلى العماليق و كانوا قد طغوا[2]و بلغت غاراتهم إلى الشأم و أمرهم إن ظفروا بهم أن يقتلوهم أجمعين، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن لملكهم[3]كان غلاما جميلا فرحموه و استبقوه، و قدموا الشأم بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا: أنتم عصاة لا تدخلون الشأم علينا أبدا، /فأخرجوهم عنها. فقال بعضهم لبعض: ما لنا بلد غير البلد الذي ظفرنا به و قتلنا أهله؛ فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها و ذلك قبل ورود الأوس و الخزرج إياها عند وقوع سيل العرم[4]باليمن، فمن هؤلاء اليهود قريظة و النّضير و بنو قينقاع و غيرهم، و لم أجد لهم نسبا فأذكره لأنهم ليسوا من العرب فتدوّن العرب أنسابهم إنما هم حلفاؤهم، و قد شرحت أخبارهم و ما يغنّى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب.

و الغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء و اسمه محمد و كنيته أبو عبد اللّه، و كان أبوه على الميضأة[5] بالمدينة فعرف بذلك، و هو يسير الصناعة ليس ممن خدم الخلفاء/و لا شهر عندهم شهرة غيره. و هذا الغناء ماخوري بالبنصر و فيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر.

نسب له شعر هو لورقة بن نوفل:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ و عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزّناد عن هشام بن عروة قال:

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه # لغريض اليهودي

تمثلت عائشة أمام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بشعر نزل بمعناه الوحي:

و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمّل بن عبد الرحمن الثّقفيّ قال حدّثني سهل[6]بن المغيرة عن الزّهريّ عن عروة عن عائشة قالت:

[1]الزيادة عن ء، ط.

[2]كذا في ء، ط و هو الصواب. و في باقي النسخ: «قطعوا» و هو تحريف.

[3]كذا في ء، ط. و في باقي النسخ: «ابن لملك لهم» .

[4]كذا في ء، ط. و في باقي النسخ: «السيل العرم» بالتعريف فيهما و العرم: اسم واد و قيل: السيل الذي لا يطاق، و قيل: المطر الشديد.

[5]الميضأة: مطهرة كبيرة يتوضأ منها، و العامة تقول: ميضة.

[6]في ب، س: «إسماعيل» و لم نجد في الرواة من اسمه سهل بن المغيرة و لا إسماعيل بن المغيرة و الظاهر أنه سهل أبو حريز مولى المغيرة، قال عنه ابن حبان يروي عن الزهري العجائب، و له ترجمة في «ميزان الاعتدال» ج 1 ص 431 و في «لسان الميزان» ج 3

دخل عليّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا أتمثّل بهذين البيتين:
ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه # يوما فتدركه العواقب قد نما[1]

يجزيك أو يثني عليك و إنّ من # أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «ردّي عليّ قول اليهوديّ قاتله اللّه!لقد أتاني جبريل برسالة من ربي: أيّما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه و الدعاء له فقد كافأه» .

/قال أبو زيد: و قد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نوفل، و قد ذكر الزّبير بن بكار أيضا أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل و ذكر هذين البيتين في قصيدة أوّلها: رحلت قتيلة عيرها قبل الضحى # و أخال أن شحطت بجارتك[2]النّوى

أ و كلّما رحلت قتيلة غدوة # و غدت مفارقة لأرضهم بكى

و لقد ركبت على السّفين ملجّجا[3] # أذر الصّديق و أنتحي دار العدا

و لقد دخلت البيت يخشى أهله # بعد الهدوء و بعد ما سقط الندى

فوجدت فيه حرّة[4]قد زيّنت # بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

فنعمت بالا إذ أتيت[5]فراشها # و سقطت منها حين جئت على هوى

فلتلك لذّات الشّباب قضيتها # عنّي فسائل بعضهم ما ذا[6]قضى

فرج[7]الرّباب فليس يؤدي فرجه # لا حاجة قضّى و لا ماء بغى

فارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه # يوما فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثني عليك و إنّ من # أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

() ص 123.

[1]جاء في الجزء الثالث من «العقد الفريد» لابن عبد ربه صحيفة 119 في باب (فضائل الشعر) : «و سمع النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم عائشة و هي تنشد شعر زهير بن حباب-و صوابه جناب-تقول: ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه # يوما فتدركه عواقب ما جنى

يجزيك أو يثني عليك فإن من # أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «صدق يا عائشة لا شكر اللّه من لا يشكر الناس» و يرى المتأمل أن في هذه الرواية و البيتين اختلافا عما هو وارد في «الأغاني» .

[2]كذا في ء، ط، و في ب، س، حـ: «تجاريك» . و في أ، م: «تحاريك» بالحاء المهملة و كلاهما تحريف.

[3]ملججا: خائضا اللجة و هي معظم الماء.

[4]في ء، ط «طفلة» بفتح الطاء و هي المرأة الناعمة الرخصة.

[5]في ء، ط: «حين زرت فراشها» .

[6]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «ما قد قضى» .

[7]هذا البيت ساقط في ء، ط: و قد ورد هكذا في باقي النسخ و هو غير واضح.

25-ذكر ورقة بن نوفل و نسبه

نسبه و هو جاهلي اعتزل عبادة الأوثان:

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي بن قصيّ، و أمه هند بنت أبي كثير[1]بن عبد بن قصيّ. /و هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية و طلب الدّين و قرأ الكتب و امتنع من أكل ذبائح الأوثان.

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غير

ارفع ضعيفك...

صوت

و لقد طرقت البيت يخشى أهله # بعد الهدوء و بعد ما سقط الندى

فوجدت فيه حرّة قد زيّنت # بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

الشعر لورقة بن نوفل[2]. و الغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطّوسيّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد اللّه بن معاذ عن معمر عن الزّهريّ عن عروة بن الزّبير قال:

سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال: «قد رأيته في المنام كأنّ عليه ثيابا بيضا فقد[3]أظنّ أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض» .

/قال الزبير و حدّثنا عبد اللّه بن معاذ عن معمر عن الزّهريّ عن عائشة:

أنّ خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي و هو ابن عمّ خديجة أخي أبيها، و كان امرأ تنصّر في الجاهلية، و كان يكتب الكتاب[4]العبرانيّ فيكتب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتب، و كان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك؛ قال ورقة: يا ابن أخي [1]في ء، ط: «ابن أبي كبير» بالباء الموحدة.

[2]ذكر في «شرح شواهد الرضى» أن هذه الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل، و قيل لأمية بن أبي الصلت.

[3]كذا في ء، ط. و في باقي النسخ: «فقال» و قد ورد الحديث في ص 88 جزء خامس من «أسد الغابة في معرفة الصحابة» في حديث عائشة

قالت: «سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن ورقة فقالت له خديجة: إنه كان صدقك و إنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم رأيته في المنام و عليه ثياب بياض و لو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك» ، و قد روى قريبا من ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب ص 319.

[4]الكتاب: مصدر كالكتابة.

ما ذا ترى؟فأخبره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خبر ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس[1]الذي أنزله اللّه تبارك و تعالى على موسى؛ يا ليتني فيها جذع[2]، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك؛ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه سلّم: «أ و مخرجيّ هم» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قطّ بمثل[3]ما جئت به إلا عودي، و إن يدركني يومك لأنصرنّك نصرا مؤزّرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفّي.

رأى بلالا يعذب لإسلامه فقال شعرا:

قال الزّبير حدّثني عثمان عن الضحّاك بن[4]عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال قال عروة: كان بلال لجارية من بني جمح بن عمرو، و كانوا يعذّبونه برمضاء[5]مكة، يلصقون ظهره بالرّمضاء ليشرك باللّه؛ فيقول: أحد أحد؛ فيمرّ عليه ورقة/بن نوفل و هو على ذلك يقول: أحد أحد، فيقول ورقة بن نوفل: أحد أحد و اللّه يا بلال! و اللّه لئن قتلتموه لاتّخذته حنانا[6]كأنه يقول: لأتمسّحنّ به. و قال ورقة بن نوفل في ذلك: لقد نصحت لأقوام و قلت لهم # أنا النذير فلا يغرركم أحد

لا تعبدنّ[7]إلها غير خالقكم # فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد[8]

سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ به # و قبل قد سبّح الجوديّ و الجمد[9]

مسخّر كلّ ما تحت السماء له # لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته # يبقى الإله و يودي المال و الولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه # و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لا سليمان إذ دان الشّعوب له # و الجنّ و الإنس تجري بينها البرد[10]

[1]الناموس في الأصل: صاحب السر أو صاحب سر الوحي، و المراد به جبريل عليه السّلام.

[2]الجذع: الشاب الحدث، أي يا ليتني أكون شابا حين تظهر نبوّته حتى أبالغ في نصرته.

[3]كذا في «صحيح البخاريّ» . و في جميع الأصول: «بما جئت إلخ» .

[4]كذا في ء، ط و سيذكر كذلك أكثر من مرة باتفاق الأصول، و في أكثر الأصول هنا، «الضحاك عن عثمان عن عبد الرحمن... » و هو تحريف. و الضحاك بن عثمان إما أن يكون الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عثمان المتوفى سنة ثمانين و مائة و هو الذي وصفه الزبير بن بكار بأنه كان علامة

قريش بأخبار العرب و أيامها و أشعارها و أحاديث الناس و هو الذي يروي الزبير بن بكار عن ابنه محمد كما سيأتي في ص 123، و إما أن يكون الضحاك بن عثمان جده المتوفى سنة ثلاث و خمسين و مائة، لأن كلا منهما عاصر عبد الرحمن بن أبي الزناد الذي ولد سنة مائة و توفي سنة أربع و سبعين و مائة.

[5]الرمضاء: الأرض الحامية من شدة حر الشمس.

[6]شرح «اللسان» هذه العبارة في مادة «حنن» فقال: الحنان: الرحمة و العطف، و الحنان: الرزق و البركة؛ أراد لأجعلن قبره موضع حنان أي مظنة من رحمة اللّه تعالى فأتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل اللّه من الأمم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم و سبة عند الناس، و ضعف هذا الحديث بأن ورقة مات قبل مبعث النبي صلّى اللّه عليه و سلّم و بلال ما عذب إلا بعد أن أسلم، و هو ضعيف الإسناد لأنه مرسل و عروة تابعي لم يدرك عصر النبوة.

[7]في ب، س، أ، م: «لا تعبدون» .

[8]كذا في ط، و «اللسان» مادة «حدد» ، و الحدد (بالتحريك) : المنع، يقال: دونه حدد أي منع. و في باقي الأصول: «جدد» بالجيم و هو تحريف.

[9]في أ، م، حـ: «نعود له» و هي رواية الرياشي: أي نعاوده مرة بعد أخرى، و في «اللسان» في مادتي جود و جمد: «يعود له» و في «معجم ياقوت» : «يدوم له» و الجودي: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السّلام، و الجمد: جبل بنجد.

[10]البرد: جمع بريد و هو الرسول: و قد ورد البيت الثالث من هذه الأبيات في «كتاب سيبويه» غير معزو لأحد ذهب أكثر شراحه إلى أنه لأمية بن الصلت و قال بعضهم: إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، و صوّب البغدادي في «الخزانة» ج 2 ص 39 أن هذا الشعر لورقة بن

مدح النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم له و النهي عن سبه:

قال الزبير حدّثني عمي قال حدّثنا الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة:

أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه: «شعرت أنّي قد رأيت لورقة جنّة، أو جنّتين» ، يشكّ هشام.

قال عروة: و نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن سبّ ورقة.

و قال الزبير و حدّثني عمّي قال حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه:

أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه يأتيه، فيقول ورقة: لئن كان ما يقول حقّا إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى ابن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن[1]، و لئن نطق و أنا حيّ لأبلينّ فيه للّه بلاء حسنا.

() نوفل كما نسبه إليه السهيلي و الحافظ الكلاعي في سيرته.

[1]هذه الكلمة محرفة في جميع الأصول و لها أشكال متباينة لم نتبين تصويبها. و في «شرح المواهب اللدنيّة» للزرقاني ج 1 ص 259 طبع بولاق: «إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلّمه بنو إسرائيل أبناءهم» .

26-خبر زيد بن عمرو و نسبه

نسبه من قبل أبويه:

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّي بن رياح[1]بن عبد اللّه بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب. و أمه جيداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فهم. و كانت جيداء عند نفيل بن عبد العزّي فولدت له الخطّاب أبا عمر بن الخطّاب و عبدنهم[2]، ثم مات عنها نفيل فتزوّجها[3]ابنه عمرو فولدت له زيدا، و كان هذا نكاحا ينكحه أهل الجاهليّة.

اعتزل عبادة الأوثان و كان يعيب قريشا:

و كان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان و امتنع من أكل ذبائحهم، و كان يقول: يا معشر قريش، أ يرسل اللّه قطر السماء و ينبت بقل الأرض و يخلق السائمة فترعى فيه و تذبحوها[4]لغيره[5]!و اللّه ما أعلم على ظهر الأرض أحدا على دين إبراهيم غيري.

أخرجه عن مكة خطاب بن نفيل و قريش لمخالفته دينهم:

أخبرنا الطّوسيّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي مصعب بن عبد اللّه و محمد بن الضحّاك عن أبيه، قالا: كان الخطّاب بن نفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة و جماعة من قريش و منعوه أن يدخلها حين فارق أهل الأوثان، و كان أشدّهم عليه الخطّاب بن نفيل. /و كان زيد بن عمرو إذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال[6]: لبّيك حقّا حقّا؛ تعبّدا و رقّا؛ البرّ[7]أرجو لا الخال[8]، و هل مهجّر[9]كمن قال[10]![ثم يقول][11]: عدت بما عاذ به إبراهيم # مستقبل الكعبة و هو قائم

[1]كذا في «شرح القاموس» مادة روح فقد ذكر أسماء من تسموا برياح ككتاب و عدّ هذا منها. و في ب، س، ء: «رباح» بالباء الموحدة.

و في سائر النسخ: «دياح» بالدال و كلاهما تحريف.

[2]كذا في ط، ء، و هي محرّفة في سائر النسخ، و نهم بالضم: شيطان أو صنم لمزينة، و به سموا «عبدنهم» .

[3]في ط: «فتزوّجت ابنه عمرا» .

[4]في ط، ء: «و تذبحونها» .

[5]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «لغير اللّه» .

[6]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «ثم قال: يا مولاي لبيك... إلخ» .

[7]البر: الطاعة و الخير.

[8]الخال: الخيلاء.

[9]المهجر: السائر في الهاجرة.

[10]قال: أقام في القائلة.

[11]زيادة في ط، ء.

يقول أنفي[1]لك عان راغم # مهما تجشّمني فإنّي جاشم[2]

ثم يسجد. قال محمد بن الضحّاك عن أبيه: [و][3]هو الذي يقول:

لا همّ إنّي حرم لا حلّه[4] # و إنّ داري أوسط المحلّة

عند الصّفا ليست بها مضلّه

شعره في ترك عبادة الأوثان:

قال الزبير و حدّثني مصعب بن عبد اللّه عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: قال زيد بن عمرو بن نفيل: عزلت الجنّ و الجنّان عنّي[5] # كذلك يفعل الجلد الصّبور

/فلا العزّى أدين و لا ابنتيها # و لا صنمي بني غنم[6]أزور[7]

/و لا هبلا[8]أدين و كان ربّا # لنا في الدهر إذ حلمي صغير

أ ربّا واحدا أم ألف ربّ # أدين إذا تقسّمت الأمور

أ لم تعلم بأنّ اللّه أفنى # رجالا كان شأنهم الفجور

و أبقى آخرين ببرّ قوم # فيربو منهم الطفل الصغير

و بينا المرء يعثر ثاب[9]يوما # كما يتروّح الغصن النّضير

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل:

رشدت و أنعمت ابن عمرو و إنما # تجنّبت تنّورا من النار حاميا

بدينك ربّا ليس رب كمثله # و تركك جنّان[10]الجبال كما هيا

[1]كذا في ط، و هي في بقية الأصول مضطربة و محرفة.

[2]جاشم: وصف من جشم الأمر إذا تجشمه و تكلفه على مشقة.

[3]زيادة في ط، ء.

[4]كذا ورد «حرم» و «حله» مضبوطين في بعض الأصول، و هذا الضبط هو الذي يتزن به الشعر، فلعلهما مصدران وصف بهما، إذ الوصف الذي ورد في كتب اللغة من هذه المادة في هذا المعنى: «حرم» و «حل» بالكسر و «حرام» و «حلال» .

[5]كذا في جميع الأصول؛ و في «بلوغ الأرب في أحوال العرب» ج 2 ص 220 طبع مطبعة دار السلام ببغداد: تركت اللات و العزى جميعا

[6]كذا في «كتاب الأصنام» لابن الكلبي ص 22 طبع المطبعة الأميرية و «بلوغ الأرب في أحوال العرب» ، و الذي في الأصول: «بني طسم» و طسم من القبائل البائدة فلم يكن لها في عهد زيد بن عمرو أصنام يهجرها.

[7]كذا في ط، ء و «كتاب الأصنام» و «بلوغ الأرب» ج 2 ص 220، و الذي في بقية الأصول: «أدير» .

[8]كذا في «كتاب الأصنام» لابن الكلبيّ، و هبل كصرد: صنم كان لقريش في الكعبة يعبدونه. و في ط، ء: «و لا غنما» . و في باقي الأصول: «و لا غمّا» ، و لم نجد لكليهما مسمى من الأصنام.

[9]كذا في ط، ء، و رسمت كلمة «ثاب» على وجه تقرأ به «ثاب» و «بات» ، و في بقية الأصول: «فبينا المرء يعثر ذات يوم» ، و ثاب: عاد إلى ما كان عليه من استقامة.

[10]جنّان الجبال: الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس أو من الجنّ. (انظر «اللسان» مادة جنّ) .

أقول إذا ما زرت أرضا مخوفة # حنانيك لا تظهر عليّ الأعاديا

حنانيك إنّ الجنّ كانت رجاءهم # و أنت إلهي ربّنا و رجائيا

أدين لربّ يستجيب و لا أرى # أدين لمن لا يسمع الدهر داعيا

أقول إذا صلّيت في كلّ بيعة # تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

يقول: خلقت خلقا كثيرا يدعون باسمك.

/قال الزّبير و حدّثني مصعب بن عبد اللّه قال حدّثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن موسى بن عقبة قال سمعت من أرضى يحدّث:

امتناعه عن ذبائح قريش و قصته مع النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم في ذلك:

أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم و يقول: الشاة خلقها اللّه و أنزل من السماء ماء و أنبت لها من الأرض نباتا ثم تذبحونها على غير اسم اللّه!إنكارا لذلك و إعظاما له.

قال الزبير: و حدّثني مصعب بن عبد اللّه عن الضحّاك بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد اللّه أنه سمع عبد اللّه بن عمر يحدّث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[1]، و كان قبل أن ينزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الوحي، فقدّم إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سفرة[2]فيها لحم، فأبى أن يأكل، و قال: إنّي لا آكل إلاّ ما ذكر اسم اللّه عليه.

اجتمع بالشأم مع يهودي و نصراني فسألهما عن الدين و اعتنق دين إبراهيم:

قال الزبير و حدّثني مصعب بن عبد اللّه عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد اللّه قال- قال موسى: لا أراه إلاّ حدّثه عن عبد اللّه بن عمر-: إن زيد بن عمرو خرج إلى الشّأم يسأل عن الدّين و يتّبعه، فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال: لعلّي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم؛ فقال اليهوديّ: إنّك لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غضب اللّه؛ فقال زيد بن عمرو: /لا أفرّ إلاّ من غضب اللّه و ما أحمل من غضب اللّه شيئا أبدا و أنا أستطيع، فهل تدلّني

على دين ليس فيه هذا؟قال: ما أعلمه إلا أن يكون[3]حنيفا؛ قال: و ما الحنيف؟قال: دين إبراهيم؛ فخرج من عنده و تركه.

فأتى عالما من علماء النّصارى فقال له نحوا ممّا قال لليهوديّ[4]، فقال له النّصرانيّ: إنك لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من لعنة اللّه؛ فقال: إني لا أمل من لعنة اللّه و لا من غضبه شيئا أبدا و أنا أستطيع، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا؟فقال له نحوا مما قال اليهوديّ: /لا أعلمه إلا أن يكون حنيفا؛ فخرج من عندهما و قد رضي بما أخبراه و اتّفقا عليه من دين إبراهيم، فلما برز رفع يديه و قال؛ اللّهم[إنّي][5]على دين إبراهيم.

[1]بلدح: واد قبل مكة من جهة الغرب. قال ابن قيس الرقيات: فمني فالجمار من عبد شمس # مقفرات فبلدح فحراء

[2]السفرة: جلد مستدير يحمل فيه المسافر طعامه، و هي في الأصل اسم لنفس الطعام ثم نقلت إلى الجلد لأنه يحمل فيها.

[3]كذا في ء، ط. و في سائر الأصول: «تكون» و هو تصحيف.

[4]كذا في ء، ط. و في سائر الأصول: «اليهودي» و هو تحريف.

[5]زيادة في ء، ط.

بلغته البعثة فخرج من الشأم فقتله أهل ميفعة:

قال الزبير و حدّثني مصعب بن عبد اللّه عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال قال هشام بن عروة: بلغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشأم، فلما بلغه خبر النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم أقبل يريده فقتله أهل ميفعة[1].

قال عنه النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم: إنه يأتي يوم القيامة أمة وحده:

قال الزّبير و حدّثني مصعب بن عبد اللّه عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال: سألت أنا و عمر بن الخطّاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن زيد فقال: «يأتي يوم القيامة أمّة وحده» .

/و أنشد محمد بن الضحّاك عن الحزاميّ عن أبيه لزيد بن عمرو:

أسلمت وجهي لمن أسلمت # له المزن تحمل عذبا زلالا

و أسلمت وجهي لمن أسلمت # له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدّها # سواء و أرسى عليها الجبالا

زهير بن جناب و شعره في الكبر:

و أما زهير بن جناب الكلبيّ فإنّه أحد المعمّرين، يقال: إنه عمّر مائة و خمسين سنة و هو-فيما ذكر-أحد الذين شربوا الخمر في الجاهليّة حتّى قتلتهم؛ و كان قد بلغ من السنّ الغاية التي ذكرناها، فقال ذات يوم: إنّ الحيّ ظاعن، فقال عبد اللّه[ابن عليم][2]بن جناب: إن الحي مقيم؛ فقال زهير: إن الحيّ مقيم؛ فقال عبد اللّه: إنّ الحيّ ظاعن؛ فقال: من هذا الذي يخالفني منذ اليوم!قيل: ابن أخيك عبد اللّه بن عليم؛ فقال: أ و ما هاهنا أحد ينهاه عن ذلك!قالوا: لا؛ فغضب و قال: لا أراني قد خولفت، ثم دعا بالخمر فشربها[3]صرفا بغير مزاج و على غير طعام حتّى قتلته. و هو الذي يقول في ذمّ الكبر و طول الحياة: الموت خير للفتى # فليهلكن و به بقيّة

من أن يرى الشّيخ[4]البجا # ل إذا تهادى بالعشيّة

أ بنيّ إن أهلك فقد # أورثتكم مجدا بنيّة

/و تركتكم أبناء سا # دات زنادكم و ريّه

[1]كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ص 569 و «شرح القسطلاني على البخاري» ج 6 ص 206 طبع بولاق، و هي قرية من أرض البلقاء من الشام، و قد وردت محرّفة في جميع الأصول.

[2]الزيادة عن كتاب «شعراء النصرانية» ج 1 ص 207 و قد جاء في «القاموس» و شرحه مادة علم «و كزبير اسم رجل و هو عليم بن جناب أخو زهير من بني كلب بن وبرة» .

[3]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «يشربها» .

[4]البجال: الكبير العظيم، و نقل صاحب «اللسان» في مادة يحل عن أبي عمرو: أنّ البجال: الرجل الشيخ السيّد و استشهد له بهذه الأبيات.

بل كلّ[1]ما نال الفتى # قد نلته إلا التّحيّة[2]

مدرج الريح و سبب هذه التسمية:

و أمّا مدرج الرّيح فاسمه عامر بن المجنون الجرميّ، و إنما سمّي مدرج الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ و أنّها تسكن الهواء[3]و تتراءى له، و كان محمّقا؛ و شعره هذا:

صوت

لابنة الجنّيّ في الجوّ طلل # دارس الآيات عاف كالخلل

درسته الرّيح من بين صبا # و جنوب درجت حينا و طلّ

الغناء فيه لحنين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ و ابن المكيّ، و ذكر حبش أنّه لمعبد، و ذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حنين من خفيف الثّقيل الأوّل بالبنصر. و أخبار عامر بن المجنون تذكر في موضع آخر إن شاء اللّه تعالى.

سعية بن غريض و شعره و هو يحتضر:

و أما سعية بن غريض فقد كان ذكر خبر جدّه/السّموءل بن غريض بن عاديا في موضع غير هذا. و كان سعية بن غريض شاعرا، و هو الذي يقول لمّا حضرته الوفاة يرثي نفسه:

صوت

يا ليت شعري حين يذكر صالحي[4] # ما ذا تؤبّنني به أنواحي[5]

أ يقلن لا تبعد، فربّ كريهة # فرّجتها ببشارة و سماح

و إذا دعيت لصعبة سهّلتها # أدعى بأفلح تارة و نجاح

/-غنّاه ابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو-و أسلم[6]سعية و عمّر عمرا طويلا، و يقال: إنّه مات في آخر[7]خلافة معاوية.

سعية بن غريض و معاوية بن أبي سفيان:

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عديّ قال: [1]كذا في الأصول. و في «اللسان» مادة حيي: «و لكل» .

[2]مما يطلق عليه التحية الملك و البقاء. قال ابن بري: و المراد هنا البقاء، لأن زهير بن جناب كان ملكا في قومه (انظر «اللسان» مادة حيي) .

[3]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «و أنه يسكن إليها في الهواء» .

[4]كذا في جميع الأصول. و في هامشها: «حين أندب هالكا» .

[5]الأنواح: النائحات.

[6]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «فاسلم» بالفاء.

[7]كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «أوّل» .

حجّ معاوية حجّتين في خلافته، و كانت له ثلاثون بغلة يحجّ عليها نساؤه و جواريه. قال: فحجّ في إحداهما فرأى شيخا[1]يصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟قالوا: سعية بن غريض، و كان من اليهود، فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين؛ قال: أ و ليس قد مات أمير المؤمنين!قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة؛ فقال له معاوية: ما فعلت أرضك التي بتيماء؟قال: يكسى منها العاري و يردّ فضلها على الجار؛ قال: أ فتبيعها[2]؟قال: نعم؛ قال: بكم؟قال: بستّين ألف دينار، و لو لا خلّة أصابت الحيّ لم أبعها؛ قال: لقد أغليت!قال: أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تبل[3]!قال: أجل، و إذ بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي[به][4]نفسه؛ فقال: قال أبي: /

يا ليت شعري حين أندب هالكا # ما ذا تؤبّنني به أنواحي

أ يقلن لا تبعد[5]، فربّ كريهة # فرّجتها بشجاعة[6]و سماح

و لقد ضربت بفضل مالي حقّه # عند الشّتاء و هبّة الأرواح

و لقد أخذت الحقّ غير مخاصم # و لقد رددت الحقّ غير ملاحي

و إذا دعيت لصعبة سهّلتها # أدعى بأفلح مرّة و نجاح

فقال: أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك؛ قال: كذبت و لؤمت؛ قال: أما كذبت فنعم، و أمّا لؤمت فلم، قال: لأنك كنت ميّت الحقّ في الجاهلية و ميّته في الإسلام، أمّا في الجاهلية فقاتلت النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم و الوحي حتى جعل اللّه[عزّ و جلّ][7]كيدك المردود، و أمّا في الإسلام فمنعت ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الخلافة، و ما أنت و هي!و أنت طليق[8]ابن طليق!فقال معاوية: قد خرف[9]الشيخ فأقيموه، فأخذ بيده فأقيم.

/و سعية هذا هو الذي يقول:

صوت

يا دار سعدى بأقصى[10]تلعة[11]النّعم # حيّيت دارا على الإقواء و القدم

و ما بجزعك إلا الوحش ساكنة # و هامد من رماد القدر و الحمم

[1]كذا في ء، ط و «الإصابة» لابن حجر طبع مصر ج 3 ص 167، و في سائر الأصول: «شخصا» .

[2]كذا في ب، س، و في أ، م: «أ تبيعها» .

[3]كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «لم تبال» و كلاهما صحيح تقول: «لم أبال» و هو الأصل «و لم أبل» حذفت منها الياء تخفيفا، و نزلت اللام منزلة النون من يكن فسكنت للجازم و حذفت الألف لالتقاء الساكنين.

[4]زيادة في ء، ط.

[5]كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «لا يبعد» بالياء.

[6]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «ببشارة» و قد تقدّمت هذه الرواية في ص 129 من هذا الجزء.

[7]الزيادة عن ء، ط.

[8]أي من الطلقاء و هم الذين حاربوا النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم من قريش و آذوه، فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (انظر «سيرة ابن هشام» ص 821 طبع أوروبا) .

[9]كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «خرق» بالقاف.

[10]في ء، ط و «ياقوت» : «بمفضي» .

[11]تلعة النعم: موضع بالبادية استشهد له «ياقوت» بهذا البيت. ـ

عجنا فما كلّمتنا الدار إذ سئلت # و ما بها عن جواب خلت من صمم

الشعر لسعية بن غريض، و الغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر.

27-أخبار ابن صاحب الوضوء و نسبه

نسبه و ولاؤه و سبب تسمية أبيه:

اسمه محمد بن عبد اللّه، و يكنى أبا عبد اللّه، مولى بني أميّة، و هو من أهل المدينة؛ و كان أبوه على ميضأة المدينة فسمّي صاحب الوضوء. و هو قليل الصّنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف با الماخوريّ و لا ذكر له غير إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئا كثيرا لا أصل له، و في كتاب حبش[الصينيّ][1]. و هو رجل لا يحصّل ما يقوله و يرويه.

مدح يونس الكاتب غناءه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه[عن][2]جدّه عن سياط عن يونس الكاتب قال: غنيّ ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة: خطاطيف حجن[3]في حبال متينة # تمدّ بها أيد إليك نوازع

و في شعر بعض اليهود:

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه # يوما فتدركه العواقب قد نما

فأجاد فيهما ما شاء و أحسن غاية الإحسان؛ فقيل له: أ لا تزيد و تصنع شيئا[آخر][4]؟فقال: لا و اللّه حتى أرى غيري قد صنع مثل ما صنعت و أزيد، و إلاّ فحسبي هذا.

نقل أبو مسلمة لعبد اللّه بن عامر صوتا فغناه في المحراب:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و إسماعيل بن يونس[5]الشّيعي، قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن عليّ-قال ابن عمار في خبره: و كان يسمّى المبارك-قال حدّثنا أبو مسلمة[6]المصبحيّ قال: قدم علينا أسود من أهل الكوفة فغنّى: ارفع ضعيفك لا يحرّ بك ضعفه # يوما فتدركه العواقب قد نما

قال: فمررت بعبد اللّه بن عامر الأسلميّ، و كان يؤمّنا و هو قائم يصلّي الظهر، فقلت[له][7]: قدم علينا أسود من الكوفة يغنّي كذا و كذا[فأجاده]

[8]؛ فأشار إليّ بيده أن اجلس؛ فلما قضى صلاته قال: أخذته عنه؟ [1]، (2) ، (4) الزيادة عن ء، ط.

[3]حجن: معوجة، جمع أحجن و حجناء.

[5]كذا في ء، ط و هو الموافق لما تقدّم في الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص 36 طبعة الدار. و في باقي الأصول: «يزيد» .

[6]في ء، ط: «أبو سلمة» .

[7]، (8) زيادة في ء، ط.

قلت[1]: نعم؛ قال: فأمرّه عليّ، ففعلت؛ قال: فلما كان بالليل صلّى بنا فأدّاه في المحراب.

صوت من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

يا ليلتي[2]تزداد نكرا # من حبّ من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إليـ # ك سقتك بالعينين خمرا

الشعر لبشّار، و الغناء في اللحن الغناء ليزيد حوراء رمل بالبنصر عن عمرو و يحيى المكيّ و إسحاق. و فيه لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو و إبراهيم الموصليّ.

[1]كذا في ء، ط و هو الموافق للسياق. و في سائر النسخ: «قال» .

[2]كذا في ء، ط و هو الموافق لما سيأتي بصفحة 155 في شعر بشار. و في باقي النسخ: «يا ليتني أزداد» .

28-أخبار بشار[1]بن برد و نسبه

نسبه و كنيته و طبقته في الشعراء:

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن غيلان[2]الشّعوبيّ، /بشّار بن برد بن يرجوخ بن أزد كرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزد كرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن أدريوس بن يستاسب[بن لهراسف][3]. قال: و كان يرجوخ من طخارستان[4]من سبى المهلّب بن أبي صفرة. و يكنى بشّار أبا معاذ. و محلّه في الشعر و تقدّمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرّواة و رئاسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه و إطالة ذكر محله[5]. و هو من مخضرمي شعراء الدولتين العبّاسية و الأموية، قد شهر فيهما و مدح و هجا و أخذ[6]سنيّ الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حميد بن سعيد.

كان بشّار من شعب أدريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: و هو بشّار بن برد بن بهمن بن أزد كرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: و كان يكنى أبا معاذ.

ولاؤه لبني عقيل:

و أخبرني يحيى بن عليّ و محمد بن عمران الصّيرفيّ و غيرهما عن الحسن بن عليل العنزيّ عن خالد بن يزيد[7]بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال:

كان بشار بن برد بن يرجوخ و أبوه برد من قنّ[8]خيرة القشيريّة امرأة المهلّب بن أبي صفرة، و كان مقيما لها [1]قال ابن خلكان في ترجمته لبشار: «ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني» ستة و عشرين جدّا أسماؤهم أعجمية، فأضربت عن ذكرها لطولها و استعجامها، و ربما يقع فيها التصحيف و التحريف فإنه لم يضبط شيئا منها، فلا حاجة إلى الإطالة فيها بلا فائدة» .

و قد حاولنا وجه الصواب في هذه الأسماء و ضبطها فلم نوفق، فأثبتناها هنا كما وردت في «الأغاني» طبعة بولاق و نسخة ط و ذلك لاختلافها و اضطرابها في الأصول التي بين أيدينا و الإطالة فيها بلا فائدة كما قال ابن خلكان.

[2]في ط، ء: «علان» .

[3]الزيادة عن ط.

[4]ضبطها ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» في ترجمته لبشار ج 1 ص 125 بضم الطاء و ضم الراء و ضبطها «ياقوت» بفتح الطاء.

[5]في ط، ء: «و إطالة بذكر محله» .

[6]كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «فأخذ» .

[7]في ء، ط: «خالد بن يزيد» و قد ذكره صاحب «لسان الميزان» في موضعين، فقد ذكره في خالد بن بريد بالباء الموحدة و الراء المهملة، و في خالد بن يزيد و قد ذكر أجداده في الموضعين كما هنا.

[8]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ «في ء» .

في ضيعتها بالبصرة المعروفة «بخيرتان» [1]مع عبيد لها و إماء، فوهبت بردا بعد أن زوجته لامرأة من بني عقيل كانت متّصلة بها، فولدت له امرأته و هو في ملكها بشارا فأعتقته العقيليّة.

و أخبرني محمد[2]بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان برد أبو بشار مولى أمّ الظّباء العقيليّة السّدوسية، فادّعى بشار أنه مولى بني عقيل لنزوله فيهم.

و أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني رجل من ولد بشار يقال له حمدان كان قصّارا[3]بالبصرة، قال: ولاؤنا لبني عقيل؛ فقلت: لأيّهم؟فقال: لبني ربيعة بن عقيل.

و أخبرني وكيع قال حدّثني سليمان المدنيّ[4]قال قال أحمد بن معاوية الباهليّ: كان بشار و أمّه لرجل من الأزد، فتزوّج امرأة من بني عقيل، فساق إليها بشارا و أمّه في صداقها، و كان بشّار ولد مكفوفا[5]فأعتقته العقيليّة.

/أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثني الحسن[6]بن عليل العنزي قال حدّثنا قعنب بن المحرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: باعت أمّ بشّار بشّارا على أمّ الظّباء السّدوسيّة بدينارين فأعتقته. و أمّ الظباء امرأة أوس بن ثعلبة أحد بن تيم اللاّت بن ثعلبة، و هو صاحب قصر أوس بالبصرة؛ و كان أوس أحد فرسان بكر بن وائل بخراسان.

كان أبوه طيانا و قد هجاه بذلك حماد عجرد:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن زيد العجليّ قال أخبرني بدر بن مزاحم: أنّ بردا أبا بشّار كان طيّانا يضرب اللّبن، و أراني أبي بيتين[لنا][7]فقال لي: لبن[8]هذين البيتين من ضرب برد أبي بشّار. فسمع هذه الحكاية حمّاد عجرد فهجاه فقال: يا بن برد إخسأ إليك فمثل الـ # كلب في الناس أنت لا الإنسان

بل لعمري لأنت شرّ من الكلـ # ب و أولى منه بكلّ هوان

/و لريح الخنزير أهون من ريـ # حك يا ابن الطيّان ذي التّبّان[9]

[1]قال «ياقوت» عند الكلام على خطط البصرة و قراها: خيرتان منسوب إلى خيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبي صفرة. قال: و من اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في الاسم الذي تنسب إليه القرية ألفا و

نونا: نحو قولهم: طلحتان: نهرب ينسب إلى طلحة بن أبي رافع (انظر «ياقوت» في اسم البصرة) .

[2]كذا في ط، ء، حـ و هو الصواب. و في باقي النسخ: «عمرو» و هو تحريف.

[3]القصار: محوّر الثياب أي مبيضها.

[4]في ء، ط: «المديني» .

[5]كذا في ء، ط و هو الصواب. و في باقي النسخ: «و كان لبشار ولد مكفوف» و هو تحريف.

[6]كذا في ء، ط، و هو الصواب. و في سائر النسخ: «أحمد» و هو تحريف.

[7]زيادة في ط، ء.

[8]كذا في ء، ط. و في باقي النسخ: «فقال لي: هذان البيتان من ضرب برد... إلخ» .

[9]التبان (بالضم و تشديد الباء) : سراويل صغير يكون للملاحين و المصارعين.

أنشد للمهدي شعرا في أنه عجمي بحضور أبي دلامة:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن أبي الصّلت البصريّ عن أبي عدنان قال حدّثني يحيى بن الجون العبديّ راوية بشّار قال: /قال: لما دخلت على المهديّ قال لي: فيمن تعتدّ يا بشّار؟فقلت: أمّا اللّسان و الزّيّ فعربيّان، و أمّا الأصل فعجميّ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين: و نبّئت قوما بهم جنّة # يقولون من ذا و كنت العلم

ألا أيّها السائلي جاهدا[1] # ليعرفني أنا أنف الكرم

نمت في الكرام بني عامر # فروعي و أصلي قريش العجم

فإني لأغني مقام الفتى # و أصبي الفتاة فما تعتصم

قال: و كان أبو دلامة حاضرا فقال: كلاّ!لوجهك أقبح من ذلك و وجهي مع وجهك؛ فقلت: كلاّ!و اللّه ما رأيت رجلا أصدق على نفسه و أكذب على جليسه منك، و اللّه إني لطويل القامة عظيم الهامة تامّ الألواح أسجح[2] الخدّين، و لربّ[3]مسترخي المذروين[4]للعين فيه مراد قد جلس من الفتاة حجرة[5]و جلست منها حيث أريد، فأنت مثلي يا مرضعان[6]![قال][7]: فسكت عنّي، ثم قال لي المهديّ: فمن أيّ العجم أصلك؟فقلت: من أكثرها في الفرسان، و أشدّها على الأقران، أهل طخارستان[8]؛ فقال بعض القوم: أولئك الصّغد؛ فقلت: لا، الصّغد تجار؛ فلم يردد ذلك المهديّ.

كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة و للعجم أخرى:

و كان بشّار كثير التلوّن في ولائه، شديد الشّغب[9]و التعصّب للعجم، مرّة يقول يفتخر بولائه في قيس: أمنت مضرّة الفحشاء[10]أنى # أرى قيسا تضرّ[11]و لا تضار

كأن الناس حين تغيب عنهم # نبات الأرض أخطأه القطار[12]

[1]في ء، ط: «جاهلا» .

[2]يقال: سجح الخدّ: سهل و لان.

[3]في ء، ط: «أسجح الخدّين مسترخي المذروين للعين فيه مراد، و مثلك قد جلس إلخ» .

[4]كذا في ء، ط، و المذروان: طرفا الأليتين أو طرفا كل شيء، و لعله يريد أنه بض سمين يجذب النظر إليه. و في باقي الأصول: «المزورين» بالزاي و تقديم الواو على الراء و هو تحريف.

[5]حجرة: ناحية.

[6]المرضعان: اللئيم، من الرضاعة و هي اللؤم.

[7]الزيادة عن ء، ط.

[8]انظر الحاشية رقم 3 ص 135.

[9]كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «التشعب» .

[10]الفحشاء: جمع فاحش كجاهل و جهلاء. و الفاحش: السيئ الخلق.

[11]كذا في ء و إحدى روايتي ط. و في أ، م: «تسب» . و في باقي النسخ: «تشب» و هو تحريف.

[12]القطار: جمع قطر و هو المطر.

و قد كانت بتدمر خيل قيس # فكان لتدمر فيها دمار

بحيّ من بني عيلان شوس[1] # يسير الموت حيث يقال ساروا

و ما نلقاهم إلا صدرنا # بريّ منهم و هم حرار[2]

و مرّة يتبرّأ من ولاء العرب فيقول:

أصبحت مولى ذي الجلال و بعضهم # مولى العريب فخذ[3]بفضلك فافخر

مولاك أكرم من تميم كلّها # أهل الفعال[4]و من قريش المشعر

فارجع إلى مولاك غير مدافع # سبحان مولاك الأجلّ الأكبر

و قال يفتخر بولاء بني عقيل:

إنّني من بني عقيل بن كعب # موضع السّيف من طلى[5]الأعناق

كان يلقب بالمرعث و سبب ذلك:

و يكنى بشّار أبا معاذ، و يلقّب بالمرعّث.

/أخبرني عمّي و يحيى بن عليّ قالا حدّثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم قال: بشّار المرعّث هو بشار بن برد، و إنما سمّي المرعّث بقوله: /

قال ريم مرعّث # ساحر الطّرف و النّظر

لست و اللّه نائلي # قلت أو[6]يغلب القدر

أنت إن رمت وصلنا # فانج، هل تدرك القمر

قال أبو أيّوب: و قال لنا ابن سلاّم مرّة أخرى: إنّما سمّي بشّار المرعّث، لأنه كان لقميصه جيبان: جيب عن يمينه و جيب عن شماله، فإذا أراد لبسه ضمّه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، و إذا أراد نزعه حلّ أزراره و خرج منه، فشبّهت تلك الجيوب بالرّعاث لاسترسالها و تدلّيها، و سمّي من أجلها المرعّث.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة: لقّب بشّار بالمرعّث لأنه كان في أذنه و هو صغير رعاث. و الرّعاث: القرطة، واحدتها رعثة و جمعها رعاث، [و رعثات][7]. و رعثات الديك: اللحم المتدلّي تحت حنكه؛ قال الشاعر: [1]شوس: جمع أشوس و هو الذي ينظر بمؤخر عينيه.

[2]حرار: جمع حرّان و هو الشديد العطش.

[3]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «فجد» . بالجيم و الدال المهملة.

[4]الفعال (بالفتح) : اسم للفعل الحسن من الجود و الكرم و نحوه.

[5]الطلي: أصول الأعناق؛ واحدتها طلية أو طلاة.

[6]أو هنا بمعنى بل.

[7]زيادة في أكثر النسخ.

سقيت أبا المصرّع[1]إذ أتاني # و ذو الرّعثات منتصب يصيح

شرابا يهرب الذّبّان منه # و يلثغ حين يشربه الفصيح

قال: و الرّعث: الاسترسال و التساقط. فكأنّ اسم القرطة اشتقّ منه.

كان أشدّ الناس تبرما بالناس:

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا محمد[2]بن بدر العجليّ قال: سمعت الأصمعيّ يذكر أن بشّارا كان من أشدّ الناس تبرّما بالناس، و كان يقول: الحمد للّه الذي ذهب ببصري؛ فقيل له: و لم يا أبا معاذ؟ قال: لئلاّ أرى من أبغض. و كان يلبس قميصا له لبنتان[3]، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله، فبذلك سمّي المرعّث.

صفاته:

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال حدّثنا قعنب بن محرز عن الأصمعيّ قال: كان بشّار ضخما، عظيم الخلق و الوجه، مجدورا، طويلا، جاحظ المقلتين قد تغشّاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عمى و أفظعه[4]منظرا، و كان إذا أراد أن ينشد صفّق بيديه و تنحنح و بصق عن يمينه و شماله ثم ينشد فيأتي بالعجب.

ولد أعمى و هجى بذلك و شعره في العمى:

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال:

ولد بشّار أعمى، و هو الأكمه. و قال في تصداق ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه: و عبدي فقا[5]عينيك في الرّحم أيره # فجئت و لم تعلم لعينيك فاقيا

أ أمّك يا بشّار كانت عفيفة؟ # عليّ إذا مشي إلى البيت حافيا

قال: و لم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين منكسرا.

/أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال:

ولد بشّار أعمى فما نظر إلى الدنيا قطّ، و كان يشبّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله؛ فقيل له يوما و قد أنشد قوله: كأنّ مثار النقع فوق رءوسنا # و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه

[1]كذا في أكثر النسخ، و في ء، ط: «المطوّح» ، و في حـ: «المطرّح» .

[2]هكذا وقع هذا الاسم هنا باتفاق جميع النسخ: «محمد بن بدر العجليّ» ، و قد تقدّم في ص 137 من هذا الجزء باتفاق النسخ جميعها أيضا: «محمد بن زيد العجلي» مع اتحاد رجال السند في الموضعين. فلينظر.

[3]اللبنة: بنيقة القميص و هي زيقه الذي يفتح في النحر.

[4]كذا في جميع الأصول بإفراد الضمير. و هو استعمال عربيّ فصيح، يقال: أحسن الناس خلقا و أحسنه وجها، و المراد أحسنهم، و هو كثير من أفصح الكلام. انظر «اللسان» مادة «حنا» .

[5]فقأ: قلع، و الأصل فيه الهمز فسهل.

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا و لم تر الدنيا قطّ و لا شيئا فيها؟فقال: إن عدم النظر يقوّي ذكاء القلب و يقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفّر حسّه و تذكو قريحته؛ ثم أنشدهم قوله: /

عميت جنينا و الذكاء من العمى # فجئت عجيب الظنّ للعلم موئلا

و غاض ضياء العين للعلم رافدا # لقلب[1]إذا ما ضيّع الناس حصّلا

و شعر كنور الروض[2]لاءمت بينه # بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العنزيّ عن قعنب بن محرز عن أبي عبد اللّه الشرادنيّ[3]قال: كان بشّار أعمى طويلا [ضخما][4]آدم مجدورا.

و أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيّ أيوب المدينيّ قال قال الحمرانيّ[5]قالت لي عمّتي: زرت قرابة لي في بني عقيل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم ينشد: من المفتون بشّار بن برد # إلى شيبان كهلهم و مرد

بأن[6]فتاتكم سلبت فؤادي # فنصف عندها و النصف عندي

فسألت عنه فقيل لي: هذا بشّار.

كان يقول أزري بشعري الأذان:

/أخبرني محمد بن يحيى الصّيرفي قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التّوزيّ يقول: قال بشّار: أزري بشعري الأذان. يقول: إنه إسلاميّ.

قال الشعر و هو ابن عشر سنين:

و أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة: قال بشّار الشعر و لم يبلغ عشر سنين، ثم بلغ الحلم و هو مخشيّ معرّة لسانه.

هجا جريرا فأعرض عنه استصغارا له:

قال: و كان بشّار يقول: هجوت جريرا فأعرض عنّي و استصغرني، و لو أجابني لكنت أشعر الناس.

كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء:

و أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان الأصمعيّ يقول: بشّار خاتمة الشعراء، و اللّه لو لا أنّ أيّامه تأخّرت لفضّلته على كثير منهم.

[1]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «بقلب» بالباء.

[2]كذا في ء، ط. و في أكثر النسخ: «كنور الأرض» .

[3]في ط، ء: «السرادار» .

[4]زيادة في ط، ء.

[5]في أ، م: «الحمداني» .

[6]كذا في ء، ط، و في باقي الأصول: «فإنّ» .

قال أبو زيد: كان راجزا مقصّدا[1].

جودة نقده للشعر:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النّطّاح[2]قال حدّثني أبو عبيدة: قال سمعت بشّارا يقول و قد أنشد[3]في شعر الأعشى: و أنكرتني و ما كان الذي نكرت # من الحوادث إلا الشّيب و الصّلعا

فأنكره، و قال: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى؛ فعجبت لذلك. فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس، فقال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت و أدخله في شعر الأعشى: /

و أنكرتني و ما كان الذي نكرت # من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

فجعلت حينئذ أزداد عجبا من فطنة بشّار و صحّة قريحته و جودة نقده للشعر.

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال حدّثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

له اثنا عشر ألف قصيدة:

قال بشار: لي اثنا عشر ألف بيت عين؛ فقيل له[4]: هذا ما لم يكن يدّعيه أحد قطّ سواك؛ فقال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدة، لعنها اللّه و لعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين.

و أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال:

رأى أبي عبيدة فيه و في مروان بن أبي حفصة:

قلت لأبي عبيدة: أ مروان عندك أشعر أم بشّار؟فقال: حكم بشّار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيّد، و لا يكون عدد الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة و الإسلام هذا العدد، و ما أحسبهم برّزوا في مثلها، و مروان أمدح للملوك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال: قال بشّار الشعر و له عشر سنين، فما بلغ الحلم إلاّ و هو مخشيّ معرّة اللسان/بالبصرة. قال: و كان يقول: هجوت جريرا فاستصغرني و أعرض عنّي، و لو أجابني لكنت أشعر أهل زماني.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا أبو العواذل زكريّا بن هارون قال: /قال بشّار: لي اثنا عشر ألف بيت جيّدة؛ فقيل له: كيف[5]؟قال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدة، أما في كلّ قصيدة منها بيت جيّد!.

[1]يقال: قصد الشاعر و أقصد: أطال و واصل عمل القصائد.

[2]كذا في إحدى روايتي ط. و في جميع النسخ: «محمد بن صالح النطاح» بدون كلمة «ابن» و قد تقدّم هذا الاسم غير مرّة في «الأغاني» كالرواية الأولى، (انظر ص 1؛ 3 ج 1 من هذه الطبعة) .

[3]كذا في ء، ط. و في باقي النسخ: «و قد أنشدني» .

[4]كذا في ط. و في باقي الأصول: «فقيل لي» .

[5]كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «قال فكيف» و هو تحريف.

كلام الجاحظ عنه:

و قال الجاحظ في كتاب البيان و التبيين و قد ذكره: كان بشّار[شاعرا][1]خطيبا صاحب منثور و مزدوج[2] و سجع و رسائل، و هو من المطبوعين أصحاب الإبداع و الاختراع المفتّنين[3]في الشعر القائلين في أكثر أجناسه و ضروبه؛ قال الشعر في حياة جرير و تعرّض له، و حكي عنه أنه قال: هجوت جريرا فأعرض عنّي، و لو هاجاني لكنت أشعر الناس.

كان يدين بالرجعة و يكفر جميع الأمة:

قال الجاحظ: و كان بشّار يدين بالرّجعة[4]، و يكفّر جميع الأمّة، و يصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطّين، و ذكر ذلك[5]في شعره فقال: الأرض مظلمة و النار مشرقة # و النار معبودة مذ كانت النار

هجا واصل بن عطاء فخطب الناس بالحادة و كان يتجنب في خطبه الراء:

قال: و بلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله و هتف به، فقال يهجوه: ما لي أشايع غزّالا[6]له عنق # كنقنق الدّوّ[7]إن ولّى و إن مثلا

عنق الزّرافة ما بالي و بالكم # تكفّرون رجالا كفّروا[8]رجلا!

/قال: فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده[9]خطب به واصل، و كان ألثغ على الراء فكان يجتنبها في كلامه، فقال: أ ما لهذا الأعمى الملحد، أ ما لهذا المشنّف المكنيّ بأبي معاذ من يقتله؟أما و اللّه لو لا [أن][10]الغيلة سجيّة من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفله[11]، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عقيليّ أو سدوسيّ! فقال أبا معاذ[12]و لم يقل بشّارا، و قال المشنّف و لم يقل المرعّث، و قال: من سجايا الغالية و لم يقل الرافضة، و قال: في منزله و لم يقل في داره، و قال: يبعج بطنه و لم يقل يبقر، للّثغة التي كانت به في الرّاء.

[1]زيادة في ط، ء.

[2]المزدوج: ما أشبه بعضه بعضا في السجع أو الوزن.

[3]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س: «المتفننين» ، و كلاهما صحيح.

[4]الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا و هو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، و مذهب طائفة من أولى البدع و الأهواء من المسلمين

يقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا و يكون فيها حيا (انظر «شرح القاموس» للسيد مرتضى و «اللسان» في مادة رجع) .

[5]كذا في ط، ء و في سائر الأصول: «و ذكر مثل ذلك» . بزيادة كلمة «مثل» .

[6]عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد اللّه مولى قطن الهلالي (عن «البيان و التبيين» للجاحظ ج 1 ص 20) .

[7]النقنق: الظليم و هو ذكر النعام. و الدوّ: الفلاة.

[8]كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «أ تكفرون رجالا أكفروا» بالهمزة في الفعلين، و كفره بالتضعيف، و أكفره بالهمز: نسبه للكفر.

[9]كذا في أكثر النسخ، و في ب، س: «على إلحاد» بدون الهاء.

[10]زيادة في ط، ء، حـ.

[11]الحفل: الجمع من الناس. و في ط، ء: «في يوم حفله» بزيادة كلمة «يوم» ، و في أكثر النسخ: «في جفله» بالجيم و هو تحريف.

[12]في جميع الأصول: «فقال أبو معاذ و لم يقل بشار» و لا وجه لرفع أبي معاذ و بشار هنا، لأن القول ينصب المفرد إذا لم يكن في إسناد. ـ

قال: و كان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام و تمكّنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه و خطبه و جعل مكانها ما يقوم مقامها.

هو أحد أصحاب الكلام الستة:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدّثني أبو سهيل قال حدّثني سعيد بن سلاّم قال: كان بالبصرة ستّة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، و واصل بن عطاء، و بشّار الأعمى، و صالح بن عبد القدّوس، و عبد الكريم بن أبي العوجاء، و رجل من الأزد-قال أبو أحمد: يعني جرير بن حازم-فكانوا يجتمعون في منزل الأزديّ و يختصمون عنده. فأمّا عمرو و واصل فصارا إلى الاعتزال. و أمّا عبد الكريم/و صالح فصحّحا التوبة. و أمّا بشّار فبقي متحيّرا مخلّطا. و أمّا الأزديّ فمال إلى قول السّمنيّة[1]، و هو مذهب من مذاهب الهند، و بقي ظاهره على ما كان عليه. قال: فكان عبد الكريم يفسد الأحداث؛ فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني أنّك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده[و تستزلّه][2]و تدخله في دينك، فإن خرجت من مصرنا و إلاّ قمت فيك مقاما آتي فيه على نفسك؛ فلحق بالكوفة، فدلّ عليه محمد بن سليمان فقتله و صلبه بها. و له يقول بشّار: /

قل لعبد[3]الكريم يا ابن أبي العو # جاء بعت الإسلام بالكفر موقا[4]

لا تصلّي و لا تصوم فإن صمـ # ت فبعض النّهار صوما رقيقا

لا تبالي إذا أصبت من الخمـ # ر عتيقا ألاّ تكون عتيقا

ليت شعري غداة حلّيت في الجيـ # د حنيفا حلّيت أم زنديقا

أنت ممّن يدور في لعنة اللـ # ه صديق لمن ينيك الصديقا[5]

رأى الأصمعي فيه و في مروان بن أبي حفصة:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرّياشيّ قال: سئل الأصمعيّ عن بشّار و مروان أيّهما أشعر؟فقال: بشّار؛ فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأنّ مروان سلك طريقا كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدّمه، و شركه فيه من كان في عصره، و بشّار سلك طريقا لم يسلك و أحسن فيه و تفرّد به، و هو أكثر تصرّفا و فنون شعر و أغزر و أوسع بديعا، و مروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل.

/أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العنزيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ و قد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة، فقال: وجد أهل بغداد قد ختموا به الشّعراء و بشّار أحقّ بأن

يختموهم به من [1]السمنية (بضم السين و فتح الميم) : قوم من أهل الهند دهريون. و قال الجوهري: السمنية: فرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ و تنكر وقوع العلم بالأخبار، و هي نسبة إلى «سومنات» بلد بالهند؛ و الدهريون: هم الذين ذهبوا إلى قدم الدهر و إسناد الحوادث إليه، و هم قوم ملحدون لا يؤمنون بالآخرة.

[2]زيادة في ط، ء. و تستزله: توقعه في الزلل.

[3]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «قلت عبد الكريم» .

[4]موقا: حمقا و غباوة.

[5]في ب، س، حـ: «صديقا» بالتنكير.

مروان؛ فقيل له: و لم؟فقال: و كيف لا يكون كذلك و ما كان مروان في حياة بشّار يقول شعرا حتّي يصلحه له بشّار و يقوّمه!و هذا سلّم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر و يساويه في الجوائز، و سلّم معترف بأنه تبع لبشّار.

مقارنته بامرئ القيس و القطامي:

أخبرني جحظة قال سمعت عليّ بن يحيى المنجّم يقول: سمعت من لا أحصي من الرّواة يقولون: أحسن الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول: ألا انعم صباحا أيّها الطّلل البالي

و حيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل

و في الإسلام القطاميّ حيث يقول:

إنّا محيّوك فاسلم أيّها الطّلل

و من المحدّثين بشّار حيث يقول:

صوت

أبى طلل بالجزع أن يتكلّما # و ما ذا عليه لو أجاب متيّما

و بالفرع[1]آثار بقين و باللّوى[2] # ملاعب لا يعرفن إلا توهّما

/و في هذين البيتين لابن المكّي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى[3]من كتابه. و فيهما لابن جؤذر رمل.

مقارنة بينه و بين مروان بن أبي حفصة:

أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأصمعيّ يعجب بشعر بشّار لكثرة فنونه و سعة تصرّفه، و يقول: كان مطبوعا لا يكلّف طبعه شيئا متعذّرا لا كمن يقول البيت و يحكّكه أياما. و كان يشبّه بشّارا بالأعشى و النّابغة الذّبيانيّ، و يشبّه مروان بزهير و الحطيئة، و يقول: هو متكلّف.

قال الكرانيّ: قال أبو حاتم: و قلت لأبي زيد: أيّما أشعر بشّار أم مروان؟فقال: بشّار أشعر، و مروان أكفر.

[1]كذا في ب، س، حـ، و ذكر «ياقوت» أن الفرع بالفتح ثم السكون: موضع من وراء الفرك، و لم يزد على هذا، و الفرع بالضم و السكون: قرية بينها و بين المدينة ثمانية برد على طريق مكة. فيها نخل و مياه كثيرة، و

منهم من ضبط اسم هذه القرية بضم أوّله و ثانية. (انظر «ياقوت» في اسم «فرع») ، و في ء و إحدى روايتي ط: «و بالقاع» ، و القاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة، و في أ، م: «و بالجزع» .

[2]اللوى في الأصل: منقطع الرملة، و هو اسم موضع بعينه. قال «ياقوت» : «قد أكثر الشعراء من ذكره و خلطت بين ذلك اللوى و الرمل فعز الفصل بينهما» ثم قال: «و هو واد من أودية بني سليم» .

[3]كذا في أكثر الأصول. و في أ، م، حـ: «في مجرى البنصر» .

قال أبو حاتم: و سألت أبا زيد مرّة أخرى عنهما فقال: مروان أجدّ و بشّار أهزل؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك؛ فقال: بشار يصلح للجدّ و الهزل، و مروان لا يصلح إلاّ لأحدهما.

كان شعره سيارا يتناشده الناس:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا نجم بن النّطّاح قال: عهدي بالبصرة/و ليس فيها غزل و لا غزلة إلاّ يروي من شعر بشّار، و لا نائحة و لا مغنّية إلاّ لتكسّب به، و لا ذو شرف إلاّ و هو يهابه و يخاف معرّة لسانه.

لم يأت في شعره بلفظ مستنكر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن المبارك قال حدّثني أبي قال: قلت لبشّار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلاّ و قد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم و شكّ فيه، و إنه ليس في شعرك ما يشكّ فيه؛ قال: و من/أين يأتيني الخطأ! ولدت هاهنا و نشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، و إن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، و أيفعت[1] فأبديت[2]إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ!.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ و أحمد بن عبد العزيز و يحيى بن عليّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان الأصمعيّ يقول: إنّ بشّارا خاتمة الشعراء، و اللّه لو لا أنّ أيّامه تأخّرت لفضّلته على كثير منهم.

هو أول الشعراء في جملة من أغراض الشعر:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو الفضل المروزيّ قال حدّثني قعنب بن المحرز الباهليّ قال قال الأصمعيّ: لقي أبو عمرو بن العلاء بعض الرّواة فقال له: يا أبا عمرو، من أبدع الناس بيتا؟قال: الذي يقول: لم يطل ليلي و لكن لم أنم # و نفى عنّي الكرى طيف ألمّ

روّحي عنّي قليلا و اعلمي # أنّني يا عبد من لحم و دم

قال: فمن أمدح الناس؟قال: الذي يقول:

لمست بكفّي كفّه أبتغي الغنى # و لم أدر أنّ الجود من كفّه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى # أفدت و أعداني فأتلفت[3]ما عندي

/قال: فمن أهجى الناس؟قال: الذي يقول:

رأيت السّهيلين استوى الجود فيهما # على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم

[1]يفع الغلام و أيفع إذا راهق البلوغ فهو يافع و لا يقال: موفع.

[2]أبديت (بالبناء للمفعول) : أخرجت إلى البادية.

[3]في ء، ط. «فبذرت» .

سهيل بن عثمان يجود بماله # كما جاد بالوجعاء[1]سهيل بن سالم

قال: و هذه الأبيات كلّها لبشّار.

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يغنّى فيها صوت

لم يطل ليلي و لكن لم أنم # و نفى عنّي الكرى طيف ألمّ

و إذا قلت لها جودي لنا # خرجت بالصّمت عن لا و نعم

نفّسي[2]يا عبد عنّي و اعلمي # أنّني يا عبد من لحم و دم

إنّ في برديّ جسما ناحلا # لو توكّأت عليه لانهدم

حتم الحبّ لها في عنقي # موضع الخاتم من أهل الذّمم

غناه إبراهيم هزجا بالسّبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ و الهشاميّ. و فيه لقعنب الأسود خفيف ثقيل.

فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدح الناس و أوّلها: لمست بكفّي كفّه أبتغي الغنى

فإنه ذكر أنها لبشّار. و ذكر الزّبير بن بكّار أنها لابن الخيّاط/في المهديّ، و ذكر له فيها معه خبرا طويلا قد ذكرته في أخبار ابن الخيّاط في هذا الكتاب[3].

هجا صديقه ديسما لأنه يروي هجاءه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ الكسرويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال: /كان بشار كثير الولوع بديسم العنزيّ و كان صديقا له و هو مع ذلك يكثر هجاءه، و كان ديسم لا يزال يحفظ شيئا من شعر حمّاد و أبي هشام الباهليّ في بشّار؛ فبلغه ذلك فقال فيه: أ ديسم يا ابن الذئب من نحل زارع # أ تروي هجائي سادرا[4]غير مقصر

قال أبو حاتم: فأنشدت أبا زيد هذا البيت و سألته ما يقول فيه، فقال: لمن هذا الشعر؟فقلت: لبشار [يقوله][5]في ديسم العنزيّ؛ فقال: قاتله اللّه ما أعلمه بكلام العرب!ثم قال: الدّيسم: ولد الذئب من الكلبة، و يقال للكلاب: أولاد زارع. و العسبار: ولد الضّبع من الذئب[6]. و السّمع: ولد الذئب[7]من الضّبع. و تزعم [1]الوجعاء: الدبر.

[2]ورد فيما تقدم: «روّحي» .

[3] (انظر ج 18 ص 94 «أغاني» طبع بولاق) .

[4]السادر: الذي لا يهتمّ لشيء و لا يبالي ما صنع.

[5]زيادة في م، و هامش أ.

[6]أي إن أمه ضبع و أباه ذئب كما ذكره الدميريّ في «حياة الحيوان» في الكلام على الضبع.

[7]اتفقت كتب اللغة على هذا التفسير و لعله «الذئبة» بالتاء لأن الذئب لا يذكر و يؤنث كالضبع. و في كتاب «الحيوان» للجاحظ جزء 6 ص 45 ما يؤيد ذلك حيث قال: «و الأعراب تزعم أن اللّه تعالى لم يدع ما كسا إلا أنزل فيه بلية و أنه مسخ منهم اثنين ضبعا و ذئبا

العرب أن السّمع لا يموت حتف أنفه، و أنه أسرع من الريح و إنما هلاكه بعرض من[1]أعراض الدنيا.

مزاحه مع حمدان الخرّاط:

أخبرنا حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان بالبصرة رجل يقال له: حمدان الخرّاط، فاتخذ جاما لإنسان كان بشّار عنده، فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صور طير تطير، فاتخذه له و جاءه به، فقال له: ما في هذا الجام؟فقال: صور طير تطير؛ فقال[له: قد][2]كان ينبغي أن تتخذ فوق/هذه الطير طائرا من الجوارح كأنه يريد صيدها، فإنه كان أحسن؛ قال: لم أعلم؛ قال: بلى قد علمت، و لكن علمت[3]أني أعمى لا أبصر شيئا!و تهدّده بالهجاء، فقال له حمدان: لا تفعل فإنك تندم؛ قال: أو تهدّدني أيضا!قال: نعم؛ قال: فأيّ شيء تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك! قال: أصوّرك على باب داري بصورتك هذه و أجعل من خلفك قردا ينكحك حتى يراك الصّادر و الوارد؛ قال[4]بشار: اللّهمّ أخزه، أنا أمازحه و هو يأبى إلا الجدّ!.

مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له و ما قاله فيه بشار من الشعر:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى و الحسن بن عليّ و محمد بن عمران الصّيرفيّ قالوا: حدّثنا العنزيّ قال حدّثني جعفر بن محمد[العدويّ[5]عن محمد]بن سلاّم قال حدّثني مخلد أبو سفيان قال: كان جرير بن المنذر السّدوسيّ يفاخر بشّارا؛ فقال فيه بشّار: أمثل بني مضر وائل # فقدتك من فاخر ما أجنّ

أ في النوم هذا أبا منذر # فخيرا رأيت و خيرا يكن

رأيتك و الفخر في مثلها # كعاجنة غير ما تطّحن

و قال يحيى في خبره: فحدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني عاصم[6]بن وهب أبو شبل الشاعر البرجميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج السراداني[7]قال: /كنّا عند بشّار و عنده رجل ينازعه في اليمانية و المضريّة إذ أذّن المؤذّن، فقال له بشار: رويدا، تفهّم هذا الكلام؛ فلما قال: أشهد أنّ محمدا رسول اللّه، قال له بشّار: أ هذا الذي نودي باسمه مع اسم اللّه عزّ و جلّ من مضرّ () فلهذه القرابة تسافدا و تناجلا و إن اختلفا في سوى ذلك، و من ولدهما: السمع و العسبار و إنما اختلفتا لأن الأم ربما كانت ضبعا و الأب ذئبا و ربما كانت الأم ذئبة و الأب ذيخا و الذيخ: ذكر الضباع» .

[1]هكذا في ء، ط، حـ. و في سائر النسخ: «بغرض من أغراض» بالغين و هو تصحيف.

[2]زيادة في ء، ط.

[3]في ء، ط: «و لكن قد عملت على أني أعمى» .

[4]في ء، ط: «فقال» بالفاء.

[5]زيادة عن، ء، ط و بها يستقيم السند.

[6]كذا في ترجمته في ج 13 ص 22 «أغاني» طبع بولاق، و في مواضع أخرى من هذا الكتاب. و وقع في هذا الموضع في أكثر النسخ «عصيم» . و في ء، ط: «عصم» و هو تحريف.

[7]هكذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول و في «معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص» ص 131 طبع بولاق «السواديّ» و لم نعثر على تصحيحه.

هو أم من صداء و علّ و حمير؟فسكت الرجل.

نقده للشعر:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال أنشد[1]بشار قول الشاعر: و قد جعل الأعداء ينتقصوننا # و تطمع فينا ألسن و عيون

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة # إذا غمزوها بالأكفّ تلين

/فقال: و اللّه لو زعم أنها عصا مخّ أو عصا زبد، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا!أ لا قال كما قلت: و دعجاء المحاجر من معدّ # كأن حديثها ثمر الجنان

إذا قامت لمشيتها[2]تثنّت # كأن عظامها من خيزران

اعتداده بنفسه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني محمد بن[صالح بن][3]الحجاج قال: قلت لبشار: إنّي أنشدت فلانا قولك:

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى # ظمئت و أيّ الناس تصفو مشاربه

فقال لي: ما كنت أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لي بشار: ويلك!أ فلا قلت له: هو و اللّه لأكبر الجنّ و الإنس!.

وعدته امرأة و اعتذرت فعاتبها بشعر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو الشّبل عن محمد بن الحجاج قال: كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته، فوعدته بذلك ثم أخلفته، و جعل ينتظرها ليلته حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها؛ فكتب إليها بهذه الأبيات: يا ليلتي تزداد نكرا # من حبّ من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إليـ # ك سقتك بالعينين خمرا

و كأن رجع حديثها # قطع الرياض كسين زهرا

و كأن تحت لسانها # هاروت ينفث فيه سحرا

و تخال ما جمعت عليـ # ه ثيابها ذهبا و عطرا

[1]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «أنشدنا بشار» .

[2]كذا في جميع الأصول و في «كامل» المبرّد ج 2 ص 497 طبع أوروبا: «لسبحتها» و السّبحة: صلاة التطوّع و النافلة. و المشهور في رواية هذا البيت: إذا قامت لحاجتها تثنت

[3]زيادة في ء، ط.

و كأنها برد الشرا # ب صفا و وافق منك فطرا

جنّيّة إنسيّة # أو بين ذاك أجلّ أمرا

و كفاك أنّي لم أحط # بشكاة من أحببت خبرا

إلا مقالة زائر # نثرت لي الأحزان نثرا

متخشّعا تحت الهوى # عشرا و تحت الموت عشرا

كان إسحاق الموصلي لا يعتدّ به و يفضل عليه مروان:

حدّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال:

كان إسحاق الموصليّ لا يعتدّ ببشار و يقول: هو كثير التخليط في شعره[1]، و أشعاره مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا؛ أ ليس هو القائل: /

إنما عظم سليمى حبّتي[2] # قصب السّكّر لا عظم الجمل

و إذا أدنيت منها بصلا # غلب المسك على ريح البصل

لو قال كلّ شيء جيّد ثم أضيف إلى هذا لزيّفه. قال: و كان يقدّم عليه مروان و يقول: هذا هو أشدّ استواء شعر منه، و كلامه و مذهبه أشبه بكلام العرب و مذاهبها، و كان لا يعدّ أبا نواس البتة و لا يرى فيه خيرا.

أنشد إبراهيم بن عبد اللّه هجوه للمنصور و لما قتل غيرها و جعلها في هجو أبي مسلم:

حدّثنا محمد بن عليّ[3]بن يحيى قال حدّثنا محمد بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التّيميّ قال: دخل بشّار إلى إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور و يشير عليه برأي يستعمله في أمره، فلما قتل/إبراهيم خاف بشار، فقلب الكنية، و أظهر أنه كان قالها في أبي مسلم و حذف منها أبياتا و أوّلها: أبا جعفر ما طول عيش بدائم # و لا سالم عمّا قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال: «أبا مسلم» .

على الملك الجبّار يقتحم الردى # و يصرعه في المأزق المتلاحم

كأنك لم تسمع بقتل متوّج # عظيم و لم تسمع بفتك[4]الأعاجم

تقسّم كسرى رهطه بسيوفهم # و أمسى أبو العباس أحلام نائم

يعني الوليد بن يزيد.

و قد كان لا يخشى انقلاب مكيدة # عليه و لا جري النّحوس الأشائم

[1]كذا في أكثر النسخ. و في س، أ، م: «في نثره» .

[2]كذا في أكثر النسخ. و في أ، م، حـ: «خلتي» و كلاهما بمعنى الصديقة و المحبوبة.

[3]كلمة «ابن علي» ساقطة في أ، م، حـ.

[4]في ء، ط: «و لم تعلم بقتل الأعاجم» .

و قد ترد الأيام غرّا و ربّما # وردن كلوحا باديات الشّكائم

و مروان[1]قد دارت على رأسه الرحى # و كان لما أجرمت نزر الجرائم

فأصبحت تجري سادرا في طريقهم # و لا تتّقي أشباه تلك النقائم

تجرّدت للإسلام تعفو[2]سبيله # و تعري مطاه[3]للّيوث الضّراغم

فما زلت حتى استنصر الدين أهله # عليك فعاذوا بالسّيوف الصوارم

فرم وزرا ينجيك يا ابن سلامة # فلست بناج من مضيم و ضائم

جعل موضع «يا ابن سلامة» «يا ابن وشيكة» [4]و هي أمّ أبي مسلم.

لحا اللّه قوما رأسوك عليهم # و ما زلت مرءوسا خبيث المطاعم

أقول لبسّام عليه جلالة # غدا أريحيّا عاشقا للمكارم

من الفاطميّين الدّعاة إلى الهدى # جهارا و من يهديك مثل ابن فاطم[5]

هذا البيت الذي[خافه و][6]حذفه بشار من الأبيات.

سراج لعين المستضيء و تارة # يكون ظلاما للعدوّ المزاحم

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن # برأي نصيح أو نصيحة حازم

و لا تجعل الشّورى عليك غضاضة # فإنّ الخوافي قوّة للقوادم

و ما خير كفّ أمسك الغلّ[7]أختها # و ما خير سيف لم يؤيّد بقائم

/و خلّ الهوينا للضّعيف و لا تكن # نئوما فإن الحزم ليس بنائم

و حارب إذا لم تعط إلا ظلامة # شبا الحرب خير من قبول المظالم

قال محمد بن يحيى: فحدّثني الفضل بن الحباب قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول سمعت أبا عبيدة يقول: ميميّة بشار هذه أحب إليّ من ميميّتي جرير و الفرزدق.

قال محمد: و حدّثني ابن الرّياشيّ قال حدّثني أبي قال:

حديث بشار في المشورة:

قال الأصمعيّ قلت لبشّار: يا أبا معاذ، إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن [1]يريد به مروان الحمار آخر ملوك بني أمية الذي قتله أبو العباس السفاح بمصر.

[2]تعفو: تمحو، يقال: عفت الريح المنزل أي محته و درسته.

[3]المطا: الظهر.

[4]كذا في أكثر الأصول: و هو الموافق لما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج 1 ص 397) في ترجمة أبي مسلم الخراساني. و في ط: «وشيلة» .

[5]أصله فاطمة فرخمه بحذف تاء التأنيث، و الترخيم في غير النداء جائز للضرورة.

[6]زيادة في ط.

[7]الغل بالضم: الحديدة التي تجمع بين يد الأسير و عنقه، و تسمى الجامعة.

المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك/في مكروهه؛ فقلت له: أنت و اللّه في قولك هذا أشعر منك في شعرك.

بشار و المعلى بن طريف:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الفضل بن محمد اليزيديّ عن إسحاق و حدّثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال:

كان بشّار جالسا في دار المهديّ و الناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهديّ لمن حضر: ما عندكم في قول اللّه عزّ و جلّ:

(وَ أَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى اَلنَّحْلِ أَنِ اِتَّخِذِي مِنَ اَلْجِبَالِ بُيُوتاً وَ مِنَ اَلشَّجَرِ) فقال له بشار: النّحل التي يعرفها الناس؛ قال هيهات يا أبا معاذ، النحل: بنو هاشم، و قوله: **(يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)** يعني العلم؛ فقال له بشّار: أراني اللّه طعامك و شرابك و شفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسعتنا غثاثة؛ فغضب و شتم بشّارا؛ و بلغ المهديّ الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدّثه بشّار بها؛ فضحك حتى أمسك على بطنه، ثم قال للرجل: أجل!فجعل اللّه طعامك و شرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فإنك بارد غثّ. و قال/محمد بن مزيد في خبره: إنّ الذي خاطب بشّارا بهذه الحكاية و أجابه عنها من موالي المهديّ المعلّى بن طريف.

بشار و يزيد بن منصور الحميري:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخل يزيد بن منصور الحميريّ على المهديّ و بشّار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحميريّ، و كانت فيه غفلة، فقال له: يا شيخ، ما صناعتك؟فقال: أثقب اللؤلؤ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشّار: أعزب[1]ويلك؛ أ تتنادر على خالي!فقال له: و ما أصنع به!يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا و يسأله عن صناعته!.

ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال:

وقف على بشّار بعض المجّان و هو ينشد شعرا؛ فقال له: استر شعرك هذا كما تستر عورتك؛ فصفّق بشّار بيديه و غضب و قال له: من أنت ويلك؟ قال: أنا أعزّك اللّه رجل من باهلة[2]، و أخوالي[من][3]سلول[4]، و

أصهاري عكل[5]، و اسمي كلب، و مولدي بأضاخ[6]، و منزلي بنهر[7]بلال؛ فضحك بشّار ثم قال: اذهب [1]أعزب: أبعد. و في ء، ط، حـ: «أغرب» بالغين المعجمة و الراء المهملة و هي بمعناها.

[2]باهلة: قبيلة من قيس عيلان و هو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها.

[3]زيادة في ء، ط.

[4]سلول: قبيلة من هوازن و هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن و سلول أمهم نسبوا إليها.

[5]عكل: قبيلة فيهم غباوة و قلة فهم، و لذلك يقال لكل من فيه غفلة و يستحمق: عكليّ.

[6]أضاخ: قرية من قرى اليمامة لبني نمير.

[7]كذا في ء، ط. و نهر بلال بالبصرة احتفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، و جعل على جنبيه حوانيت و نقل إليها السوق. ـ

ويلك!فأنت عتيق لؤمك، قد علم اللّه أنك استترت منّي بحصون من حديد.

وصف قاص قصرا كبيرا في الجنة فعابه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني الفضل بن سعيد قال حدّثني أبي قال:

مرّ بشار بقاصّ بالبصرة[1]فسمعه يقول في قصصه: من صام رجبا و شعبان و رمضان بنى اللّه له قصرا في الجنّة صحنه ألف فرسخ في مثلها و علوه ألف فرسخ و كلّ باب من أبواب بيوته و مقاصره عشرة فراسخ في مثلها، قال: فالتفت بشار إلى قائده. فقال: بئست و اللّه الدار هذه في كانون الثاني[2].

سمع صخبا في الجيران فقال كأن القيامة قامت:

قال الفضل بن سعيد و حدّثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنّهاريّات[3]قال: تزوّجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت و بشّار تحتنا، أو كنا في أسفل البيت و بشار في علوه مع امرأة، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران و حمار في الدار فارتجّت الناحية بنهيقها، و ضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله و جعل يدقّها بها دقّا شديدا فسمعت بشّارا يقول للمرأة: نفخ-يعلم اللّه-في الصّور و قامت القيامة أ ما تسمعين كيف يدقّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها!قال: و لم يلبث أن فزعت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها و عدت فألقت طبقا و غضارة[4]/الى الدار فانكسرا، و تطاير حمام و دجاج كنّ في الدار لصوت الغضارة و بكى صبيّ في الدار؛ فقال بشّار: صحّ و اللّه الخبر و نشر أهل القبور من قبورهم أزفت-يشهد اللّه-الآزفة و زلزلت الأرض زلزالها؛ فعجبت من كلامه و غاظني ذلك؛ /فسألت من المتكلم؟فقيل لي: بشار، فقلت: قد علمت أنه لا يتكلّم بمثل هذا غير بشّار.

نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر اللّه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار[5]قال حدّثني قدامة بن نوح قال:

مرّ بشار برجل قد رمحته[6]بغلة و هو يقول: الحمد للّه شكرا، فقال له بشّار: استزده يزدك. قال: و مرّ به قوم يحملون جنازة و هم يسرعون

المشي بها، فقال: ما لهم مسرعين!أ تراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم!.

مات ابن له فرثاه:

() و في حـ: «ظهر بلال» . و في باقي الأصول: «ظفر بلال» و كلاهما تحريف.

[1]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «بالمدينة» .

[2]كانون الأول و كانون الثاني: شهران شمسيان يقعان في قلب الشتاء، معربان عن الرومية.

[3]كذا في جميع الأصول و لعلها نسبة إلى بني النهاري: قبيلة من الأشراف باليمن.

[4]في ء، ط: «فألقت طبقا فيه غضارة» و الغضارة: القصعة الكبيرة فارسية. و في أ، م: «فألقت طبقا و غزارة» .

[5]هكذا ورد هذا الاسم في أكثر الأصول. و في ء هكذا: «محمد بن حصار» و في ط هكذا: «محمد بن صعار» . و في العرب من تسمى بجدار و حصار. و لم نوفق إلى تحقيقه في الكتب التي بأيدينا.

[6]رمحته: رفسته.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب، و أخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جمهور، قالا[1]: توفّى ابن لبشار فجزع عليه؛ فقيل له: أجر قدّمته، و فرط افترطته، و ذخر أحرزته، فقال: ولد دفنته، و ثكل تعجّلته، و غيب وعدته فانتظرته؛ و اللّه لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة. و قال يرثيه: أجارتنا لا تجزعي و أنيبي # أتاني من الموت المطلّ نصيبي

بنيّ على رغمي و سخطي رزئته # و بدّل أحجارا و جال[2]قليب

و كان كريحان الغصون[3]تخاله # ذوي بعد إشراق يسرّ و طيب

/أصيب بنيّ حين أورق غصنه # و ألقى عليّ الهمّ كلّ قريب

عجبت لإسراع المنيّة نحوه # و ما كان لو ملّيته[4]بعجيب

نوادره:

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذكر عافية بن شبيب عن أبي عثمان اللّيثيّ، و حدّثني به الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي مسلم، قالا: رفع غلام بشّار إليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم، فصاح به بشّار و قال: و اللّه ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم، و اللّه لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم.

أخبرنا محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا أبو معاذ النّميريّ قال: قلت لبشّار: لم مدحت يزيد بن حاتم ثم هجوته؟قال: سألني أن أنيكه فلم أفعل؛ فضحكت ثم قلت: فهو كان ينبغي له أن يغضب، فما موضع الهجاء!فقال: أظنّك تحبّ أن تكون شريكه؛ فقلت: أعوذ باللّه من ذلك ويلك[5]!

سئل عن شعره الغث فأجاب:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا أحمد بن خلاّد، و أخبرنا يحيى بن عليّ و محمد بن عمران الصّيرفيّ، قالا حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال قلت لبشّار: إنك لتجيء بالشيء الهجين[6]المتفاوت، قال: و ما ذاك؟قال قلت: بينما تقول شعرا تثير[7]به النقع و تخلع به القلوب، مثل قولك: إذا ما غضبنا غضبة مضريّة # هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما

[1]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «قال» بالإفراد.

[2]الجال: الجانب، و القليب في الأصل: البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر، و المراد هنا القبر.

[3]كذا في ء و إحدى روايتي ط. و في أ، م و رواية في ط: «الغروس» . و في ب، س: «العروس» .

[4]مليته: متعت به، يقال ملاّك اللّه حبيبك أي متعك به و أعاشك معه طويلا.

[5]كذا في ء، أ. و في باقي النسخ: «و بك» ، و هو تحريف.

[6]كذا في أكثر الأصول، و في ء، ط: «المهجن» .

[7]كذا في ء، ط. و في باقي الأصول: «يثير النقع» .

إذا ما أعرنا سيّدا من قبيلة # ذرى منبر صلّى علينا و سلّما

/تقول:

ربابة ربّة البيت # تصبّ الخلّ في الزّيت

لها عشر دجاجات # و ديك حسن الصّوت

فقال: لكلّ وجه و موضع، فالقول الأوّل جدّ، و هذا قلته في ربابة جاريتي، و أنا لا آكل البيض من السّوق، و ربابة[هذه][1]لها عشر دجاجات و ديك فهي تجمع لي البيض[و تحفظه عندها][1]، فهذا عندها من قولي أحسن من: قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل

عندك.

كان يحشو شعره بما لا حقيقة له تكميلا للقافية:

أخبرني الحسن[بن عليّ][2]قال حدّثني أحمد بن محمد جدار قال حدّثني قدامة بن نوح قال: كان بشّار يحشو شعره إذا أعوزته القافية و المعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها، فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه: غنّني للغريض يا بن قنان

فقيل له: من ابن قنان هذا، لسنا نعرفه من مغنّي البصرة؟قال: و ما عليكم منه!أ لكم قبله دين فتطالبوه به، أو ثأر تريدون أن تدركوه، أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره؟قالوا: ليس بيننا و بينه شيء من هذا، و إنما أردنا أن نعرفه، فقال: هو رجل يغنّي لي و لا يخرج من بيتي؛ فقالوا له: إلى متى؟قال: مذ يوم ولد و إلى يوم يموت. قال: و أنشدنا أيضا في هذه القصيدة: ..... [3]و وافا # ني هلال السماء في البردان

/فقلنا: يا أبا معاذ. أين البردان هذا؟لسنا نعرفه بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سمّيته البردان، أ فعليكم من تسميتي داري و بيوتها شيء فتسألوني عنه!.

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسّان دماذ-و اسمه رفيع بن سلمة-قال حدّثني يحيى بن الجون العبديّ راوية بشّار قال: كنا عند بشّار يوما فأنشدنا قوله: و جارية خلقت وحدها # كأن النساء لديها خدم

[1]زيادة عن ء، ط.

[2]زيادة عن ء.

[3]بياض في جميع الأصول.

دوار[1]العذارى إذا زرنها # أطفن بحوراء مثل الصّنم[2].

ظمئت إليها فلم تسقني # بريّ و لم تشفني من سقم

و قالت هويت فمت راشدا # كما مات عروة[3]غمّا بغمّ

فلما رأيت الهوى قاتلي # و لست بجار و لا بابن عمّ

دسست إليها أبا مجلز # و أيّ فتى إن أصاب اعتزم

فما زال حتى أنابت له # فراح و حلّ لنا ما حرم

فقال له رجل: و من أبو مجلز هذا يا أبا معاذ؟قال: و ما حاجتك إليه!لك عليه دين أو تطالبه بطائلة[4]!هو رجل يتردّد بيني و بين معارفي في رسائل. قال: و كان كثيرا ما يحشو شعره بمثل هذا.

شعره في قينة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن عليّ و كانت محسنة بارعة الظّرف، و كان بشّار صديقا لسيّدها و مدّاحا له، فحضر مجلسه يوما و الجارية تغنّي؛ فسرّ بحضوره و شرب حتى سكر و نام، و نهض بشّار؛ فقالت: يا أبا معاذ، أحبّ أن تذكر يومنا هذا في قصيدة و لا تذكر فيها اسمي و لا اسم سيّدي و تكتب بها إليه؛ فانصرف و كتب إليه: و ذات دلّ كأن البدر صورتها # باتت تغنّي عميد[5]القلب سكرانا: / (إنّ العيون التي في طرفها حور # قتلننا ثم لم يحيين قتلانا) فقلت أحسنت يا سؤلي و يا أملي # فأسمعيني جزاك اللّه إحسانا: (يا حبّذا جبل الرّيان[6]من جبل # و حبّذا ساكن الريّان من كانا) قالت فهلا، فدتك النفس، أحسن من # هذا لمن كان صبّ القلب حيرانا: (يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة # و الأذن تعشق قبل العين أحيانا) فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة # أضرمت في القلب و الأحشاء نيرانا

فأسمعيني صوتا مطربا هزجا[7] # يزيد صبّا محبّا فيك أشجانا

يا ليتني كنت تفّاحا مفلّجة[8] # أو كنت من قضب الريحان ريحانا

[1]كذا في جميع النسخ و الدوار بضم الدال و فتحها مع تخفيف الواو و قد تشدّد: صنم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعا حوله يدورون به، و هو وارد هنا على وجه التشبيه؛ و في «زهر الآداب» ج 2 ص 119 طبع المطبعة الرحمانية: «رواء» .

[2]كذا في «زهر الآداب» و في جميع الأصول: «الضمم» بالضاد المعجمة و الميم، و هو تحريف.

[3]يشير إلى عروة بن حزام العذري صاحب عفراء، أحد العشاق المشهورين الذين قتلهم العشق.

[4]الطائلة: الذحل و الثأر.

[5]عميد القلب: مريضه، يقال: قلب عميد إذا هدّه العشق و كسره.

[6]الريان: جبل في ديار طيء لا يزال يسيل منه الماء، و هو في مواضع كثيرة منها.

[7]الهزج: ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت و تقاربه.

[8]مفلّجة: مقسمة، و يريد بذلك أنها إذا قسمت كانت أسطع نفحا و أضوع شذا و طيبا.

حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها # و نحن في خلوة مثلّث إنسانا

فحرّكت عودها ثم انثنت طربا # تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا: (أصبحت أطوع خلق اللّه كلّهم # لأكثر الخلق لي في الحبّ عصيانا) /فقلت أطربتنا يا زين مجلسنا # فهات إنك بالإحسان أولانا

لو كنت أعلم أنّ الحبّ يقتلني # أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا

فغنّت الشّرب صوتا مؤنقا[1]رملا # يذكي السّرور و يبكي العين ألوانا: (لا يقتل اللّه من دامت مودّته # و اللّه يقتل أهل الغدر أحيانا) و وجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدها بألفي دينار و سرّ بها سرورا شديدا.

أغضبه أعرابيّ عند مجزأة بن ثور فهجاه:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد اللّه المقرئ الجحدريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال: دخل أعرابيّ على مجزأة بن ثور السّدوسيّ و بشّار عنده و عليه بزّة الشعراء، فقال الأعرابيّ: من الرجل؟ فقالوا: رجل شاعر؛ فقال: أ مولى هو أم عربيّ؟قالوا: بل مولى؛ فقال الأعرابيّ: و ما للموالي و للشعر!فغضب بشّار و سكت هنيهة، ثم قال: أ تأذن لي يا أبا ثور؟قال: قل ما شئت يا أبا معاذ؛ فأنشأ بشّار يقول: خليلي لا أنام على اقتسار # و لا آبى على مولى و جار

سأخبر فاخر الأعراب عنّي # و عنه حين تأذن بالفخار

أ حين كسيت بعد العري خزّا # و نادمت الكرام على العقار

تفاخر يا ابن راعية و راع # بني الأحرار حسبك من خسار

و كنت إذا ظمئت إلى قراح # شركت الكلب في ولغ الإطار[2]

تريغ[3]بخطبة كسر الموانى # و ينسيك المكارم صيد فار

/و تغدو[4]للقنافذ تدّريها[5] # و لم تعقل[6]بدرّاج[7]الدّيار

و تتّشح[8]الشّمال للابسيها # و ترعى الضأن بالبلد القفار

[1]مؤنقا: معجبا، يقال: آنقني الشيء فهو مؤنق و أنيق كما يقال مؤلم و أليم؛ و الرمل: ضرب من الأغاني.

[2]من معاني الإطار: ما حول البيت فلعله المراد هنا و أن الكلب بلغ في المياه الراكدة حول الدور.

[3]تريغ: تريد و تطلب و هو المناسب لسياق الكلام، و في جميع لأصول: «تريع» بالعين المهملة.

[4]كذا في أكثر الأصول بالغين المعجمة. وى حـ: «تعدو» بالعين المهملة.

[5]تدّريها: تختلها لتصيدها.

[6]كذا في جميع النسخ، و لعله «تعلق» ، يريد أنه يحاول صيد القنافذ و لا يلحقها.

[7]الدرّاج: القنفذ.

[8]كذا في جميع النسخ، و لعله «و تنتسج» بمعنى «تنسج» ، و الشمال: جمع شملة و هي الكساء يتشح به؛ و في حديث عليّ قال للأشعث بن قيس: «إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين» ؛ و لا يخفى ما في هذه المقابلة من الحسن.

مقامك بيننا دنس علينا # فليتك غائب في حرّ نار

/و فخرك بين خنزير و كلب # على مثلي من الحدث الكبار

فقال مجزأة للأعرابيّ: قبحك اللّه!فأنت كسبت هذا الشرّ لنفسك و لأمثالك!.

خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني العنزيّ عن الرّياشيّ قال: حضر بشّار باب محمد بن سليمان، فقال له الحاجب: اصبر؛ فقال: إنّ الصبر لا يكون إلا على بليّة؛ فقال له الحاجب: إنّي أظنّ أنّ وراء قولك هذا شرّا و لن أتعرّض له، فقم فادخل.

بشار و هلال الرأي:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال: قال هلال الرأي[1]-و هو هلال بن عطية-لبشّار و كان له صديقا يمازحه: إنّ اللّه لم يذهب بصر أحد إلا عوّضه بشيء، فما عوّضك؟قال: الطويل العريض؛ قال: و ما هذا؟قال: ألاّ أراك و لا أمثالك من الثقلاء. ثم قال له: يا هلال أ تطيعني/في نصيحة أخصّك بها؟قال نعم؛ قال: إنك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت و صرت رافضيّا، فعد إلى سرقة الحمير، فهي و اللّه خير لك من الرّفض[2].

قال محمد بن سلاّم: و كان هلال يستثقل، و فيه يقول بشّار:

و كيف يخفّ لي بصري و سمعي # و حولي عسكران من الثّقال

قعودا حول دسكرتي[3]و عندي # كأنّ لهم عليّ فضول مال

إذا ما شئت صبّحني هلال # و أيّ الناس أثقل من هلال

و أخبرني أبو دلف الخزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة، فذكر أنّ الذي خاطب بشّارا بهذه المخاطبة ابن سيّابة، فلما أجابه بشّار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟قال: ابن سيّابة؛ فقال له: يا ابن سيّابة، لو نكح الأسد ما افترس؛ قال: و كان يتّهم بالأبنة.

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه:

قال أيوب و حدّثني محمد بن سلاّم و غيره قالوا: مرّ ابن أخي بشّار به و معه قوم؛ فقال لرجل معه: من هذا؟ فقال: ابن أخيك؛ قال: أشهد أن أصحابه أنذال؛ قال: و كيف علمت؟قال: ليست لهم نعال.

[1]في جميع الأصول «الرائي» و ما أثبتناه هو الموجود في «كتب التراجم» ، يذكرونه بهذا الاسم و يقولون: هو هلال بن يحيى بن مسلم البصري، أخذ الفقه عن أبي يوسف المتوفى سنة 182 و زفر المتوفى سنة 158، و يقولون مع هذا: إنه توفي سنة 245 انظر «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» و «تاج التراجم في طبقات الحنفية» و «الفهرست» لابن النديم ص 205، و ذكره ابن حجر في «لسان الميزان» ص 202 ج 6 و بعد أن ذكر أنه توفي سنة 245 قال: و في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني «هلال الرأي هو هلال بن عطية» و ذكر له قصة مع بشار بن برد، فهذا يدل على أنه متقدّم جدا لأن بشارا قتل في زمن المهدي.

[2]الرفض (بالكسر) : مذهب الرافضة و هم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن عليّ ثم قالوا له: تبرّأ من الشيخين فأبى فرفضوه و انفضوا عنه فسموا الرافضة.

[3]الدسكرة: بناء كالقصر، و هي أيضا: الأرض المستوية.

كان دقيق الحس:

أخبرنا محمد بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني عافية بن شبيب عن أبي دهمان الغلابيّ[1]، قال: مررت ببشّار يوما و هو جالس على بابه وحده و ليس معه خلق و بيده مخصرة[2]يلعب بها و قدّامه طبق فيه تفّاح و أترجّ[3]، فلما رأيته و ليس عنده أحد تاقت نفسي/إلى أن أسرق ما بين يديه، فجئت قليلا قليلا و هو كافّ [يده][4]حتى مددت يدي لأتناول منه، فرفع القضيب و ضرب به يدي ضربة كاد يكسرها، فقلت[له][1]: قطع اللّه يدك يا ابن الفاعلة، أنت الآن أعمى!فقال: يا أحمق، فأين الحسّ!.

حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال: كان لبشّار في داره مجلسان: مجلس يجلس فيه بالغداة يسمّيه «البردان» و مجلس يجلس فيه بالعشيّ اسمه «الرّقيق» ، فأصبح ذات يوم فاحتجم و قال لغلامه: أمسك عليّ بابي و اطبخ لي من طيّب طعامي و صفّ نبيذي؛ قال: فإنه لكذلك إذ قرع الباب قرعا عنيفا؛ فقال: ويحك يا غلام!انظر من يدقّ الباب دقّ الشّرط؛ قال: فنظر الغلام، فقال له: نسوة خمس بالباب يسألن أن تقول لهنّ شعرا ينحن به؛ فقال: أدخلهنّ، فلمّا دخلن نظرن إلى النبيذ مصفّى في قنانيّه/في جانب بيته؛ قال: فقالت واحدة منهنّ: هو خمر، و قالت الأخرى: هو زبيب و عسل، و قالت الثالثة: نقيع زبيب؛ فقال: لست بقائل لكنّ حرفا أو تطعمن من طعامي و تشربن من شرابي؛ قال: فتماسكن ساعة، ثم قالت واحدة منهنّ: ما عليكنّ! هو أعمى فكلن[من][5]طعامه و اشربن من شرابه و خذن شعره؛ فبلغ ذلك الحسن البصريّ فعابه و هتف ببشّار؛ فبلغه ذلك-و كان بشّار يسمّي الحسن البصريّ القسّ-فقال: لما طلعن من الرّقيـ # ق عليّ بالبردان خمسا

و كأنهنّ أهلّة # تحت الثياب زففن شمسا

باكرن عطر لطيمة[6] # و غمسن في الجاديّ[7]غمسا

صوت

لمّا طلعن حففنها # و أصخن ما يهمسن همسا

فسألنني من في البيو # ت فقلت ما يؤوين إنسا

ليت العيون الطارفا[8] # ت طمسن عنّا اليوم طمسا

[1]كذا في أكثر النسخ و هو الصواب، و في ب، س: «الغلال» و هو تحريف.

[2]المخصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب، و قيل المخصرة: شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه.

[3]الأترج: ثمر شجر بستانيّ من جنس الليمون ناعم الورق و الحطب.

[4]الزيادة عن «معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص» ص 133 طبع بولاق.

[5]زيادة في حـ.

[6]اللطيمة: نافجة المسك.

[7]الجاديّ: الزعفران.

[8]في جميع الأصول: «الطارقات» بالقاف، و هو تحريف.

فأصبن من طرف الحديـ # ث لذاذة و خرجن ملسا[1]

لو لا تعرّضهنّ لي # يا قسّ كنت كأنت قسّا

غنّى في هذه الأبيات يحيى المكّي، و لحنه رمل بالبنصر عن عمرو.

نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء فقال شعرا:

أخبرنا يحيى قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد قال حدّثني جعفر بن محمد النوفليّ-و كان يروي شعر بشّار بن برد-قال: جئت بشّارا ذات يوم فحدّثني، قال: ما شعرت منذ أيّام إلا بقارع يقرع بابي مع الصّبح، فقلت: يا جارية انظري من هذا، فرجعت إليّ و قالت: هذا مالك بن دينار؛ فقلت: ما هو من أشكالي و لا أضرابي، ثمّ قلت: ائذني له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أ تشتم أعراض الناس و تشبّب بنسائهم!فلم يكن عندي إلاّ أن دفعت عن نفسي و قلت: لا أعود، فخرج عنّي، و قلت في أثره: غدا مالك بملاماته # عليّ و ما بات من باليه

تناول خودا هضيم الحشي # من الحور محظوظة[2]عاليه

/فقلت دع اللّوم في حبّها # فقبلك أعييت عذّاليه

و إنّي لأكتمهم سرّها # غداة تقول لها الجالية[3]

عبيدة مالك مسلوبة # و كنت معطّرة حاليه

فقالت على رقبة[4]: إنّني # رهنت المرعّث[5]خلخاليه

بمجلس يوم سأوفي به # و لو أجلب الناس أحواليه[6]

شعره في محبوبته فاطمة:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني السّميدع[7]بن محمّد الأزديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن [1]كذا في جميع النسخ و القلس: الشرب الكثير من النبيذ، فلعلها مصدر وقع موقع الحال، أو لعلها محرفة عن «ملسا» بمعنى أنهن ملس من العيب أي ليس فيهن عيب. قال العجاج: و حاصن من حاصنات ملس

و قد فسره بذلك اللسان في مادة «قنس» .

[2]كذا في جميع النسخ و المحظوظة ذات الحظ و ربما كانت محرّفة عن محطوطة قال في «اللسان» : و جارية محطوطة المتنين: ممدودتها و قال الأزهري: ممدودة حسنة مستوية و قد جاء ذلك في الشعر العربي كثيرا كقول الشاعر: محطوطة المتن هضيم الحشي # لا يطبيها الورع الواغل

و كقول القطامي:

بيضاء محطوطة المتنين بهكنة

و لا يخفى ما بين اللفظين «محطوطة و عالية» من المقابلة.

[3]الجالية: الماشطة التي تجلو المرأة و تزينها.

[4]على رقبة: على تحفظ و احتراس.

[5]القب بشار كما تقدم.

[6]أحواليه: من حولي.

[7]كذا في أكثر الأصول، و في ب، س: «السميذع» بالذال المعجمة. و قد ذكر صاحب «القاموس» أن هذا اللفظ مما سمى به الرجال

120

الجهم عن هشام بن الكلبيّ قال:

كان أوّل بدء بشّار أنّه عشق جارية يقال لها فاطمة، و كان قد كفّ و ذهب بصره، فسمعها تغنّي فهويها و أنشأ يقول: /

درّة بحريّة مكنونة # مازها التّاجر من بين الدّرر

عجبت فطمة من نعتي لها # هل يجيد النّعت مكفوف البصر

أمتا[1]بدّد هذا لعبي # و وشاحي حلّه حتّى انتثر

/فدعيني معه يا أمتا[2] # علّنا في خلوة نقضي الوطر

أقبلت مغضبة تضربها # و اعتراها كجنون مستعر

بأبي و اللّه ما أحسنه # دمع عين يغسل الكحل قطر

أيّها النّوّام هبّوا ويحكم # و اسألوني اليوم ما طعم السّهر

عبث به رجل من آل سوّار فلم يجبه:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدّثني أبي عن الحكم بن مخلد بن حازم قال: مررت أنا و رجل من عكل من أبناء سوّار بن عبد اللّه بقصر أوس[3]، فإذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحده، فقال لي العكليّ: لا بدّ لي من أن أعبث ببشّار؛ فقلت: ويحك، مه لا تعرّض بنفسك و عرضك له؛ فقال: إنّي لا أجده في وقت أخلى منه في هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحية و دنا منه فقال: يا بشّار؛ فقال: من هذا الذي لا يكنيني و يدعوني باسمي؟قال: سأخبرك من أنا، فأخبرني أنت عن أمّك: أ ولدتك أعمى أم عميت بعد ما ولدتك؟قال: و ما تريد إلى ذلك؟قال: وددت أنّه فسح[4]لك في بصرك ساعة لتنظر إلى وجهك في المرآة، فعسى أن تمسك عن هجاء الناس و تعرف قدرك؛ فقال: ويحكم!من هذا؟أ ما أحد يخبرني من هذا؟فقال له: على رسلك، أنا رجل من عكل و خالي يبيع الفحم بالعبلاء[5]فما تقدر أن تقول لي؟قال: لا شيء، اذهب، بأبي أنت، في حفظ اللّه.

() و النساء. غير أنه ورد في بعض نسخ «القاموس» بالذال المعجمة بل جاء في هذه النسخ زيادة النص على أنه بمعجمة مفتوحة، و لكن شارحه نبه على أن هذه الزيادة ساقطة في أكثر النسخ، و أن ظاهر كلام الجوهري و ابن سيدة و الصاغاني إهمال الدال، بل صرح بعضهم بأن إعجام داله خطأ، و قد أورده صاحب «اللسان» بالدال المهملة ليس غير.

[1]كذا في الأصول و في «زهر الآداب» : «أمتي» ، و أمتا: أمة (و هي المملوكة) مضافة إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفا، و يحتمل أن يكون أصلها يا أمي حذف منه حرف النداء ثم حذفت ياء المتكلم و عوض عنها التاء، و يجوز في هذه التاء الفتح و الكسر و هو الأكثر، و إذا فتحت لا تلحقها الألف إلا للضرورة.

[2]كذا في الأصول و في «زهر الآداب» : «أمتي» .

[3]قصر أوس بالبصرة ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة، و كان قد ولي خراسان في عهد الدولة الأموية.

[4]في أ، م، ء: «فتح» .

[5]ذكره ياقوت في «معجمه» فقال: العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ، و عندها كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار، ثم قال: و العبلاء و قيل العبلاة بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت و صنم. و ذكره البكري في «معجمه» (ص 492، 641) فقال: العبلاء: قرية و تربة واد من أودية الحجاز، أسفله لبني هلال و الضباب و سلول، و أعلاه لخثعم، و هناك كان ذو الخلصة بيتهم الذي يحجون إليه.

مدح خالد البرمكي:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال:

كان الزّوّار يسمّون في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن برمك السّؤّال؛ فقال خالد: هذا و اللّه أستثقله[1] لطلاّب الخير، و أرفع قدر الكريم عن أن يسمّي به أمثال هؤلاء المؤمّلين، لأنّ فيهم الأشراف و الأحرار و أبناء النّعيم و من لعلّه خير ممن يقصد و أفضل أدبا، و لكنّا نسمّيهم الزّوّار؛ فقال بشّار يمدحه بذلك:

حذا خالد في فعله حذو برمك # فمجد له مستطرف و أصيل

و كان ذوو الآمال يدعون قبله # بلفظ على الإعدام فيه دليل

يسمّون بالسّؤّال في كلّ موطن # و إن كان فيهم نابه و جليل

فسمّاهم الزّوّار سترا عليهم # فأستاره في المجتدين[2]سدول

قال: و قال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألف درهم.

بشار و صديقه تسنيم بن الحواري:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو شبل عاصم[3]بن وهب قال: نهق حمار ذات يوم بقرب بشّار، فخطر بباله بيت فقال:

/

ما قام أير حمار فامتلا شبقا # إلا تحرّك عرق في است تسنيم

/قال: و لم يرد تسنيما بالهجاء؛ و لكنه لمّا بلغ إلى قوله: «إلا تحرّك عرق» قال: في است من؟و مرّ به تسنيم بن الحواري[4]و كان صديقه، فسلّم عليه و ضحك، فقال: في است تسنيم علم اللّه؛ فقال له: أيش[5] ويحك!؟فأنشده البيت؛ فقال له: عليك لعنة اللّه!فما عندك فرق بين صديقك و عدوّك، أيّ شيء حملك على هذا! أ لا قلت: «في است حمّاد» الذي هجاك و فضحك و أعياك، و ليست قافيتك على الميم فأعذرك!قال: صدقت و اللّه في هذا كلّه، و لكن ما زلت أقول: في است من؟في است من؟و لا يخطر ببالي أحد حتّى مررت و سلّمت فرزقته؛ فقال له تسنيم: إذا كان هذا جواب

السّلام عليك فلا سلّم اللّه عليك و لا عليّ حين سلّمت عليك؛ و جعل بشّار يضحك و يصفّق بيديه و تسنيم يشتمه.

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدّثنا عليّ بن محمّد النّوفليّ عن عمّه قال:

[1]في جميع النسخ: «أستقبله» ، و لكن السياق يعين ما أثبتناه.

[2]في ب، س: «المهتدين» .

[3]كذا في حـ. و في سائر النسخ: «عاصب» بالباء و هو تحريف، (انظر الحاشية رقم 4: ص 153 من هذا الجزء) .

[4]لم نعثر على هذا الاسم و لا على ضبطه، و قد سمى بالحواري بفتح أوّله و ثانيه و في آخره ياء مشددة، و بالحواري بضم أوّله و بعده واو مشددة مفتوحة وراء مفتوحة، و لم نستطع ترجيح أحد الضبطين.

[5]أيش: بمعنى أيّ شيء خفف منه كما يقال: ويلمه في معنى: ويل لأمه، على الحذف لكثرة الاستعمال. و قد قيل: إنه سمع من العرب كما قيل إنه مولد.

قالت امرأة لبشّار: ما أدري لم يهابك الناس مع قبح وجهك!فقال لها بشّار: ليس من حسنه يهاب الأسد.

الملاحاة بينه و بين عقبة بن رؤبة في حضرة عقبة بن سلّم:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الحجّاج قال: دخل بشار على عقبة[1]بن سلّم، فأنشده بعض مدائحه فيه و عنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزا يمدحه به، فسمعه بشّار و جعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ؛ ثم أقبل/على بشّار فقال: هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ؛ فقال له بشّار: أ لي يقال هذا!أنا و اللّه أرجز منك و من أبيك و جدّك؛ فقال له عقبة: أنا و اللّه و أبي فتحنا للناس باب الغريب و باب الرّجز، و و اللّه إني لخليق أن أسدّه عليهم؛ فقال بشّار: ارحمهم رحمك اللّه!فقال عقبة: أ تستخفّ بي يا أبا معاذ و أنا شاعر ابن شاعر!فقال له بشّار: فأنت إذا من أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا؛ ثمّ خرج من عنده عقبة مغضبا. فلما كان من غد غدا على عقبة بن سلّم و عنده عقبة بن رؤبة، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها: يا طلل الحيّ بذات الصّمد[2] # باللّه خبّر كيف كنت بعدي

أوحشت من دعد و ترب دعد # سقيا لأسماء ابنة الأشدّ

قامت تراءى إذ رأتني وحدي # كالشّمس تحت الرّبرج[3]المنقدّ

صدّت بخدّ و جلت عن خدّ # ثم انثنت كالنّفس المرتدّ

عهدي بها سقيا له من عهد # تخلف وعدا و تفي بوعد

فنحن من جهد الهوى في جهد # و زاهر من سبط و جعد

أهدى له الدّهر و لم يستهد[4] # أفواف[5]نور الحبر المجدّ

يلقى الضّحى ريحانه بسجد # بدّلت من ذاك بكى لا يجدي

وافق حظّا من سعى بجدّ # ما ضرّ أهل النّوك ضعف الجدّ

الحرّ يلحى و العصا للعبد # و ليس للملحف مثل الردّ

/و النّصف[6]يكفيك من التعدّي # و صاحب كالدّمّل الممدّ[7]

/حملته في رقعة من جلدي # أرقب منه مثل يوم الورد[8]

حتى مضى غير فقيد الفقد # و ما درى ما رغبتي من زهدي

[1]كان عقبة واليا على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور و كان عاتيا جبارا.

[2]في «معجم ما استعجم» للبكري: الصمد: موضع في ديار بني يربوع. و في «معجم ياقوت» : الصمد: ماء للضباب.

[3]الزبرج: السحاب، و المنقد: المتقطع.

[4]استهدى فلان: طلب أن يهدي له.

[5]الأفواف: جمع فوف و هو نوع من برود اليمن تشبه به الأزهار. و الحبر: جمع حبرة كعنبة و قصبة و هي ضرب من برود اليمن منمر.

[6]النصف: الإنصاف.

[7]يقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممد.

[8]الورد: من أسماء الحمى.

اسلم و حيّيت أبا الملدّ # مفتاح باب الحدث المنسدّ

مشترك النّيل وريّ الزّند # أغرّ لباس ثياب الحمد

ما كان منّي لك غير الودّ # ثم ثناء مثل ريح الورد

نسجته في محكمات النّدّ # فالبس طرازي[1]غير مستردّ

للّه أيامك في معدّ # و في بني قحطان غير عدّ

يوما بذي طخفة[2]عند الحدّ # و مثله أودعت أرض الهند

بالمرهفات و الحديد السّرد[3] # و المقربات المبعدات الجرد

إذا الحيا[4]أكدى بها لا تكدي # تلحم أمرا و أمورا تسدي[5]

و ابن حكيم إن أتاك يردي[6] # أصمّ لا يسمع صوت الرعد

حيّيته[7]بتحفة المعدّ # فانهدّ مثل الجبل المنهدّ

كلّ امرئ رهن بما يؤدّي # و ربّ ذي تاج كريم الجدّ

كآل كسرى و كآل برد # أنكب[8]جاف عن سبيل القصد

فصلته عن ماله و الولد

/فطرب عقبة بن سلّم و أجزل صلته، و قام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي، و هرب من تحت ليلته فلم يعد إليه.

و ذكر لي أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ هذا الخبر عن الجاحظ، و زاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤبة و قد أجمل بشّار محضره و عشرته، فقابله بهذه المقابلة القبيحة، و كان أبوه أعلم خلق اللّه به، لأنه قال له و قد فاخره بشعره: أنت يا بنيّ ذهبان[9]الشّعر إذا متّ مات شعرك معك، فلم يوجد من يرويه بعدك؛ فكان كما قال له، ما يعرف له بيت واحد و لا خبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالّ على سخفه و سقوطه و سوء أدبه.

كان يهوى امرأة من البصرة و قال فيها الشعر لما رحلت:

[1]الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب.

[2]طخفة: موضع بعد النباج و بعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة، و فيه يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.

[3]السرد: اسم جامع للدروع و سائر الحلق.

[4]الحيا: المطر. و أكدى: بخل.

[5]تلحم: تنسج اللحمة و هي ما نسج في الثوب عرضا بخلاف السدي و هو ما مدّ من خيوطه طولا، و في المثل: «ألحم ما أسديت» أي تمم ما بدأته.

[6]يردي: يعدو.

[7]في الأصول: «حبيته» بالباء الموحدة، و هو تحريف.

[8]الأنكب: المائل، يقال: رجل أنكب عن الحق و ناكب عنه أي مائل.

[9]كذا في جميع الأصول و المعنى ظاهر، و لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا وصفا من «ذهب» على هذا الوزن.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسّان دماذ قال حدّثنا أبو عبيدة قال: كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة يقال لها عبيدة[1]، فخرجت عن البصرة إلى عمان[2]مع زوجها، فقال بشار فيها:

صوت

هوى صاحبي ريح الشّمال إذا جرت # و أشفى لقلبي أن تهبّ جنوب

و ما ذاك إلا أنها حين تنتهي # تناهى و فيها من عبيدة طيب

عذيري من العذّال إذ يعذلونني # سفاها و ما في العاذلين لبيب

صوت

يقولون لو عزّيت قلبك لارعوى # فقلت و هل للعاشقين قلوب

إذا نطق القوم الجلوس فإنّني # مكبّ[3]كأني في الجميع غريب

بشار و أبو الشمقمق:

أخبرني هاشم قال حدّثني دماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال:

جاء أبو الشّمقمق إلى بشّار يشكو إليه الضّيقة[4]و يحلف له أنه ما عنده شيء؛ فقال له بشّار: و اللّه ما عندي شيء يغنيك و لكن قم معي إلى عقبة بن سلّم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق و قال: هو شاعر و له شكر و ثناء، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشّار: يا واحد العرب الذي # أمسى و ليس له نظير

لو كان مثلك آخر # ما كان في الدنيا فقير

فأمر لبشّار بألفي درهم؛ فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا و نفعناك يا أبا معاذ؛ فجعل بشّار يضحك.

بشار و أبو جعفر المنصور:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا زكريّا بن يحيى أبو السّكين[5] الطائيّ قال حدّثني زحر بن حصن قال: حجّ المنصور فاستقبلناه بالرّضم الذي بين زبالة[6]و الشّقوق، فلما رحل من الشّقوق رحل في وقت الهاجرة [1]كذا في حـ، س و هو الموافق لما في الأبيات الآتية. و في سائر النسخ: «عبدة» .

[2]اسم كورة عربيّة على ساحل بحر اليمن و الهند.

[3]مكب: مطرق.

[4]الضيقة بالكسر و يفتح: الفقر و سوء الحال.

[5]كذا في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال» و هو الصواب. و في ب، س: «أبو مسكين» . و في ء، أ، م: «أبو المسكين» و كلاهما تحريف.

[6]زبالة: منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة و هي قرية عامرة بها أسواق. و الشقوق: منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة.

فلم يركب القبّة[1]و ركب نجيبا فسار بيننا، فجعلت الشمس تضحك[2]بين عينيه، فقال: إني قائل بيتا فمن أجازه وهبت له جبّتي هذه؛ فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال: و هاجرة نصبت لها جبيني # يقطّع ظهرها ظهر العظايه[3]

/فبدر بشار الأعمى فقال:

وقفت بها القلوص ففاض دمعي # على خدّي و أقصر وا عظايه

فنزع الجبّة و هو راكب فدفعها إليه. فقلت لبشّار بعد ذلك: ما فعلت بالجبّة؟فقال بشّار: بعتها و اللّه بأربعمائة دينار.

كان له شعر غث يعير به:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة[4]عن أبيه قال: كان بشّار منقطعا إليّ و إلى إخوتي فكان يغشانا كثيرا، ثم خرج إبراهيم بن عبد اللّه فخرج معه عدّة منّا، فلما قتل إبراهيم تواريا، و حبس المنصور منّا عدّة من إخوتي، فلما ولي المهديّ أمّن الناس جميعا و أطلق المحبوسين، فقدمت بغداد أنا و إخوتي نلتمس أمانا من المهديّ، و كان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد[5]الرّصافة ينشدون و يتحدّثون، فلم أطلع بشّارا على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديّ الأمان، و كتب أخي إلى خليفته بالليل، فصحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول: أحبّ الخاتم الأحمـ # ر من حبّ مواليه

/فأعرض عنّي و أخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صحت: يا أبا معاذ من الذي يقول: إنّ سلمى خلقت من قصب[6] # قصب السكّر لا عظيم الجمل

و إذا أدنيت منها بصلا # غلب المسك على ريح البصل

فغضب و صاح: من الذي يقرّعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيّرنا بها!فتركته ساعة ثم صحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

[1]القبة: الهودج.

[2]تضحك: تتلألأ.

[3]العظاية: دويبة ملساء تعدو و تتردّد تشبه سام أبرص.

[4]في جميع النسخ: «ابن ربيعة» بدون كلمة «أبي» .

[5]كذا في ء، أ، حـ. و في باقي النسخ: «سجن الرصافة» و هو تحريف، و الرصافة: اسم لمواضع كثيرة و المرادة هنا هي «رصافة بغداد» بالجانب الشرقيّ، ذكرها ياقوت فقال: لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربيّ و استتمّ بناءها أمر ابنه المهديّ أن يعسكر في الجانب الشرقيّ و أن يبني له فيها دورا، و جعلها معسكرا له، فالتحق بها الناس و عمروها، فصارت مقدار مدينة المنصور و عمل المهديّ بها جامعا أكبر من جامع المنصور و أحسن. و كان فراغ المهدي من بناء الرصافة و الجامع بها في سنة 159 هـ و هي السنة الثانية من خلافته.

[6]كذا في الأصول و في «زهر الآداب» ج 1 ص 206 طبع المطبعة الرحمانية.

إنما عظم سليمى خلتي # قصب.....

إلخ

أ خشّاب حقّا أنّ دارك تزعج # و أنّ الذي بيني و بينك ينهج[1]

فقال: ويحك!عن مثل هذا فسل، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، و هي من جيّد شعره، و فيه غناء:

صوت

فوا كبدا قد أنضج الشوق نصفها # و نصف على نار الصّبابة ينضج

و وا حزنا منهنّ يحففن هودجا # و في الهودج المحفوف بدر متوّج

فإن جئتها بين النساء فقل لها # عليك سلام مات من يتزوّج

بكيت و ما في الدمع منك خليفة # و لكنّ أحزاني عليك توهّج

الغناء لسليم بن سلاّم رمل بالوسطى. و وجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه فذكر أنه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه و كان إليها مائلا يقال لها خشّابة، فارسيّة، فزوّجت و أخرجت عن البصرة.

أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال حدّثني أبو حاتم:

/قال أبو النّضير الشاعر: أنشدت بشّارا قصيدة لي، فقال لي: أ يجيئك شعرك هذا كلّما شئت أم هذا شيء يجيئك في الفينة[2]بعد الفينة إذا تعمّلت[3]له؟فقلت: بل هذا شعر يجيئني كلما أردته؛ فقال لي: قل فإنك شاعر؛ فقلت له: لعلّك حابيتني أبا معاذ و تحمّلت[4]لي؛ فقال: أنت أبقاك اللّه أهون عليّ من ذلك.

حاول تقبيل جارية لصديق له و قال شعرا يعتذر فيه عن ذلك:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ عن العمريّ عن عبّاس بن عبّاس الزّناديّ عن رجل من باهلة، قال: كنت عند بشّار الأعمى فأتاه رجل فسلّم عليه، فسأله عن خبر جارية عنده و قال: كيف ابنتي؟قال: في عافية، تدعوك اليوم؛ فقال بشّار: يا باهليّ انهض بنا، فجئنا إلى منزل نظيف و فرش سريّ[5]، فأكلنا، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية، فلمّا أراد الانصراف قامت فأخذت بيد بشّار، فلما صار في الصحن أومأ إليها ليقبّلها، فأرسلت يدها من يده، فجعل يجول في العرصة[6]؛ و خرج المولى فقال: مالك يا أبا معاذ؟فقال: أذنبت ذنبا و لا أبرح أو أقول شعرا، فقال: أتوب إليك من السيئات # و أستغفر اللّه من فعلتي

تناولت ما لم أرد نيله # على جهل أمري و في سكرتي

و و اللّه و اللّه ما جئته # لعمد و لا كان من همّتي

[1]ينهج: يبلى.

[2]الفينة: الحين.

[3]كذا في حـ، و تعملت له: تكلفت و تعنيت و اجتهدت. و في باقي الأصول: «تعقلت» .

[4]كذا في الأصول. و لعله «و تجملت لي» بالجيم أي تكلفت الجميل و تظاهرت لي به.

[5]سريّ: جيد.

[6]العرصة: ساحة الدار.

و إلا فمتّ إذا ضائعا # و عذّبني اللّه في ميتتي

فمن نال خيرا على قبلة # فلا بارك اللّه في قبلتي

كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال: لما أنشد بشّار أرجوزته:

يا طلل الحيّ بذات الصّمد

أبا الملدّ[1]عقبة بن سلّم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخّرها عنه وكيله ثلاثة أيام، فأمر غلامه بشّار أن يكتب على باب عقبة عن يمين الباب: ما زال ما منّيتني من همّي # و الوعد غمّ فأزح من غمّي

إن لم ترد حمدي فراقب ذمّي

فلما خرج عقبة رأى ذلك، فقال: هذه من فعلات بشّار، ثم دعا بالقهرمان[2]، فقال: هل حملت/إلى بشّار ما أمرت له به؟فقال: أيها الأمير نحن مضيقون[3]و غدا أحملها إليه؛ فقال: زد فيها عشرة آلاف درهم و احملها إليه الساعة؛ فحملها من وقته.

نهي المهدي له عن التشبيب بالنساء و سبب ذلك:

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غسّان دماذ قال: سألت أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهديّ بشّارا عن ذكر النساء قال: كان أوّل ذلك استهتار نساء البصرة و شبّانها بشعره، حتى قال سوّار بن عبد اللّه الأكبر و مالك بن دينار؛ ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ و ما زالا يعظانه؛ و كان واصل بن عطاء يقول: إنّ من أخدع حبائل الشيطان و أغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثر ذلك و انتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ، و أنشد المهديّ ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء و قول التشبيب، و كان المهديّ من أشدّ الناس غيرة؛ قال: فقلت له: ما أحسب شعر/هذا أبلغ في هذه المعاني من شعر كثيّر و جميل و عروة بن حزام و قيس بن ذريح و تلك الطبقة؛ فقال: ليس كلّ من يسمع تلك الأشعار يعرف المراد منها، و بشّار يقارب النساء حتى لا يخفى عليهنّ ما يقول و ما يريد، و أيّ حرّة حصان تسمع قول بشّار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزلة و الفتاة التي لا همّ لها إلا الرجال!ثم أنشد قوله: قد لامني في خليلتي عمر # و اللّوم في غير كنهه ضجر[4]

قال أفق قلت لا فقال بلى # قد شاع في الناس منكما الخبر

[1]هكذا وردت هذه الكنية لعقبة المذكور في هذه الأرجوزة فيما تقدّم قريبا ص 176. و في أ، م: «أبا المتلد» و هو تحريف. و في ب، س: «أبا الملك» .

[2]القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل و الخرج.

[3]مضيقون: ضيقو الحال.

[4]في حـ: «ضرر» .

قلت و إذ شاع ما اعتذارك # ممّا ليس لي فيه عندهم عذر
ما ذا عليهم و ما لهم خرسوا # لو أنّهم في عيوبهم نظروا
أعشق وحدي و يؤخذون به # كالتّرك تغزو فتؤخذ الحزر
يا عجبا للخلاف يا عجبا # بفي الذي لام في الهوى الحجر
حسبيّ و حسب الذي كلفت به # منّي و منه الحديث و النّظر
أو قبلة في خلال ذاك و ما # بأس إذا لم تحلّ لي الأزر
أو عضّة في ذراعها و لها # فوق ذراعي من عضّها أثر
أو لمسة دون مرطها[1]بيدي # و الباب قد حال دونه السّتر
و الساق برّاقة مخلخلها # أو مصّ ريق و قد علا البهر[2]
و استرخت الكفّ للعراك و قا # لت إيه عنّي و الدّمع منحدر
انهض فما أنت كالذي زعموا # أنت و ربّي مغازل أشر
قد غابت اليوم عنك حاضنتي # و اللّه لي منك فيك ينتصر
/يا ربّ خذ لي فقد ترى ضرعي # من فاسق جاء ما به سكر
أهوى إلى معضدي[3]فرضّضه # ذو قوّة ما يطاق مقتدر
ألصق بي لحية له خشنت # ذات سواد كأنها الإبر
حتّى علاني و أسرتي غيب[4] # ويلي عليهم لو أنّهم حضروا
/أقسم باللّه لا نجوت بها # فاذهب فأنت المساور الظّفر
كيف بأمّي إذا رأت شفتي # أم كيف إن شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذي ابتليت به # منك فما ذا أقول يا عبر[5]
قلت لها عند ذاك يا سكني # لا بأس إني مجرّب[6]خبر
قولي لها بقّة لها ظفر # إن كان في البقّ ما له ظفر

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تميل القلوب و يلين الصّعب.

[1]المرط: كساء من خز أو كتان يؤتزر به.

[2]البهر بسكون ثانية: تتابع النفس و انقطاعه من الإعياء و قد حرك للضرورة.

[3]المعضد: الدملج، و هو حلي يلبس في المعصم.

[4]غيب: جمع غائب.

[5]العبر (بتثليث العين و سكون الباء) . الجريء القويّ الذي يشقّ ما مر به، فلعل هذا هو المراد هنا، و حركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر.

[6]المجرّب بصيغة المفعول: من جرّبته الأمور و أحكمته؛ و المجرّب بصيغة الفاعل: من عرف الأمور و جرّبها، و كلاهما في هذا الموضع صحيح.

قال دماذ قال لي أبو عبيدة: قال رجل يوما لبشّار في المسجد الجامع يعابثه: يا أبا معاذ، أ يعجبك الغلام الجادل[1]؟فقال غير محتشم و لا مكترث: لا، و لكن تعجبني أمّه.

ورد على خالد البرمكيّ بفارس و امتدحه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجّاج قال: ورد بشّار على خالد بن برمك و هو بفارس فامتدحه؛ فوعده و مطله؛ فوقف على طريقه و هو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته و أنشده: /

أظلّت علينا منك يوما سحابة # أضاءت لنا برقا و أبطأ رشاشها[2]

فلا غيمها يجلي فييأس طامع # و لا غيثها يأتي فيروى عطاشها

فحبس بغلته و أمر له بعشرة آلاف درهم، و قال: لن تنصرف السحابة حتى تبلّك إن شاء اللّه.

تظاهر بالحج و خرج لذلك مع سعد بن القعقاع:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثني عليّ بن حرب الطائيّ قال حدّثني إسماعيل بن زياد الطائيّ قال: كان رجل منا يقال له سعد بن القعقاع يتندّم[3]بشّارا في المجانة، فقال لبشّار و هو ينادمه: ويحك يا أبا معاذ!قد نسبنا الناس إلى الزّندقة، فهل لك أن تحجّ بنا حجّة تنفي ذلك عنا؟قال: نعم ما رأيت!فاشتريا بعيرا و محملا و ركبا، فلما مرّا بزرارة[4]قال له: ويحك يا أبا معاذ!ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها!مل بنا إلى زرارة نتنعّم فيها، فإذا قفل الحاجّ عارضناهم بالقادسيّة[5]و جززنا رءوسنا فلم يشكّ الناس أنّا جئنا من الحجّ؛ فقال له بشّار: نعم ما رأيت لو لا خبث لسانك، و إني أخاف أن تفضحنا. قال: لا تخف. فمالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر و يفسقان، فلما نزل الحاجّ بالقادسية راجعين، أخذا بعيرا و محملا و جزّا رءوسهما و أقبلا و تلقّاهما الناس يهنّئونهما؛ فقال سعد بن القعقاع: /

أ لم ترني و بشّارا حججنا # و كان الحجّ من خير التّجارة

خرجنا طالبي سفر بعيد # فمال بنا الطريق إلى زرارة

فآب الناس قد حجّوا و برّوا # و أبنا موقرين من الخساره

[1]الغلام الجادل: اليافع الذي قوي و اشتدّ.

[2]الرشاش (بكسر الراء) : جمع رش (بالفتح) و هو المطر الخفيف.

[3]كذا في أكثر الأصول، و في ب، س: «ينتدم» بتقديم النون على التاء، و لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة من هاتين الصيغتين مستعملة في المعنى الذي يدل عليه سياق الكلام و هو كثرة المنادمة؛ و لعلها «يتقدّم بشارا في المجانة» أي أنه كان أكثر منه مجونا.

[4]زرارة (بضم أوّله) : محلة بالكوفة.

[5]القادسية: بلدة بينها و بين الكوفة خمسة عشر ميلا، و بينها و بين العذيب أربعة أميال، كانت بها وقعة سعد بن أبي وقاص المشهورة مع الفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.

أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم الدّينوريّ قال حدّثني محمد بن عمران بن مطر الشاميّ قال حدّثني محمد بن الحسّان[1]الضّبّيّ قال حدّثني محمود الورّاق قال حدّثني داود بن رزين قال: أتينا بشّارا فأذن لنا و المائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوأته فبال؛ ثم حضرت الظهر و العصر فلم يصلّ، فدنونا منه فقلنا: أنت أستاذنا و قد رأينا منك أشياء أنكرناها؛ قال: و ما هي؟قلنا: دخلنا و الطعام بين يديك فلم تدعنا إليه؛ فقال: إنما أذنت لكم أن تأكلوا و لو لم أرد أن تأكلوا لما أذنت /لكم[2]؛ قال: ثم ما ذا؟قلنا: و دعوت بطست و نحن حضور فبلت و نحن نراك؛ فقال: أنا مكفوف و أنتم بصراء و أنتم المأمورون بغضّ الأبصار، ثم قال: و مه[3]؛ قلنا: حضرت الظهر و العصر و المغرب فلم تصلّ؛ فقال: إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة.

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن بعض أصحاب بشّار قال: كنا إذا حضرت الصلاة نقوم و يقعد بشّار فنجعل حول ثيابه ترابا لننظر هل يصلّي، فنعود و التراب بحاله.

بشار و الثقلاء:

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الحرمازيّ قال: قعد إلى بشّار رجل فاستثقله فضرط عليه ضرطة، فظنّ الرجل أنّها أفلتت منه، ثم ضرط أخرى، فقال: أفلتت، ثم ضرط ثالثة[4]، فقال: يا أبا معاذ، ما هذا؟قال: مه!أ رأيت أم سمعت؟قال: بل سمعت صوتا قبيحا، فقال: فلا تصدّق حتى ترى.

قال: و أنشد أبو أيّوب لبشّار في رجل استثقله:

ربّما يثقل الجليس و إن كا # ن خفيفا في كفّة الميزان

كيف لا تحمل الأمانة أرض # حملت فوقها أبا سفيان

و قال فيه أيضا:

هل لك في مالي و عرضي معا # و كلّ ما يملك جيرانيه

و اذهب إلى أبعد ما ينتوى[5] # لا ردّك اللّه و لا ماليه

أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجيليّ[6]قال حدّثني محمد بن عمران [1]في «تهذيب التهذيب» : «حسان» بدون الألف و اللام.

[2]يريد «لما أذنت لكم بالدخول» .

[3]و مه: أصله «و ما» فأبدلت الألف هاء للوقف و السكت.

[4]بالأصول: «ثالثا» .

[5]ينتوى: يقصد.

[6]في حـ: «الجبلي» بالباء.

الضّبّيّ قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشّار الأعمى: أيّها الساقيان صبّا شرابي # و اسقياني من ريق بيضاء رود[1]

إن دائي الظّما و إن دوائي # شربة من رضاب ثغر برود

و لها مضحك كغرّ الأقاحي # و حديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السّواد من حبّة القلـ # ب و نالت زيادة المستزيد

ثم قالت نلقاك بعد ليال # و الليالي يبلين كلّ جديد

عندها الصبر عن لقائي و عندي # زفرات يأكلن قلب الحديد

/قال: فطرب الوليد و قال: من لي بمزاج كاسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي و تطفأ غلّتي!ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه، و قال: إن فاتنا ذاك فهذا.

هجا جاره أبا زيد فهجاه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الطّفاويّ قال حدّثني عبد اللّه بن أبي بكر-و كان جليسا لبشّار-قال: كان لنا جار يكنى أبا زيد و كان صديقا لبشّار، فبعث إليه يوما يطلب منه ثيابا بنسيئة[2]فلم يصادفها عنده، فقال يهجوه: ألا إنّ أبا زيد # زنى في ليلة القدر

و لم يرع، تعالى اللّ # ه ربّي، حرمة الشّهر

و كتبها في رقعة و بعث بها إليه، و لم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر، فقلبها و كتب في ظهرها: ألا إن أبا زيد # له في ذلكم عذر

/أتته أمّ بشّار # و قد ضاق بها الأمر

فواثبها فجامعها # و ما ساعده الصّبر

قال: فلما قرئت على بشّار غضب و ندم على تعرّضه لرجل لا نباهة له، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظا، ثم قال: لا تعرّضت لهجاء سفلة[3]مثل هذا أبدا.

شعره في قينة:

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني بعض ولد أبي عبيد اللّه وزير المهديّ، قال: دخل بشّار على المهديّ و قد عرضت عليه[4]جارية مغنّية فسمع غناءها فأطربه و قال لبشّار: قل في صفتها شعرا؛ فقال:

[1]الرود: الشابة الحسنة الشباب و الأصل فيها الهمز و قد سهلت للضرورة.

[2]النسيئة: التأخير، يقال: باعه بنسيئة: إذا أخر له عن الشيء المبيع.
[3]سفلة النّاس و سفلتهم: أسافلهم و غوغاؤهم.
[4]في حـ: «عرضت له» .

/و رائحة[1]

للعين فيها محيلة[2] # إذا برقت لم تسق بطن صعيد

من المستهلاّت السّرور على الفتى # خفا[3]برقها في عبقر[4]و عقود

كأن لسانا ساحرا في كلامها # أعين بصوت للقلوب صيود

تميت به ألبابنا و قلوبنا # مرارا و تحييهنّ بعد هموود

شعره في عقبة بن سلّم:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال أبو عدنان حدّثني يحيى بن الجون قال: دخل بشّار يوما على عقبة بن سلّم فأنشده قوله فيه:

صوت

إنّما لذّة الجواد ابن سلّم # في عطاء و مركب للّقاء

ليس يعطيك للرجاء و لا الخو # ف و لكن يلذّ طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الحـ # بّ و تغشى منازل الكرماء

لا أبالي صفح اللئيم و لا تجـ # ري دموعي على الحرون الصّفاء

فعلى عقبة السلام مقيما # و إذا سار تحت ظلّ اللواء

فوصله[5]بعشرة آلاف درهم. و في هذه الأبيات خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر لرذاذ، و هو من مختار صنعته و صدورها و مما تشبّه فيه بالقدماء و مذاهبهم.

كان خلف الأحمر و خلف بن أبي عمرو يرويان عنه شعره:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلاّد عن الأصمعيّ، و أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خلاّد عن الأصمعيّ قال: /كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء و خلفا الأحمر يأتيان بشّارا و يسلّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أحدثت؟فيخبرهما و ينشدهما و يسألانه و يكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه، فأتياه يوما فقالا له: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلّم[6]بن قتيبة؟قال: هي التي بلغتكما؛ [1]الرائحة: واحدة الروائح و هي السحب التي تجيء رواحا، و يقابلها «الغادية» .

[2]المخيلة (بفتح الميم) : الظنّ.

[3]خفا البرق يخفو خفوا و خفوا: لمع و ظهر.

[4]يريد ثيابها، و تنسب إلى قرية باليمن تسمى عبقر توشّى بها الثياب و البسط، و ثيابها أجود الثياب.

[5]في الأصول: «و وصله» .

[6]في ب، س، حـ: «مسلم» و هو تحريف.

قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أنّ سلما يتباصر[1]بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه؛ قالا: فأنشدناها، فأنشدهما: بكّرا صاحبيّ قبل الهجير # إنّ ذاك النجاح في التّبكير

حتى فرغ منها؛ فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان «إن ذاك النجاح» : بكّرا فالنجاح في/التبكير

كان أحسن؛ فقال بشّار: بنيتها أعرابيّة و حشيّة، فقلت: «إنّ ذاك النجاح» كما يقول الأعراب البدويّون، و لو قلت: «بكّرا فالنجاح» كان هذا من كلام المولّدين و لا يشبه ذلك الكلام و لا يدخل في معنى القصيدة؛ فقام خلف فقبّل بين عينيه؛ و قال له خلف بن أبي عمرو يمازحه: لو كان علاثة[2]ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخي، و لكنّك مولى، فمدّ بشار يده فضرب بها فخذ خلف و قال: أرفق بعمرو إذا حرّكت نسبته # فإنه عربيّ من قواربر

فقال له: أ فعلتها يا أبا معاذ!قال: و كان أبو عمرو يغمز في نسبه.

و أخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن أبي عبيدة، فذكر نحوه و قال فيه: إنّ سلما يعجبه الغريب.

قيل له إن فلانا سبك عند الأمير فهجاه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال قال لي خلف: كنت أسمع ببشّار قبل أن أراه، فذكروه لي يوما و ذكروا بيانه و سرعة جوابه و جودة شعره، فاستنشدتهم شيئا من شعره، فأنشدوني شيئا لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: و اللّه لآتينّه و لأطأطئنّ منه، فأتيته و هو جالس على بابه، فرأيته[3]أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة، فقلت: لعن اللّه من يبالي بهذا، فوقفت أتأمّله طويلا، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال: إنّ فلانا سبّك عند الأمير محمد بن سليمان و وضع منك؛ فقال: أو قد فعل؟قال: نعم؛ فأطرق، و جلس الرجل عنده و جلست، و جاء قوم فسلّموا عليه فلم يردد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه و قد درّت[4]أوداجه، فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشدنا بأعلى صوته و أفخمه: نبّئت نائك أمّه يغتابني # عند الأمير و هل عليّ أمير

ناري محرّقة و بيتي واسع # للمعتفين و مجلسي معمور

و لي المهابة في الأحبّة و العدا # و كأنني أسد له تامور[5]

[1]يتباصر بالغريب: يظهر أنه بصير به.

[2]يريد أنه لو كان عربيا لقبله كما يدل على ذلك السياق. و يظهر أنه لا يريد بعلاثة اسما بعينه. و لكنه أتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب.

[3]في أ، م، ء: «فرأيت» .

[4]درت: امتلأت دما؛ و الأوداج: جمع ودج و هو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

[5]التامور: عرين الأسد.

غرثت[1]حليلته و أخطأ صيده # فله على لقم[2]الطريق زئير

قال: فارتعدت و اللّه فرائصي و اقشعرّ جلدي و عظم في عيني جدّا، حتى قلت في نفسي: الحمد للّه الذي أبعدني من شرّك.

شعر له في مدح خالد بن برمك:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا العباس بن خالد قال: مدح بشّار خالد بن برمك فقال فيه:

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك # و ما كلّ من كان الغنى عنده يجدي

حلبت بشعري راحتيه فدرّتا # سماحا كما درّ السّحاب مع الرّعد

إذا جئته للحمد أشرق وجهه # إليك و أعطاك الكرامة بالحمد

له نعم في القوم لا يستثيبها # جزاء وكيل التاجر المدّ بالمدّ

مفيد و متلاف، سبيل تراثه[3] # إذا ما غدا أو راح كالجزر و المدّ

أ خالد إنّ الحمد يبقى لأهله # جمالا و لا تبقى الكنوز على الكدّ

فأطعم و كل من عارة مستردّة # و لا تبقها، إن العواري للرّدّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم، و كان قبل ذلك يعطيه في كلّ وفادة خمسة آلاف درهم، /و أمر خالد أن يكتب هذان البيتان[4]في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. و قال ابنه يحيى بن خالد: آخر ما أوصاني به أبي العمل بهذين البيتين.

عمر بن العلاء و مدائح الشعراء فيه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن عثمان قال: كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عمّال الخراج، و كان عفيفا بخيلا، فسأل عمر[5]بن العلاء، و كان جوادا شجاعا، في رجل فوهب له مائة ألف درهم؛ فدخل/أبو الوزير على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عمر بن العلاء خائن؛ قال: و من أين علمت ذلك؟قال: كلّم في رجل كان أقصى أمله ألف درهم فوهب له مائة ألف درهم؛ فضحك المهديّ ثم قال: **(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىَ شَاكِلَتِهِ)** [6]، أ ما سمعت قول بشّار في عمر: [1]غرثت: جاعت، و رواية «اللسان» في مادة لقم: «غابت حليلته» .

[2]لقم الطريق: متنه و وسطه.

[3]كذا في الأصول. و التراث (بضم التاء) : ما يخلفه الرجل لورثته و هو بهذا المعنى لا يتمشى مع كلمات البيت و لا المعنى الذي يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف، فماله دائما لذلك يعتور، النقص و الزيادة و الظاهر أن كلمة «تراثه» محرّفة عن «ثرائه» .

[4]يريد البيتين الأخيرين.

[5]كذا في أكثر الأصول و «تاريخ الطبري» (قسم 3 ج 1 ص 136) و «معجم ياقوت» في كلامه على طبرستان. و في ب، س: «عمرو» و هو تحريف.

[6]سورة الإسراء آية: 84.

إذا دهمتك عظام الأمور # فنبّه لها عمرا ثم نم

فتى لا ينام على دمنة[1] # و لا يشرب الماء إلا بدم

أ و ما سمعت قول أبي العتاهيّة فيه:

صوت

إنّ المطايا تشتكيك لأنها # قطعت إليك سباسبا و رمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفّة # و إذا رجعن بنا رجعن ثقالا

-الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة-أ و ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية: يا ابن العلاء و يا ابن القرم مرداس # إني لأطريك في صحبي و جلاّسي

حتى إذا قيل ما أعطاك من نشب # ألفيت من عظم ما أسديت كالناسي

ثم قال: من اجتمعت ألسن الناس على مدحه كان حقيقا أن يصدّقها بفعله.

شعره في جارية له سوداء كان يفترشها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو بكر الرّبعيّ قال: كانت لبشّار جارية سوداء و كان يقع عليها، و فيها يقول:

و غادة سوداء برّاقة # كالماء في طيب و في لين

كأنها صيغت لمن نالها # من عنبر بالمسك معجون

ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلّم فأجاب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أبو الشّبل البرجميّ قال: قال رجل لبشّار: إنّ مدائحك عقبة بن سلّم فوق مدائحك كلّ أحد؛ فقال بشّار: إنّ عطاياه إيّاي كانت فوق عطاء كلّ أحد، دخلت إليه يوما فأنشدته: حرّم اللّه أن ترى كابن سلّم # عقبة الخير مطعم الفقراء

ليس يعطيك للرّجاء و لا الخو # ف و لكن يلذّ طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الحـ # بّ و تغشى منازل الكرماء

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، و ها أنا قد مدحت المهديّ و أبا عبيد اللّه وزيره-أو قال يعقوب بن داود-و أقمت بأبوابهما حولا فلم يعطياني شيئا، أ فألام على مدحي هذا!.

طلب منه أبو الشمقمق الجزية فرده فهجاه فأعطاه:

و نسخت من كتاب هارون بن عليّ أيضا حدّثني[عليّ قال حدّثني] [2]عبيد اللّه بن أبي الشّيص عن دعبل بن عليّ قال: [1]الدمنة: الحقد، و قيل لا يكون الحقد دمنة حتى يأتي عليه الدهر.

[2]هذه الزيادة ساقطة من ب، س.

كان بشّار/يعطي أبا الشّمقمق في كلّ سنة مائتي درهم، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هلمّ الجزية يا أبا معاذ؛ فقال: ويحك!أ جزية هي!قال: هو ما تسمع؛ فقال له بشّار يمازحه: أنت أفصح منّي؟قال: لا؛ قال: فأعلم منّي بمثالب الناس؟قال: لا؛ قال: فأشعر منّي؟ قال: لا؛ قال: فلم أعطيك؟قال: لئلاّ أهجوك؛ فقال له: إنّ هجوتني هجوتك؛ فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟قال: نعم، فقل ما بدا لك؛ فقال أبو الشمقمق: إني إذا ما شاعر هجانيه # و لجّ في القول له لسانيه

أدخلته في است أمّه علانيه # بشّار يا بشّار.....

/و أراد أن يقول: «يا ابن الزانية» ؛ فوثب بشّار فأمسك فاه، و قال: أراد و اللّه أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له: لا يسمعنّ هذا منك الصّبيان يا أبا الشمقمق.

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال: أمر عقبة بن سلّم[الهنائيّ][1]لبشّار بعشرة آلاف درهم، فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّارا فقال له: يا أبا معاذ، إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون:

هلّلينه هلّلينه # طعن قتّاة لتينه[2]

إنّ بشّار بن برد # تيس أعمى في سفينه

فأخرج إليه بشّار مائتي درهم فقال: خذ هذه و لا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق.

شعره في هجاء العباس بن محمد بن علي:

أخبرني أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصّعتريّ قال حدّثنا محمد بن عثمان البصريّ قال: استمنح بشّار بن برد العباس بن محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس فلم يمنحه، فقال يهجوه: ظلّ اليسار على العباس ممدود # و قلبه أبدا في البخل معقود

إنّ الكريم ليخفي عنك عسرته # حتى تراه غنيّا و هو مجهود

و للبخيل على أمواله علل # زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرهت أن تعطي القليل و لم # تقدر على سعة لم يظهر الجود

أورق بخير ترجّى للنّوال فما # ترجى الثمار إذا لم يورق العود

بثّ النّوال و لا تمنعك قلّته # فكلّ ما سدّ فقرا فهو محمود

‴

اجتمع بعباد بن عباد و سلّم عليه:

أخبرني أحمد قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني أبي عن عبّاد بن عبّاد قال: [1]زيادة في أ، م، ء نسبة إلى هناءة بن مالك، و بنو هناءة هم رهط عقبة بن سلّم.

[2]في حـ: «طعن قثاة بتينه» .

مررت ببشّار فقلت: السّلام عليك يا أبا معاذ؛ فقال: و عليك السلام، أ عبّاد؟فقلت: نعم؛ قال: إني لحسن الرأي فيك؛ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!.

جارى امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين:

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمر الجرجانيّ عن أبي يعقوب الخريميّ[1]الشاعر أنّ بشّارا قال: لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول: كأنّ قلوب الطير رطبا و يابسا # لدى و كرها العنّاب و الحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت:

/

كأنّ مثار النّقع فوق رءوسنا # و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه

قال يحيى: و قد أخذ هذا المعنى منصور النّمريّ فقال و أحسن:

ليل من النّقع لا شمس و لا قمر # إلا جبينك و المذروبة الشّرع[2]

كان إسحاق الموصليّ يطعن في شعره و لما أنشد منه سكت:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال: كان إسحاق الموصليّ يطعن على شعر بشّار و يضع منه و يذكر أنّ كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضا؛ فقلنا: أ تقول هذا القول لمن يقول:

صوت

إذا كنت في كلّ الأمور معاتبا # صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدا أوصل أخاك فإنه # مقارف[3]ذنب مرّة و مجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى # ظمئت و أيّ الناس تصفو مشاربه

-لأبي العبيس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيل بالبنصر-قال عليّ بن يحيى: و هذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر و لا حشو فيه؛ فقال لي إسحاق: أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنّى أن شبيل بن عزرة[4] الضّبعيّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس، و كان عالما بشعره لأنهما جميعا من بني ضبيعة؛ فقلت له: أ فليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشّار: إن شبيلا أخبره أنها للمتلمّس؛ فقال: كذب و اللّه شبيل، هذا شعري، و لقد مدحت به ابن هبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفا. و قد صدق بشّار، قد[5]مدح في هذه

القصيدة ابن هبيرة، و قال فيها: [1]هكذا أورد شارح «القاموس» هذا الاسم في «المستدرك» في مادة «خرم» و قال: «هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريميّ بالضم من شعراء الدولة العباسية، قيل له ذلك لاتصاله بخريم بن عامر بن الحارث المزي المعروف بالناعم، و قيل: لاتصاله بابنه عثمان بن خريم، و قيل: هو مولاهم» و في جميع الأصول «الخزيمي» بالزاي و هو تحريف.

[2]المذروبة: المحدّدة، و الشرع: المشروعة و المراد بها السيوف.

[3]مقارف ذنب: مخالطه و مرتكبه، من قارف الخطيئة إذا خالطها.

[4]ورد هذا الاسم في «القاموس» مادة شبل «عروة» بالراء و الواو و استدرك عليه شارحه فقال: «شبيل بن عروة هكذا في النسخ و الصواب ابن عزوة بالزاي» و كذلك ورد «عزرة» بالزاي في «تاريخ الطبريّ» (قسم 2 ج 6 ص 1913 طبع أوروبا) .

[5]في ب، س: «وقد» بالواو.

رويد[1]

تصاهل بالعراق جيادنا # كأنك بالضّحاك قد قام نادبه

وسام لمروان و من دونه الشّجا # و هول كلجّ البحر جاشت غواربه

أحلّت به أمّ المنايا بناتها # بأسيافنا، إنّا ردى من نحاربه

و كنّا إذا دبّ العدوّ لسخطنا # و راقبنا في ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكلّ مثقّف # و أبيض تستسقي الدّماء مضاربه

/ثم قلت لإسحاق: أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدة:

فلمّا تولّى الحرّ و اعتصر الثّرى # لظى الصّيف من نجم توقّد لاهبه

و طارت عصافير الشّقائق[2]و اكتسى # من الآل[3]أمثال المجرّة[4]ناضبه

غدت عانة تشكو بأبصارها الصّدى # إلى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

-العانة: القطيع من الحمير، و الجأب: ذكرها. و معنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبيّن في أحداقها فغارت-قال: و هذا من أحسن ما وصف به الحمار و الأتن، أ فهذا للمتلمّس أيضا!قال: لا؛ فقلت: أ فما هو في غاية الجودة و شبيه بسائر الشعر، فكيف قصد بشّار لسرقة تلك الأبيات خاصّة!و كيف خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء و هو قبله بعصر طويل!و قد روى الرّواة شعره و علم بشّار أنّ ذلك لا يخفى، و لم يعثر على بشّار أنه سرق شعرا قطّ جاهليّا و لا إسلاميا. و أخرى فإنّ شعر المتلمّس يعرف في بعض شعر بشّار؛ فلم يردد/ذلك بشيء.

و قد أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة أنّ بشّارا أنشده: إذا كنت في كلّ الأمور معاتبا # صديقك لم تلق[5]الذي لا تعاتبه

و ذكر الأبيات. قال: و أنشدتها شبيل بن عزرة الضّبعيّ، فقال: هذا للمتلمّس؛ فأخبرت بذلك بشّارا، قال: كذب و اللّه شبيل، لقد مدحت ابن هبيرة بهذه القصيدة و أعطاني عليها أربعين ألفا.

لما صار طاهر إلى العراق في حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرّهم:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم المروزيّ، و كان أبوه من قوّاد طاهر، قال حدّثني أبي قال: لما خلع محمّد المأمون و ندب له عليّ بن عيسى، ندب المأمون للقاء عليّ بن

عيسى طاهر بن الحسين [1]في «اللسان» (مادة رود) : و قال الليث: إذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلا تنوين، و أنشد: رويد نصاهل بالعراق جيادنا

إلخ. و في الأصول: «رويدا» بالتنوين.

[2]الشقائق: جمع شقيقة و هي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر و العشب.

[3]الآل: السراب.

[4]المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر و إنما ينتشر ضوأها فيرى كأنه بقعة بيضاء.

[5]في حـ: «لم تلف» بالفاء.

ذا اليمينين[1]و جلس له لعرضه و عرض أصحابه، فمرّ به ذو اليمينين معترضا و هو ينشد: رويد[2]تصاهل بالعراق جيادنا # كأنك بالضحّاك قد قام نادبه

فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه؛ فقال ذو الرّئاستين[3]: يا أمير المؤمنين هو حجر[4]العراق؛ قال: أجل. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشّار أحد؟فقالوا: لا؛ فتوهّمت أنه قد كان همّ لهم بخير.

غضب على سلّم الخاسر لأنه سرق من معانيه:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح-و كان أحد الأدباء-قال: غضب بشّار على سلّم الخاسر و كان من تلامذته و رواته، فاستشفع عليه بجماعة من إخوانه فجاءوه في أمره؛ فقال لهم: كلّ حاجة لكم مقضيّة/إلا سلما؛ قالوا ما جئناك إلا في سلّم و لا بدّ من أن ترضى عنه لنا؛ فقال: أين هو الخبيث؟قالوا: ها هو هذا؛ فقام إليه سلّم فقبّل رأسه و مثل بين يديه و قال: يا أبا معاذ، خرّيجك و أديبك؛ فقال: يا سلّم، من الذي يقول: من راقب الناس لم يظفر بحاجته # و فاز بالطيّبات الفاتك اللّهج

قال: أنت يا أبا معاذ، جعلني اللّه فداءك!قال: فمن الذي يقول: من راقب الناس مات غمّا # و فاز باللّذّة الجسور[5]

قال: خرّيجك يقول ذلك (يعني نفسه) ؛ قال: أ فتأخذ معانيّ التي قد عنيت بها و تعبت في استنباطها، فتكسوها ألفاظا أخفّ من ألفاظي حتى يروى ما تقول و يذهب شعري!لا أرضى عنك أبدا، قال: فما زال يتضرّع إليه، و يشفع له القوم حتى رضي عنه. و في هذه القصيدة يقول بشّار: لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا # يوما نعيش به منكم و نبتهج

صوت

لا خير في العيش إن كنّا[6]كذا أبدا # لا نلتقي و سبيل الملتقى نهج[7]

[1]ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (ج 1 ص 335) طاهرا هذا و قال في سياق ترجمته: و اختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأيّ معنى كان فقيل: لأنه ضرب شخصا في وقعته مع عليّ بن ماهان فقدّه نصفين و كانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء: كلتا يديك يمين حين تضربه

و ذكر أيضا في ترجمة الفضل بن سهل (ج 1 ص 589) أن الفضل كان أعلم الناس بعلم النجامة، فلما عزم المأمون على إرسال طاهر بن الحسين إلى محاربة أخيه الأمين، نظر الفضل في مسألته فوجد الدليل في وسط السماء و كان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهرا يظفر بالأمين و يلقّب بذي اليمينين، فلقب المأمون طاهرا بذلك، و هو أشهر قوّاده.

[2]انظر الحاشية رقم 4 من ص 197 من هذا الجزء.

[3]هو الفضل بن سهل وزير المأمون، و لقب بذي الرئاستين لأنه تقلد الوزارة و السيف.

[4]يريد أنه الركن الذي يعوّل عليه.

[5]هذا البيت و بيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهدا لحسن أخذ الشاعر الثاني من الأوّل، و يسمونه حسن الاتباع، لأن بيت سلّم أجود سبكا و أخصر لفظا (انظر «معاهد التنصيص» صفحة 506 طبع بولاق) .

[6]كذا في الأصول. و في «معاهد التنصيص» : «إن دمنا» .

[7]النهج: البين الواضح. ـ

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم # ما في التّلاقي و لا في قبلة حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته # و فاز بالطّيّبات الفاتك اللّهج

أشكو إلى اللّه هما ما يفارقني # و شرّعا[1]في فؤادي الدّهر تعتلج

أنشد الأصمعيّ شعره في هجو باهلة فغاظه فخره بنسبه:

/أخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلّاد قال: أنشدت الأصمعيّ قول بشّار يهجو باهلة: /

و دعاني معشر كلّهم # حمق دام لهم ذاك الحمق

ليس من جرم و لكن غاظهم # شرفي العارض قد سدّ الأفق

فاغتاظ الأصمعيّ فقال: ويلي على هذا العبد القنّ ابن[2]القنّ!.

حديثه مع امرأة في الشيب:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهدي. قال حدّثني عباس بن خالد قال سمعت غير واحد من أهل البصرة يحدّث: أنّ امرأة قالت لبشّار: أيّ رجل أنت لو كنت أسود اللحية و الرأس!قال بشّار: أ ما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان؛ فقالت له: أمّا قولك فحسن في السّمع، و من لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السّمع!فكان بشّار يقول: ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة.

أحب الأشياء إليه:

و نسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازنيّ: سئل بشار: أيّ متاع الدنيا آثر عندك؟فقال: طعام مزّ[3]، و شراب مرّ، و بنت عشرين بكر.

دخل إليه نسوة و طلب من إحداهنّ أن تواصله فأبت فقال شعرا:

أخبرني عمي قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد، و أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن صالح بن عطيّة قال: كان النساء المتظرّفات يدخلن إلى بشّار في كلّ جمعة يومين، فيجتمعن عنده و يسمعن من شعره، فسمع كلام امرأة منهنّ فعلقها قلبه و راسلها يسألها أن تواصله؛ /فقالت لرسوله: و أيّ معنى فيك لي أو لك فيّ!و أنت أعمى لا تراني فتعرف حسني و مقداره، و أنت قبيح الوجه فلا حظّ لي فيك!فليت شعري لأيّ شيء تطلب وصال مثلى! و جعلت تهزأ به في المخاطبة؛ فأدّى الرّسول الرّسالة، فقال له: عد

إليها فقل لها: [1]الشرع: الرماح و المراد بها هنا الخواطر و ما إليها مجازا، و تعتلج: تتضارب و نتمارس.

[2]القن: عبد ملك هو و أبوه.

[3]المز: ما كان طعمه بين الحموضة و الحلاوة.

أ يرى له فضل على آيارهم # و إذا أشظّ[1]سجدن غير أوابي

تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما # فعل المؤذّن شكّ يوم سحاب

و كأنّ هامة رأسه بطّيخة # حملت إلى ملك بدجلة جابي[2]

اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال: قال مروان لبشّار لما أنشده هذا البيت:

و إذا قلت لها جودي لنا # خرجت بالصّمت من لا و نعم

جعلني اللّه فداءك يا أبا معاذ!هلا قلت: «خرست بالصّمت» ؛ قال: إذا أنا في عقلك فضّ اللّه فاك!أ أتطيّر على من أحبّ بالخرس!.

مدح خالدا البرمكي فأجازه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني بعض أصحابنا قال: وفد بشّار إلى خالد بن برمك و هو على فارس فأنشده: أ خالد لم أخبط[3]إليك بذمّة # سوى أنّني عاف و أنت جواد

أ خالد بين الأجر و الحمد حاجتي # فأيّهما تأتي فأنت عماد

فإن تعطني أفرغ عليك مدائحي # و إن تأب لم يضرب عليّ سداد[4]

/ركابي على حرف و قلبي مشيّع[5] # و مالي بأرض الباخلين بلاد

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها # خرجت مع البازي عليّ سواد

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحدا عن يمينه و واحدا عن شماله و آخر بين يديه و آخر خلفه، و قال: يا أبا معاذ، هل استقلّ العماد؟فلمس الأكياس ثم قال: استقلّ و اللّه أيّها الأمير.

مدح الهيثم بن معاوية و أخذ جائزته:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال محمد بن الحجّاج حدّثني بشّار قال: دخلت على الهيثم بن معاوية و هو أمير البصرة، فأنشدته:

إنّ السّلام أيّها الأمير # عليك و الرّحمة و السّرور

فسمعته يقول: إنّ هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذ من دراهمنا شيئا؛ فطمعت فيه فما برحت حتّى انصرفت بجائزته.

[1]أشظ: أنعظ، و أوابي: ممتنعات واحدتها «آبية» .

[2]جاب: وصف من جبي الخراج يجبيه و يجباه أي جمعه.

[3]أي لم أسر إليك لطلب معروفك متوسلا بعهد؛ و رواية «الخزانة» للبغدادي ج 1 ص 540 طبع بولاق. «لم أهبط» .

[4]السداد بالكسر: ما نسدّ به الثلمة و نحوها.

[5]الحرف: الناقة القوية، و المشيّع: الشجاع.

طلب رجلا من بني زيد للمفاخرة و هجاه فانقطع عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال: وقف رجل من بني زيد شريف، لا أحبّ أن أسمّيه، على بشّار، فقال له: يا بشّار قد أفسدت علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منّا و ترغّبهم في الرّجوع إلى أصولهم و ترك الولاء، و أنت غير زاكي الفرع و لا معروف الأصل؛ فقال له بشار: و اللّه لأصلي أكرم من الذّهب، و لفرعي أزكى من عمل الأبرار، و ما في الأرض كلب يودّ أنّ نسبك له بنسبه، و لو شئت أن أجعل جواب كلامك كلاما[1]لفعلت، و لكنّ موعدك/غدا بالمربد؛ فرجع الرجل إلى منزله و هو يتوهّم أنّ بشّارا يحضر معه المربد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المربد فإذا رجل ينشد: شهدت على الزّيديّ أنّ نساءه # ضباع[2]إلى أير العقيليّ تزفر

فسأل عمّن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشّار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره و لم يدخل المربد حتّى مات.

قال ابن سلاّم: و أنشد رجل يوما يونس في هذه القصيدة و هي:

بلوت بني زيد فما في كبارهم # حلوم و لا في الأصغرين مطهّر

فأبلغ بني زيد و قل لسراتهم # و إن لم يكن فيهم سراة توقّر

لأمّكم الويلات إنّ قصائدي # صواعق منها منجد و مغوّر

أجدّهم[3]لا يتّقون دنيّة # و لا يؤثرون الخير و الخير يؤثر

يلقّون[4]أولاد الزّنا في عدادهم # فعدّتهم من عدّة الناس أكثر

إذا ما رأوا من دأبه مثل دأبهم # أطافوا به، و الغيّ للغيّ أصور[5]

و لو فارقوا من فيهم من دعارة[6] # لما عرفتهم أمّهم حين تنظر

لقد فخروا بالملحقين[7]عشيّة # فقلت افخروا إن كان في اللؤم مفخر

/يريدون مسعاتي[8]و دون لقائها # قناديل أبواب السّماوات تزهر[9]

[1]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «أن أجعل جواب كلانا شعرا لفعلت» . و لعله «جواب كلامك شعرا» .

[2]ضباع: جمع ضبعة و أصله الناقة تشتهي الفحل، يقال: ضبعت الناقة تضبع ضبعا و ضبعة أي اشتهت الفحل، و قد يستعمل في النساء كما وقع في هذا البيت (انظر «اللسان» و «القاموس» مادة ضبع) .

[3]يقال: أجدّك بكسر الجيم و أجدّك بفتحها و نصبهما على المصدر، قال الليث: من قال: أجدّك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجدّه و حقيقته و إذا فتح الجيم استحلفه بجدّه و هو بخته.

[4]يلفون: يجمعون.

[5]أصور: أميل، يقال: صور يصور صورا أي مال.

[6]أي لو فارقوا من انضم إليهم من طريق الدعارة.

[7]يريد بالملحقين: الذين استلحقوهم و ألصقوهم بهم من أولاد الزنا.

[8]المسعاة: المكرمة و المعلاة في أنواع المجد و الجود. و في «اللسان» : «و العرب تسمى مآثر أهل الشرف و الفضل «مساعي» واحدتها مسعاة لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم و أعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم» .

[9]تزهر: تتلألأ.

فقل في بني زيد كما قال معرب # قوارير حجّام غدا تتكسّر

فقال يونس للذي أنشده: حسبك حسبك!من هيّج هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلان؛ فقال: /ربّ سفيه قوم قد كسب لقومه شرّا عظيما.

ضمن مثلا في شعره عند عقبة بن سلّم و استحق جائزته:

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عبد اللّه بن بشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال: قال بشار: دعاني عقبة بن سلّم و دعا بحمّاد عجرد و أعشى باهلة، فلما اجتمعنا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحة مثل يتمثّله الناس: «ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين» فأخرجوه من الشعر، و من أخرجه فله خمسة آلاف درهم، و إن لم تفعلوا جلدتكم كلّكم خمسمائة؛ فقال حمّاد: أجّلنا أعزّ اللّه الأمير شهرا؛ و قال الأعشى: أجّلنا أسبوعين؛ قال: و بشّار ساكت لا يتكلّم؛ فقال له عقبة: مالك[يا[1]أعمى]لا تتكلّم! أعمى اللّه قلبك!فقال: أصلح اللّه الأمير، قد حضرني شيء فإن أمرت قلته؛ فقال قل؛ فقال: شطّ بسلمى عاجل البين # و جاورت أسد بني القين

و رنّت النفس لها رنّة # كادت لها تنشقّ نصفين

يا ابنة من لا أشتهي ذكره # أخشى عليه علق الشّين

و اللّه لو ألقاك لا أتّقي # عينا لقبّلتك ألفين

/طالبتها ديني فراغت به # و علّقت قلبي مع الدّين

فصرت كالعير غدا طالبا # قرنا فلم يرجع بأذنين

قال: فانصرف بشّار بالجائزة.

قصته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد اللّه بن عطية الكوفيّ قال حدّثني عثمان بن عمرو الثقفيّ قال قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ: نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس[2]عيلان و كان فيهم بيان و فصاحة، فكان بشّار يأتيهم و ينشدهم أشعاره التي يمدح بها قيسا فيجلّونه لذلك و يعظّمونه، و كان نساؤهم يجلسن معه و يتحدّثن إليه و ينشدهنّ أشعاره في الغزل و كنّ يعجبن به، و كنت كثيرا ما آتي ذلك الموضع فأسمع منه و منهم، فأتيتهم يوما فإذا هم قد ارتحلوا، فجئت إلى بشّار فقلت له: يا أبا معاذ، أعلمت أنّ القوم قد ارتحلوا؟ قال: لا؛ فقلت: فاعلم؛ قال: قد علمت لا علمت! و مضيت، فلمّا كان بعد

ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون: دعا بفراق من تهوى أبان # ففاض الدّمع و احترق الجنان

[1]زيادة في حـ.

[2]في حـ: «قيس بن عيلان» و كلتا الروايتين صحيحة (انظر «اللسان» و «القاموس» و شرحه في مادّة عيل) .

كأن شرارة وقعت بقلبي # لها في مقلتي و دمي استنان[1]

إذا أنشدت أو نسمت عليها # رياح الصّيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشّار، فأتيته فقلت: يا أبا معاذ، ما ذنبي إليك؟قال: ذنب غراب البين؛ فقلت: هل ذكرتني بغير هذا؟قال: لا؛ فقلت: أنشدك اللّه ألاّ تزيد؛ فقال: امض لشأنك فقد تركتك.

بشار و جعفر بن سليمان:

و نسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني يحيى بن سعيد الأيوزرذي[2]المعتزليّ قال حدّثني أحمد بن المعدّل عن أبيه قال: أنشد بشّار جعفر بن سليمان:

أقلّي فإنّا لاحقون و إنّما # يؤخّرنا أنّا يعدّ لنا عدّا

و ما كنت إلا كالأغرّ ابن جعفر # رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

/فقال له جعفر بن سليمان: من ابن جعفر؟قال: الطيّار[3]في الجنة؛ فقال: لقد سامیت غير مسامى!فقال: و اللّه ما يقعدني عن شأوه بعد النسب، لكن قلّة النشب[4]، و إني لأجود بالقليل و إن لم يكن عندي الكثير، و ما على من جاد بما يملك ألاّ يهب البدور[5]؛ فقال له جعفر: لقد هززت أبا معاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

سئل عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب:

و نسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العلويّ قال: قيل لبشّار: إنك لكثير الهجاء! فقال: إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع[6]الشاعر من المديح الرائع، و من أراد من الشّعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعدّ للفقر و إلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى.

بشار في صباه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان برد أبو بشّار طيّانا حاذقا بالتّطيين، و ولد له بشّار و هو أعمى، فكان يقول: /ما رأيت مولودا أعظم بركة منه، و لقد ولد لي و ما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم. و لم يمت برد حتى قال بشّار الشّعر.

و كان لبشّار أخوان يقال لأحدهما: بشر، و للآخر: بشير، و كانا قصّابين و كان بشّار بارّا بهما، على أنه كان ضيّق [1]الاستنان: الجريان بشدّة.

[2]كذا في ب، س، أ، ء، و في م: «الأيوزردي» و في حـ: «الأريوزذي» .

[3]الطيار لقب جعفر بن أبي طالب، و سبب هذا اللقب أنه أخذ الراية في غزوة «موتة» بعد زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه و مات، فأخبر النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم بأنه يطير مع الملائكة في السماء، و كان ابن عمر إذا سلّم على عبد اللّه بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. (انظر «البخاري بشرح القسطلاني» ج 6 ص 143 طبع بولاق) .

[4]كذا في ء، أ، حـ و في باقي النسخ: «النسب» و هو تصحيف.

[5]البدور: جمع بدرة و هي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

[6]الضبع: العضد.

الصدر متبرّما بالناس، فكان يقول: اللهمّ إني[1]قد تبرّمت بنفسي و بالناس جميعا، اللهم فأرحني منهم. و كان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسّخونها و ينتنون ريحها، فاتخذ قميصا له جيبان و حلف ألاّ يعيرهم ثوبا من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول[2]إذا وجد رائحة كريهة من ثوبه: «أينما أتوجّه ألق سعدا» [3]. فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على نتنها و وسخها، فيقال له: ما هذا يا أبا معاذ؟ فيقول: هذه ثمرة صلة الرّحم. قال: و كان يقول الشّعر و هو صغير، فإذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضربا شديدا، فكانت أمّه تقول: كم تضرب هذا الصبيّ الضرير، أ ما ترحمه!فيقول: بلى و اللّه إني لأرحمه و لكنه يتعرّض للناس فيشكونه إليّ؛ فسمعه بشّار فطمع فيه فقال له: يا أبت إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليك هو قول الشعر، و إني إن ألممت عليه أغنيتك و سائر أهلي، فإن شكوني إليك فقل لهم: أ ليس اللّه يقول: **(لَيْسَ عَلَى اَلْأَعْمىَ حَرَجٌ)** * [4]. فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشّار؛ فانصرفوا و هم يقولون: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشّار.

أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن عثمان الكريزيّ قال حدّثني بعض الشعراء قال: /أتيت بشّارا الأعمى و بين يديه مائتا دينار[5]، فقال لي: خذ منها ما شئت، أو تدري ما سببها؟قلت: لا؛ قال: جاءني فتى فقال لي: أنت بشّار؟فقلت: نعم؛ فقال: إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينار و ذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها فكلّمتها فلم تلتفت إليّ، فهممت أن أتركها فذكرت قولك: لا يؤيسنّك من مخبّأة # قول تغلّظه و إن جرحا

عسر النّساء إلى مياسرة # و الصّعب يمكن بعد ما جمحا

/فعدت إليها فلازمتها حتى بلغت منها حاجتي.

عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه همّ بهجوه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأخفش طعن على بشّار في قوله:

فالآن أقصر عن سميّة باطلي # و أشار بالوجلى عليّ مشير

و في قوله:

على الغزلى منّي السّلام فربّما # لهوت بها في ظلّ مرءومة[6]زهر

[1]كذا في حـ و في باقي الأصول: «إني كنت قد تبرمت» .

[2]كذا بالأصول و اقتران جواب الشرط الصالح للشرطيّة بالفاء خلاف الأصل (انظر «شرح الأشموني» ج 3 ص 60 طبع بولاق) .

[3]هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة في كلّ مكان، و أصله أن الأشموني بن قريع كان سيّد قومه فرأى منهم جفوة فرحل عنهم إلى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول.

[4]سورة النور آية: 61.

[5]في ء، أ، م: «مائتا درهم» ، و كذا فيما يأتي.

[6]مرءومة: محبوبة مألوفة.

و في قوله في صفة سفينة:

تلاعب نينان البحور و ربّما # رأيت نفوس القوم من جريها تجري

و قال: لم يسمع من الوجل و الغزل فعلى، و لم أسمع بنون و نينان[1]؛ فبلغ ذلك بشّارا فقال: ويلي على القصّارين[2]!متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين!دعوني و إيّاه؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى و جزع؛ فقيل له: ما يبكيك؟فقال: و ما لي لا أبكي/و قد وقعت في لسان بشّار الأعمى!فذهب أصحابه إلى بشار فكذّبوا عنه و استوهبوا منه عرضه و سألوه ألاّ يهجوه؛ فقال: قد وهبته للؤم عرضه. فكان الأخفش بعد ذلك يحتجّ بشعره في كتبه ليبلغه؛ فكفّ عن ذكره بعد هذا.

قال: و قال غير أبي حاتم: إنما بلغه أنّ سيبويه عاب هذه الأحرف[3]عليه لا الأخفش، فقال يهجوه: أ سبويه يا ابن الفارسيّة ما الذي # تحدّثت عن شتمي و ما كنت تنبذ

أظلت تغنّي سادرا[4]في مساءتي # و أمّك بالمصرين تعطي و تأخذ

قال: فتوقّاه سيبويه بعد ذلك، و كان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه و وجد له شاهدا من شعر بشّار احتجّ به استكفافا لشرّه.

ذمّ بني سدوس باستعانة بني عقيل:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سويد بن منجوف قال: كان بشّار مجاورا لبني عقيل و بني سدوس في منزل الحيّين، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فاستعانت عقيل ببشّار و قالوا: له: يا أبا معاذ، نحن أهلك و أنت ابننا و ربيت في حجورنا فأعنّا؛ فخرج عليهم و هم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد: كأنّ بني سدوس رهط ثور # خنافس تحت منكسر الجدار

تحرّك للفخار زبانييها[5] # و فخر الخنفساء من الصّغار

فوثب بنو سدوس إليه فقالوا: ما لنا و لك يا هذا!نعوذ باللّه من شرّك! فقال: هذا دأبكم إن عاودتم مفاخرة بني عقيل؛ فلم يعاودوها.

/أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال: قال يونس النحويّ: العجب من الأزد يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم و يهجو رجالهم-يعني بشّارا-و يقول: [1]ورد

هذا الجمع في كتب اللغة، فقد جاء في «لسان العرب» و «القاموس» و غيرهما في مادة «نون» : النون: الحوت و الجمع أنوان و نينان.

[2]القصار: من يحوّر الثياب و يدقها.

[3]الأحرف: الكلمات.

[4]السادر: المتحير، و الذي يتكلم غير متثبت في كلامه، و قيل: هو اللاهي الذي لا يهتم لشيء و لا يبالي ما صنع.

[5]كذا في حـ، أ، م: تثنية زباني، و زبانيا العقرب: قرناها. و في ب، س: «زبانتيها» و هو تصحيف.

ألا يا صنم الأزد الـ # ذي يدعونه ربّا

ألا يبعثون إليه من يفتق بطنه!.

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه:

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مهرويه عن أحمد[1]بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال: مرّ ابن أخ لبشّار ببشّار و معه قوم: فقال لرجل معه و سمع/كلامه: من هذا؟فقال: ابن أخيك؛ قال: أشهد أنّ أصحابه سفلة؛ قال: و كيف علمت؟قال: ليس عليهم نعال.

سمع شعره من مغنية فطرب و قال: هذا أحسن من سورة الحشر:

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثني الفضل بن يعقوب قال: كنّا عند جارية لبعض التّجار بالكرخ تغنّينا، و بشّار عندنا، فغنّت في قوله: إنّ الخليفة قد أبى # و إذا أبى شيئا أبيته

و مخضّب رخص البنا # ن بكى عليّ و ما بكيته

يا منظرا حسنا رأيـ # ت[2]بوجه جارية فديته

بعثت إليّ تسومني # ثوب الشّباب و قد طويته

فطرب بشّار و قال: هذا و اللّه يا أبا عبد اللّه أحسن من سورة الحشر!. و قد روى هذه الكلمة عن بشّار غير من ذكرته فقال عنه: إنه قال: هي و اللّه أحسن من سورة الحشر. الغناء في هذه الأبيات. و تمام الشعر: /

و أنا المطلّ على العدا # و إذا غلا الحمد اشتريته

و أميل في أنس النّديـ # م من الحياء و ما اشتهيته

و يشوقني بيت الحبيـ # ب إذا غدوت و أين بيته

حال الخليفة دونه # فصبرت عنه و ما قليته

و أنشدني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات و أخبرني أنّ الجاحظ أخبره أن المهديّ نهى بشّارا عن الغزل و أن يقول شيئا من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: و كان الخليل بن أحمد ينشدها و يستحسنها و يعجب بها.

سألته ابنته لما ذا يعرفه الناس و لا يعرفهم فأجابها:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ أبو غسّان عن محمد بن الحجّاج قال: [1]ورد هذا الاسم هنا «أحمد» و فيما تقدّم بنحو خمسة أسطر

«محمد» باتفاق الأصول في الموضعين مع اتحاد السند و لم نهتد إلى معرفة ما هو الصواب.

[2]سيرد هذا البيت مرة أخرى في ترجمة بشار مصرعا هكذا: يا منظرا حسنا رأيته # من وجه جارية فديته

و التصريع تقفية المصراع الأوّل.

قالت بنت بشّار لبشّار: يا أبت، مالك يعرفك الناس و لا تعرفهم؟قال: كذلك الأمير يا بنيّة.

سب عبد اللّه بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشار:

أخبرني عبد اللّه بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال عبد اللّه بن مسور الباهليّ يوما لأبي النّضير، و قد تحاورا في شيء: يا ابن اللّخناء، أ تكلّمني و لو اشتريت عبدا بمائتي درهم و أعتقته لكان خيرا منك!فقال له أبو النّضير: و اللّه لو كنت ولد زنا لكنت خيرا من باهلة كلّها؛ فغضب الباهليّ؛ فقال له بشّار: أنت منذ ساعة تزنّي[1]أمّا و لا يغضب، فلما كلّمك كلمة واحدة لحقك هذا كلّه! فقال له: و أمّه مثل أمّي يا أبا معاذ!فضحك، ثم قال: و اللّه لو كانت أمّك أمّ الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كلّه!.

طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوّفه فهجاه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بن عبيد الخزاعيّ قال: ورد بشار بغداد فقصد يزيد بن مزيد، و سأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهرا؛ ثم ورد روح[2]بن حاتم فبلغه خبر بشّار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه، و أمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ و أنشده شعرا مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم و وهب له عبدا و قينة و كساه كسا كثيرة؛ و كان يحضر قيسا مرّة، فقال بشّار يهجو يزيد بن مزيد: و لمّا التقينا بالجنينة[3]غرّني # بمعروفه حتى خرجت أفوق[4]

/غرّني: أوجرني[5]كما يغرّ الصبيّ أو يوجر اللبن.

حباني بعبد قعسريّ[6]و قينة # و وشي و آلاف لهنّ بريق

فقل ليزيد يلعص[7]الشهد خاليا # لنا دونه عند الخليفة سوق

رقدت فنم يا بن الخبيثة إنها # مكارم لا يسطيعهنّ لصيق

أبى لك عرق من فلانة أن ترى # جوادا و رأس حين[8]شبت حليق

قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد اللّه فلما قتل جعلها للمنصور:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: كان بشّار كتب إلى إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بقصيدة يمدحه بها و يحرّضه و يشير عليه، فلم تصل إليه حتى قتل، و خاف بشّار أن تشتهر فقلبها [1]زناه تزنية: نسبه إلى الزنا.

[2]كل من سمي بروح فهو بفتح الراء إلا روح بن القاسم فإنه بالضم (انظر «شرح القاموس» في مادة روح في «المستدرك») .

[3]كذا في ء، م و هو اسم موضع كما في ياقوت. و في ب، س: «الخبيبة» و هو تحريف.

[4]فاق الرجل فئوقا و فواقا: الفواق-و يسمى عند العامة بالزغطة-: ما يأخذ الإنسان من تشنج الحجاب الحاجز تشنجا فجائيا و يصدر من امتلاء المعدة بالطعام؛ و هو هنا كناية عما أثقله به من العطاء.

[5]أوجره اللبن و نحوه: جعله في فيه.

[6]القعسريّ: الصلب الشديد.

[7]يلعص: يلعق.

[8]في الأصول: «حيث» . ـ

و جعل التحريض فيها على أبي مسلم و المدح و المشورة لأبي جعفر المنصور، فقال: أبا مسلم ما طيب عيش بدائم # و لا سالم عما قليل بسالم

/و إنما كان قال: «أبا جعفر ما طيب عيش» فغيّره و قال فيها:

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن # بعزم نصيح أو بتأييد حازم

و لا نجعل الشّورى عليك غضاضة # مكان الخوافي نافع للقوادم

و خلّ الهوينى للضعيف و لا تكن # نئوما فإنّ الحزم ليس بنائم

و ما خير كفّ أمسك الغلّ أختها # و ما خير سيف لم يؤيّد بقائم

و حارب إذا لم تعط إلا ظلامة # شبا الحرب خير من قبول المظالم

و أدن على القربى المقرّب نفسه # و لا تشهد الشّورى امرأ غير كاتم

فإنك لا تستطرد الهمّ بالمنى # و لا تبلغ العليا بغير المكارم

إذا كنت فردا هزّك[1]القوم مقبلا # و إن كنت أدنى لم تفز بالعزائم

و ما قرع الأقوام مثل مسيّع[2] # أريب و لا جلّى العمى مثل عالم

قال الأصمعيّ: فقلت لبشّار: إني رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المشورة؛ فقال: أ ما علمت أنّ المشاورين إحدى الحسنيين: بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه؛ فقلت: أنت و اللّه أشعر في هذا الكلام منك في الشعر.

اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول و هو سمين:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال: مررت ببشّار و هو متبطّح[3]في دهليزه كأنه جاموس، فقلت له: يا أبا معاذ، من القائل: /

في حلّتي جسم فتى ناحل # لو هبّت الريح به طاحا

قال: أنا؛ قلت: فما حملك على هذا الكذب؟و اللّه إني لأرى أن لو بعث اللّه الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّكتك من موضعك!فقال بشّار: من أين أنت؟قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم و مقتكم على كل حال!.

عاتب صديقا له لأنه لم يهد له شيئا:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عافية بن شبيب قال:

قدم كرديّ بن عامر المسمعيّ من مكة، فلم يهد لبشّار شيئا و كان صديقه؛ فكتب إليه: [1]يقال: فلان هره الناس إذا كرهوا ناحيته، قال الأعشى:

أرى الناس هروني و شهّر مدخلي # ففي كل ممشى أرصد الناس عقربا

[2]المشيع: الشجاع، كأنه قد شيع قلبه بما يركب من الأهوال، أو بقوّة قلبه.

[3]متبطح: ممتدّ على وجه الأرض بوجهه.

ما أنت يا كرديّ بالهشّ # و لا أبرّيك من الغشّ

لم تهدنا[1]نعلا و لا خاتما # من أين أقبلت؟من الحشّ![2]

فأهدى إليه هديّة حسنة و جاءه فقال: عجلت يا أبا معاذ علينا، فأنشدك اللّه ألاّ تزيد شيئا على ما مضى.

أخبر أنه غنى بشعر له فطرب:

و نسخت من كتابه عن عافية بن شبيب أيضا قال حدّثني صديق لي قال: قلت لبشّار: كنّا أمس في عرس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي: هوى صاحبي ريح الشّمال إذا جرت # و أشفى لنفسي أن تهبّ جنوب

و ما ذاك إلا أنها حين تنتهي # تناهى و فيها من عبيدة طيب

فطرب و قال: هذا[3]و اللّه أحسن من فلج[4]يوم القيامة.

مدح المهدي فلم يجزه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال: /مدح بشّار المهديّ فلم يعطه شيئا؛ فقيل له: لم يستجد شعرك؛ فقال: و اللّه لقد قلت شعرا لو قيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد، و لكنّا نكذب في القول فنكذب[5]في الأمل.

هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه ثم بزّ في يمينه فضربه بعرض السيف:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العجليّ قال: هجا بشّار روح بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذفه و تهدّده؛ فلما بلغ ذلك بشّارا قال فيه: تهدّدني أبو خلف # و عن أوتاره ناما

بسيف لأبي صفر # ة لا يقطع إبهاما

كأنّ الورس يعلوه # إذا ما صدره قاما

-قال ابن أبي سعد: و من الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي-قال: فبلغ ذلك روحا فقال: كلّ مالي صدقة إن وقعت عيني عليه لأضربنّه ضربة بالسيف و لو أنه بين يدي الخليفة!فبلغ ذلك بشّارا فقام من فوره حتى دخل على المهديّ؛ فقال له: ما جاء بك في هذا الوقت؟فأخبره

بقصّة روح و عاذ به منه، فقال: يا نصير، [1]الوارد في كتب اللغة: أهدى له كذا و أهدي إليه، فما هاهنا قد حذف منه الجار و وصل الفعل بالمفعول.

[2]الحش (بتثليث الحاء) : البستان و موضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين.

[3]كذا في حـ، و في باقي الأصول: «هو و اللّه» .

[4]الفلج (بالضم) : الفوز و الظفر.

[5]في ب، س، حـ: «فيكذب» بالياء بدل النون.

وجّه إلى روح من يحضره الساعة؛ فأرسل إليه في الهاجرة، و كان ينزل المخرّم[1]، فظنّ هو و أهله أنه دعي لولاية.

قال: يا روح، إني بعثت إليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدك يا أمير المؤمنين فقل ما شئت سوى بشّار فإني حلفت في أمره/بيمين غموس[2]؛ قال: قد علمت و إيّاه أردت؛ قال له: فاحتل ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة و الفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعرض السيف، و كان بشار وراء الخيش[3]، فأخرج و أقعد و استلّ روح سيفه فضربه ضربة بعرضه؛ فقال: أوّه باسم اللّه!فضحك المهديّ و قال له: ويلك! هذا و إنما ضربك بعرضه و كيف لو ضربك بحدّه!.

مدح سليمان بن هشام:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال:

مدح بشّار سليمان بن هشام بن عبد الملك و كان مقيما بحرّان و خرج إليه فأنشده قوله فيه: نأتك على طول التجاور زينب # و ما شعرت أن النّوى سوف تشعب[4]

يرى الناس ما تلقى بزينب إذا نأت # عجيبا و ما تخفي بزينب أعجب

/و قائلة لي حين جدّ رحيلنا # و أجفان عينيها تجود و تسكب

أ غاد إلى حرّان في غير شيعة # و ذلك شأو عن هواها مغرّب[5]

فقلت لها كلّفتني طلب الغنى # و ليس وراء ابن الخليفة مذهب

سيكفي فتى من سعيه حدّ سيفه # و كور علافيّ و وجناء ذعلب[6]

/إذا استوغرت دار[7]عليه رمى بها # بنات الصّوى[8]منها ركوب[9]و مصعب

فعدّي إلى يوم ارتحلت وسائلي # بزورك و الرّحّال من جاء يضرب

لعلك أن تستيقني[10]أن زورتي # سليمان من سير الهواجر تعقب

[1]المخرم (بضم الميم و فتح الخاء و كسر الراء المشدّدة) : محلة كانت ببغداد بين الرصافة و نهر المعلى و فيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية و السلجوقية، خربها في سنة 587 هـ الإمام الناصر لدين اللّه أبو العباس أحمد.

[2]كذا في حـ، و في باقي الأصول: «حلفت يمين غموس» و اليمين الغموس: التي لا استثناء فيها.

[3]الخيش: مراوح تعمل من نسج خشن من الكتان كشراع السفينة تعلق في سقف البيت و يعمل لها حبل تجرّ به و هي مبلولة بالماء فإذا أراد الرحل أن ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحرّ، فلعل بشارا كان مختفيا وراء إحداها و هي مدلاّة.

[4]كذا في حـ، و هو الصواب لأن النوى مؤنثة، و في باقي الأصول: «يشعب» بالياء المثناة.

[5]مغرّب (بكسر الراء و فتحها) : بعيد.

[6]الكور: الرحل. و العلافيّ: نسبة إلى علاف (وزان كتاب) ابن طوار لأنه أول من عملها. و وجناء: عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية شبهت بالوجين و هو الصعب من الأرض. و ذعلب (وزان زبرج) : سريعة.

[7]يقال: و غرت الهاجرة تغر و غرا من باب ضرب إذا رمضت و اشتدّ حرّها، فمعنى استوغرت حميت و اتقدت غيظا، و المراد أنها ضاقت به. و لم ترد هذه الصيغة من هذه المادة في كتب اللغة التي بين أيدينا. و جاء في أقرب الموارد: «المستوغر: لقب عمرو بن ربيعة بن كعب، قلت و هذا دليل على وجود (استوغر) و إن لم يذكروه» .

[8]الصوى: جمع صوّة، و هي حجارة مجموعة تجعل علما يهتدي بها في المفازة، و بناتها: صغارها.

[9]الركوب: المذلّل بالركوب، و المصعب: ما لم يركب و لم يمس من الإبل.

[10]الأصول مضطربة في رسم هذه الكلمة، و تكاد تجمع على «تستبعني» مع اختلاف في إعجام بعض الحروف.

أغرّ هشاميّ القناة إذا انتمى # نمته بدور ليس فيهنّ كوكب

و ما قصدت يوما مخيلين[1]خيله # فتصرف إلاّ عن دماء تصبّب

استقل عطاء سليمان فقال شعرا:

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم و كان يبخّل، فلم يرضها و انصرف عنه مغضبا فقال: إن أمس منقبض اليدين عن النّدى # و عن العدوّ مخيّس[2]الشيطان

فلقد أروح عن اللئام مسلّطا # ثلج المقيل[3]منعّم النّدمان

في ظلّ عيش عشيرة محمودة # تندى يدي و يخاف فرط لساني

أزمان جنّيّ الشباب مطاوع # و إذ الأمير عليّ من حرّان

ريم بأحوية[4]العراق إذا بدا # برقت عليه أكلّة[5]المرجان

/فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى # و بوشك رؤيتها من الهملان

فلقرب من تهوى و أنت متيّم # أشفى لدائك من بني مروان

فلما رجع إلى العراق برّه ابن هبيرة و وصله، و كان يعظّم بشّارا و يقدّمه، لمدحه قيسا و افتخاره بهم، فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه.

مدح المهديّ بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: قدم بشار الأعمى على المهديّ بالرّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحا فيه تشبيب حسن، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه، فأنشده مديحا فيه، يقول فيه: كأنما جئته أبشّره # و لم أجيء راغبا و محتلبا

يزيّن المنبر الأشمّ بعط # فيه و أقواله إذا خطبا

تشمّ نعلاه في النّدى كما # يشمّ ماء الرّيحان منتهبا[6]

فأعطاه خمسة آلاف درهم و كساه و حمله على بغل و جعل له وفادة في كلّ سنة و نهاه عن التشبيب البتّة، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده: تجاللت[7]عن فهر و عن جارتي فهر # و ودّعت نعمى بالسّلام و بالبشر

[1]كذا بالأصول و لم نعثر له على معنى مناسب.

[2]مخيس: مذلل.
[3]ثلج المقيل: بارده.
[4]أحوية: جمع حواء، و الحواء (بالكسر) : جماعة البيوت المتدانية.
[5]أكلّة: جمع إكليل، و الإكليل: التاج و شبه عصابة تزيّن بالجواهر.
[6]منتهب: مأخوذ و مباح لمن شاء.
[7]تجاللت: ترفعت.

و قالت سليمى فيك عنّا جلادة[1] # محلّك دان و الزيارة عن عفر[2]

أخي في الهوى ما لي أراك جفوتنا # و قد كنت تقفونا على العسر و اليسر

تثاقلت إلا عن يد أستفيدها # و زورة أملاك أشدّ بها أزري

/و أخرجني من وزر خمسين حجّة # فتى هاشميّ يقشعر من الوزر

دفنت الهوى حيّا فلست بزائر # سليمى و لا صفراء ما قرقر[3]القمري

و مصفرّة بالزعفران جلودها # إذا اجتليت مثل المفرطحة الصّفر[4]

فربّ ثقال الرّدف هبّت تلومني # و لو شهدت قبري لصلّت على قبري

تركت لمهديّ الأنام وصالها # و راعيت عهدا بيننا ليس بالختر[5]

و لو لا أمير المؤمنين محمد # لقبّلت فاها أو لكان بها فطري

لعمري لقد أوقرت نفسي خطيئة # فما أنا بالمزداد وقرا على وقر

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يعطيه قبل ذلك و لم يزده شيئا.

توفي ابن له فجزع عليه و تمثل بقول جرير:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ عن محمد بن سلاّم عن بعض أصحابه قال: حضرنا جنازة ابن لبشّار توفّي، فجزع عليه جزعا شديدا، و جعلنا نعزّيه و نسلّيه فما يغني ذلك شيئا، ثم التفت إلينا و قال: للّه درّ جرير حيث يقول و قد عزّي بسوادة ابنه: قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم # كيف العزاء و قد فارقت أشبالي

ودّعتني حين كفّ الدّهر من بصري # و حين صرت كعظم الرّمّة البالي

أودى سوادة يجلو مقلتي لحم[6] # باز يصرصر فوق المربأ[7]العالي

إلاّ تكن لك بالدّيرين[8]نائحة # فربّ نائحة بالرّمل معوال

[1]الجلادة: الصلابة و الصبر.

[2]العفر: الحين و طول العهد أو الشهر أو البعد أو قلة الزيارة، و بكل من هذه المعاني فسر قولهم فلان ما يأتينا إلا عن عفر (انظر «القاموس» و «شرحه» للمرتضى في مادة عفر) .

[3]قرقر: صوّت و ردّد صوته.

[4]يريد بها الدنانير.

[5]الختر: شبيه بالغدر و الخديعة، و قيل: هو أسوأ الغدر و أقبحه.

[6]لحم: صفة لباز مقدّمة عليه، يقال: «باز لحم» أي يأكل اللحم أو يشتهيه، و كذلك «لاحم» .

[7]المربأ: مكان البازي الذي يقف فيه، و يروي «المرقب» و هو بمعناه.

[8]لم نقف على الموضع الذي يعنيه جرير بالديرين هنا، و لكن شراح قوله: لما تذكرت بالديرين أرقني # صوت الدجاج و ضرب بالنواقيس

يقولون: أراد دير الوليد بالشام، و قد ذكره ياقوت في «معجمه» و قال: لا أدري أين هو.

استنشده صديق له شيئا من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني خلّاد الأرقط قال: لمّا أنشد المهديّ قول بشار:

لا يؤيسنّك من مخبّأة # قول تغلّظه و إن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة # و الصّعب يمكن بعد ما جمحا

فنهاه[1]المهديّ عن قوله مثل هذا، ثم حضر مجلسا لصديق له يقال له عمرو بن سمّان، فقال له: أنشدنا يا أبا معاذ شيئا من غزلك، فأنشأ يقول: و قائل هات شوّقنا فقلت له # أ نائم أنت يا عمرو بن سمّان

أ ما سمعت بما قد شاع في مضر # و في الحليفين من نجر[2]و قحطان

قال الخليفة لا تنسب بجارية # إيّاك إياك أن تشقى بعصيان

صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنيّ قال: قال مروان بن أبي حفصة: قدمت البصرة فأنشدت بشارا قصيدة لي و استنصحته فيها؛ فقال لي: ما أجودها! تقدم بغداد فتعطى عليها عشرة آلاف درهم؛ فجزعت من ذلك و قلت: قتلتني!فقال: هو ما أقول لك؛ و قدمت بغداد فأعطيت عليها عشرة آلاف درهم؛ ثم قدمت عليه قدمة أخرى فأنشدته قصيدتي: طرقتك زائرة فحيّ خيالها

فقال: تعطى عليها مائة ألف درهم؛ فقدمت فأعطيت مائة ألف درهم، فعدت إلى البصرة فأخبرته بحالي في المرّتين، /و قلت له: ما رأيت أعجب من حدسك[3]!فقال: /يا بنيّ، أ ما علمت أنه لم يبق أحد أعلم بالغيب من عمّك!. أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ عن محمد بن عبد اللّه بن أبي عيينة عن مروان أنه قدم على بشّار فأنشده قوله: طرقتك زائرة فحيّ خيالها

فقال له: يعطونك عليها عشرة آلاف درهم، ثم قدم عليه فأنشده قوله: أنّى يكون و ليس ذاك بكائن # لبني البنات وراثة الأعمام

فقال: يعطونك عليها مائة ألف درهم، و ذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

[1]كذا في الأصول، و المعروف أن الفاء لا تقع في جواب «لما» .

[2]كذا في ب، س. و في حـ: «بحر» و في باقي الأصول «نحر» و لم نعثر على هذه الكلمات في أسماء القبائل و إنما قال الجوهري: نجر: علم أرضي مكة و المدينة و قد ورد في كتاب «مهذب الأغاني» ج 4 ص 273 «من بكر و قحطان» .

[3]الحدس: الظن و التخمين، و في الأصول: «من حديثك» فلعلّها محرّفة عنها.

امتحن في صلاته فوجد لا يصلي:

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال:

قال بعض أصحاب بشّار: كنا نكون عنده فإذا حضرت الصلاة قمنا إليها و نجعل على ثيابه ترابا حتى ننظر هل يقوم يصلّي، فنعود و التراب بحاله و ما صلّى.

جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهديّ:

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال:

قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشّار فقال له: قل في الحبّ شعرا و لا تطل و اجعل الحبّ قاضيا بين المحبّين و لا تسمّ أحدا؛ فقال: اجعل الحبّ بين حبّي و بيني # قاضيا إنّني به اليوم راضي

فاجتمعنا فقلت يا حبّ نفسي # إنّ عيني قليلة الإغماض

أنت عذّبتني و أنحلت جسمي # فارحم اليوم دائم الأمراض

قال لي لا يحلّ حكمي عليها # أنت أولى بالسّقم و الإحراض[1]

قلت لمّا أجابني بهواها # شمل الجور في الهوى كلّ قاضي

فبعث إليه المهديّ: حكمت علينا و وافقنا ذلك، فأمر له بألف دينار.

نسب إليه بعضهم أنه أخذ معنى في شعره من أشعب فردّ عليه:

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان المدنيّ قال حدّثني الفضل بن إسحاق الهاشميّ قال: أنشد بشّار قوله:

يروّعه السّرار[2]بكلّ أرض # مخافة أن يكون به السّرار

فقال له رجل: أظنك أخذت هذا من قول أشعب: ما رأيت اثنين يتسارّان إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فإنك أخذت ثقل الرّوح و المقت من الناس جميعا فانفردت به دونهم، ثم قام فدخل و تركنا. و أخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه: تركتني الوشاة نصب المسرّيـ # ن و أحدوثة بكلّ مكان

ما أرى خاليين في السرّ إلاّ # قلت ما يخلوان إلا لشاني

[1]كذا في أ، ء. م. و الإحراض: إدناف الحب، و منه قول العرجي:

إني امرؤ لجّ بي حب فأحرضني # حتى بليت و حتى شفني السقم

و في سائر النسخ: «الأمراض» و هو تحريف.

[2]السرار: المسارّة و هي الكلام في خفية.

استنشد هجوه في حماد عجرد و عمرو الظالمي فأنشد:

أخبرني عمّي[1]قال حدّثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدّثني سعيد-جليس كان لأبي زيد-قال: أتاني أعشى سليم و أبو حنش فقالا لي: انطلق معنا إلى بشّار فتسأله أن ينشدك شيئا من هجائه في حمّاد عجرد أو في عمرو الظالميّ فإنه إن عرفنا لم ينشدنا، فمضيت معهما حتى دخلت على بشّار فاستنشدته فأنشد قصيدة له على الدال فجعل يخرج من واد في الهجاء إلى واد آخر و هما يستمعان و بشّار لا يعرفهما، فلما خرجا قال أحدهما للآخر: أ ما تعجب مما جاء به هذا الأعمى؟فقال أبو حنش: أمّا أنا فلا أعرّض-و اللّه-والديّ له أبدا؛ و كانا قد جاءا يزورانه، و أحسبهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته.

مدح واصلا قبل أن يدين بالرجعة:

أخبرني/هاشم بن محمد الخزاعيّ عن الجاحظ قال:

كان بشّار صديقا لأبي حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة[2]و يكفّر الأمّة، و كان قد مدح واصلا و ذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلّها الراء و كانت على البديهة، و هي أطول من خطبتي خالد بن صفوان و شبيب بن شيبة[3]، فقال: تكلّفوا[4]القول و الأقوام قد حفلوا # و حبّروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي[5]بداهته # كمرجل القين لمّا حفّ باللّهب

و جانب الراء لم يشعر به أحد # قبل التصفّح و الإغراق[6]في الطلب

قال: فلمّا دان بالرجعة زعم أن الناس كلّهم كفروا بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فقيل له: و عليّ بن أبي طالب؟فقال: و ما شرّ الثلاثة أمّ عمرو # بصاحبك الذي لا تصبحينا[7]

قال: ما كان الكميت شاعرا:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال لي محمد بن الحجّاج: /قال بشّار: ما كان الكميت شاعرا؛ فقيل له: و كيف و هو الذي يقول!:

أنصف امرئ من نصف حيّ يسبّني # لعمري لقد لاقيت خطبا من الخطب

[1]كذا في أكثر النسخ، و في حـ: «عيسى» . و قد وردت الأخبار الثلاثة قبل هذا الخبر برواية عيسى عن سليمان.

[2]انظر الحاشية رقم 5 ص 145 من هذا الجزء.

[3]كذا في أ، حـ، ء: و هو الصواب. و شبيب بن شيبة هو أبو معمر البصريّ أحد الفصحاء البلغاء و الإخباريين. و في باقي النسخ: «شبة» .

[4]كذا في «البيان و التبيين» للجاحظ، (ج 1 ص 14 طبع مصر) و هو الذي يقتضيه المقام، و في الأصول: «تكلف» .

[5]كذا في حـ و هو الملائم لسياق الكلام. و في باقي النسخ: «تلفى» بالفاء.

[6]كذا في حـ، و في باقي النسخ: «التفصح» بتقديم الفاء على الصاد و هو تحريف.

[7]في أ، ء، حـ، ب: «لا تصحبينا» و هو تحريف، و تصبحينا: تسقينا الصبوح، و هو الشراب أوّل النهار. و هذا البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها: ألا هبّي بصحتك فاصبحينا # و لا تبقي خمور الأندرينا

هنيئا لكلب أنّ كلبا يسبّني # و أنّي لم أردد جوابا على كلب

فقال بشّار: لا بلّ[1]شانئك، أ ترى رجلا لو ضرط ثلاثين سنة لم يستحل من ضرطه ضرطة واحدة!

تمثل سفيان بن عيينة بشعر له:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حجّاج المعلّم قال سمعت سفيان بن عيينة يقول: عهدي بأصحاب الحديث و هم أحسن الناس أدبا ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدبا، و صبرنا عليهم حتى أشبهناهم[2]، فصرنا كما قال الشاعر: و ما أنا إلا كالزمان إذا صحا # صحوت و إن ماق[3]الزمان أموق

و بخ من سأله عن منزل ففهمه و لم يفهم:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: كنّا مع بشّار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يفهّمه و لا يفهم، فأخذ بيده و قام يقوده[4]إلى منزل الرجل و هو يقول: أعمى يقود بصيرا لا أبا لكم # قد ضلّ من كانت العميان تهديه

حتى صار به إلى منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزله يا أعمى.

أنشده عطاء الملط شعرا فاستحسنه و أنشده شعرا على رويه:

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

زعم أبو دعامة أن عطاء الملط[5]أخبره أنه أتى بشّارا فقال له: يا أبا معاذ، أنشدك شعرا حسنا؟فقال: ما أسرّني بذلك، فأنشده: أ عاذلتيّ اليوم ويلكما مهلا # فما جزعا م الآن أبكي و لا جهلا

فلما فرغ منها قال له بشّار: أحسنت[6]، ثم أنشده على رويّها و وزنها: لقد كاد ما أخفي من الوجد و الهوى # يكون جوى بين الجوانح أو خبلا

صوت

/

إذا قال مهلا ذو القرابة زادني # ولوعا بذكراها و وجدا بها مهلا

[1]لا بل: لا برأ. و يجوز بلّ بالبناء للمفعول أيضا بمعنى لا سقي و لا مطر.

[2]في جميع الأصول: «استهناهم» و ظاهر فيها التحريف.

[3]ماق يموق موقا: حمق في غباوة.

[4]في جميع الأصول: «يقوّمه» . و التصحيح للأستاذ الشيخ الشنقيطي مما كتبه بخطه على نسخته طبع بولاق.

[5]في أ، م، ء: «عطاء الملك» .

[6]في الأصول: «أحسن» بدون تاء الخطاب.

فلا يحسب البيض الأوانس أنّ في # فؤادي سوى سعدى لغانية فضلا

فأقسم إن كان الهوى غير بالغ # بي القتل من سعدى لقد جاوز القتلا

فيا صاح خبّرني الذي أنت صانع # بقاتلتي ظلما و ما طلبت ذحلا[1]

سوى أنّني في الحبّ بيني و بينها # شددت على أكظام[2]سرّ لها قفلا

-و ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلا أوّل بالوسطى-فاستحسنت القصيدة و قلت: يا أبا معاذ، قد و اللّه أجدت و بالغت، فلو تفضّلت بأن تعيدها!فأعادها على خلاف ما أنشدنيها في المرّة الأولى، فتوهّمت أنه قالها في تلك الساعة.

حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خلاّد[3]قال حدّثني أبي قال: كنت أكلّم بشّارا و أردّ عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله؛ و كان الكلام يطول بيننا، فقال لي: ما أظنّ الأمر يا أبا خالد[4]إلا كما تقول، و أن الذي نحن فيه خذلان، و لذلك أقول: طبعت على ما فيّ غير مخيّر # هواي و لو خيّرت كنت المهذّبا

أريد فلا أعطي و أعطى[5]و لم أرد # و قصّر علمي أن أنال المغيّبا

فأصرف عن قصدي و علمي مقصّر # و أمسي و ما أعقبت إلا التعجّبا

عاتب بشعر فتى من آل منقر بعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خلاّد بن المبارك قال حدّثني أبي قال: كان بالبصرة فتى من بني منقر أمّه عجليّة، و كان يبعث إلى بشّار في كل أضحيّة بأضحيّة من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمّنونها سنة و أكثر للأضاحي ثم تباع الأضحيّة بعشرة دنانير، و يبعث معها بألف درهم؛ قال: فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه، فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينة و سرق باقي الثمن، و كانت نعجة عبديّة من نعاج عبد اللّه بن دارم و هو نتاج مرذول، فلما أدخلت عليه قالت له جاريته ربابة: ليست هذه الشاة من الغنم التي كان يبعث بها إليك؛ فقال: أدنيها منّي فأدنتها و لمسها بيده ثم قال: اكتب يا غلام: /

وهبت لنا يا فتى منقر # و عجل و أكرمهم أولا

[1]الذحل: الثأر.

[2]كذا في ء، حـ، و أكظام بالظاء: جمع كظم (بالفتح) و هو مخرج النفس. و في باقي النسخ: «أكضام» بالضاد، و هو تحريف.

[3]هكذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول فيما تقدّم في أخبار بشار و فيما سيأتي من أخباره بعد، و قد ورد في هذا الموضع في جميع الأصول «خالد» ، فلعله محرّف عما أثبتناه إذ هو الذي يروي عنه ابن مهرويه في جميع المواضع التي ورد فيها.

[4]في حـ: «يا أبا مخلد» .

[5]في ب، س، حـ: «فلم أرد» بالفاء. ـ

و أبسطهم راحة في النّدى # و أرفعهم ذروة في العلا

عجوزا قد أوردها عمرها # و أسكنها الدهر دار البلى

سلوحا[1]توهّمت أن الرّعاء # سقوها ليسهلها الحنظلا

و أضرط من أمّ مبتاعها # إن اقتحمت بكرة حرملا[2]

فلو تأكل الزّبد بالنّرسيان[3] # و تدّمج[4]المسك و المندلا

لما طيّب اللّه أرواحها # و لا بلّ من عظمها الأقحلا[5]

وضعت يميني على ظهرها # فخلت حراقفها[6]جندلا

/و أهوت شمالي لعرقوبها # فخلت عراقبها مغزلا

و قلّبت أليتها بعد ذا # فشبّهت عصعصها[7]منجلا

فقلت أبيع فلا مشربا[8] # أرجّي لديها و لا مأكلا

أم أشوي و أطبخ من لحمها # و أطيب من ذاك مضغ السّلى[9]

إذا ما أمرّت على مجلس # من العجب[10]سبّح أو هلّلا

/رأوا آية خلفها سائق # يحثّ و إن هرولت هرولا

و كنت أمرت بها ضخمة # بلحم و شحم قد استكملا

و لكنّ روحا عدا طوره # و ما كنت أحسب أن يفعلا

فعضّ الذي خان في أمرها # من است أمّه بظرها الأغرلا[11]

و لو لا مكانك قلّدته # علاطا[12]و أنشقته الخردلا

و لو لا استحائيك خضّبتها # و علقت في جيدها جلجلا

[1]سلوح: وصف من السّلح و هو للطير و البهائم كالتغوّط من الإنسان، و قد يستعمل للإنسان على وجه التشبيه.

[2]الحرمل: نبات كالسمسم يعيي آكله.

[3]النّرسيان: نوع من أجود التمر، و في المثل: «أطيب من الزّبد بالنّرسيان» يضرب مثلا للأمر يستطاب و يستعذب. و المندل: العود الرّطب.

[4]كذا في جميع الأصول، و ادّمج في الشيء مثل اندمج: دخل فيه و استحكم. و لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ادّمج متعدّيا بنفسه، فلعلّ ما هنا من قبيل ما جرى فيه النصب على نزع الخافض.

[5]كذا في أكثر الأصول. و الأقحل: وصف من قحل الشيء إذا يبس، و في ب، س: «الأنحل» .

[6]الحراقف: جمع حرقفة، و الحرقفة: رأس الورك.

[7]العصعص: عجب الذئب.

[8]كذا في أ، م، ء، و في باقي الأصول: «فلا مشتر» .

[9]السلى: الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن أمه.

[10]في أ، م، ء: «من العجف» .

[11]الأغرل: ذو الغرلة أي لم يختن.

[12]العلاط (بالكسر) : حبل يجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه.

فجاءتك حتى ترى حالها # فتعلم أنّي بها مبتلى

سألتك لحما لصبياننا # فقد زدتني فيهم عيّلا

فخذها و أنت بنا محسن # و ما زلت بي محسنا مجملا

قال: و بعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله و قال له: ويلك!تعلم أني أفتدي من بشّار بما أعطيه و توقعني في لسانه!اذهب فاشتر أضحيّة، و إن قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل، و ابلغ بها ما بلغت و ابعث بها إليه.

شعره في رثاء بنية له:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت بشّارا المرعّث يرثي بنيّة له و هو يقول:

يا بنت من لم يك يهوى بنتا # ما كنت إلا خمسة أو ستّا

حتّى حللت في الحشى و حتّى # فتّت قلبي من جوى فانفتّا

/لأنت خير من غلام بتّا[1] # يصبح سكران و يمسي بهتا[2]

مدح نافع بن عقبة بن سلّم بعد موت أبيه:

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال:

كان نافع بن عقبة بن سلّم جوادا ممدّحا، و كان بشّار منقطعا إلى أبيه، فلما مات أبوه وفد إليه و قد ولي مكان أبيه، فمدحه بقوله: و لنافع فضل على أكفائه # إن الكريم أحقّ بالتفضيل

يا نافع الشّبرات[3]حين تناوحت # هوج الرياح و أعقبت بوبول

أشبهت عقبة غير ما متشبّه # و نشأت في حلم و حسن قبول

و وليت فينا أشهرا فكفيتنا # عنت المريب و سلّة التّضليل[4]

تدعى هلالا في الزمان و نافعا # و السّلم نعم أبوّة المأمول

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه في كلّ سنة إذا وفد عليه.

[1]بت: انقطع عن العمل، و منه قولهم: سكران باتّ أي منقطع عن العمل بالسكر، و يقال أيضا: بتّ الرجل يبتّ بتوتا أي هزل فلم يقدر أن يقوم.

[2]البهت: الدهش و التحير أو التعب، و استعمال المصدر هنا مكان اسم الفاعل للمبالغة في الوصف.

[3]الشبرات: جمع شبرة، و الشبرة (بالكسر) : العطية.

[4]كذا بالأصول، و للسلة معان كثيرة، فلعل أقربها هنا: إخراج السيوف من أغمادها عند القتال، و يكون المراد بسلة التضليل: ظهور التضليل و انتشاره، و لعلها «سنة التضليل» .

أجاز شعرا للمهدي في جارية:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني إبراهيم بن عقبة الرفاعيّ قال حدّثني إسحاق/بن إبراهيم التمّار البصريّ قال: دخل المهديّ إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهن تغتسل، فلما رأته حصرت[1]و وضعت يدها على فرجها، فأنشأ يقول: نظرت عيني لحيني

/ثم أرتج عليه، فقال: من بالباب من الشعراء؟قالوا: بشّار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجز: نظرت عيني لحيني

فقال بشّار:

نظرت عيني لحيني # نظرا وافق شيني

سترت لمّا رأتني # دونه بالراحتين

فضلت منه فضول # تحت طيّ العكنتين

فقال له المهديّ: قبّحك اللّه ويحك!أ كنت ثالثنا!ثم ما ذا؟فقال: فتمنّيت و قلبي # للهوى في زفرتين

أنّني كنت عليه # ساعة أو ساعتين

فضحك المهديّ و أمر له بجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين أقنعت من هذه الصفة بساعة أو ساعتين؟فقال: أخرج عنّي قبّحك اللّه!فخرج بالجائزة.

أنشد شعرا على لسان حمار له مات:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وهب البرجميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: جاءنا بشّار يوما فقلنا له: ما لك مغتمّا؟فقال: مات حماري فرأيته في النوم فقلت له: لم متّ؟أ لم أكن أحسن إليك!فقال: سيّدي خذ بي أتانا # عند باب الأصبهاني

تيّمتني ببنان # و بدلّ قد شجاني

تيّمتني يوم رحنا # بثناياها الحسان

و بغنج و دلال # سلّ جسمي و براني

[1]حصرت: استحت، و في حديث زواج فاطمة «فلما رأت عليا جالسا إلى جنب النبي حصرت و بكت» أي استحت و انقطعت كأن الأمر ضاق بها.

و لها خدّ أسيل # مثل خدّ الشيفران[1]

فلذا متّ و لو عشـ # ت إذا طال هواني

فقلت له: ما الشيفران؟قال: ما يدريني!هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فاسأله.

رأيه فيما يكون عليه المجلس:

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني علي بن إياس قال حدّثني السّريّ بن الصبّاح قال: شهد بشّار مجلسا فقال: لا تصيّروا مجلسنا هذا شعرا كلّه و لا حديثا كلّه و لا غناء كلّه، فإن العيش فرص، و لكن غنّوا و تحدّثوا و تناشدوا و تعالوا نتناهب العيش تناهبا.

وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ عن ابن عائشة قال: جاء بشّار يوما إلى أبي و أنا على الباب، فقال لي: من أنت يا غلام؟فقلت: من ساكني الدار؛ قال: فكلّمني و اللّه بلسان ذرب و شدق هريت[2].

أبطأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه يتنجزه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ عن أبي حاتم قال: كان سهيل بن عمر[3]القرشيّ يبعث إلى بشّار في كلّ سنة بقواصر[4]تمر، ثم أبطأ عليه سنة؛ فكتب إليه بشّار: تمركم يا سهيل درّ و هل يط # مع في الدرّ من يدي متعتّي[5]

فاحبني يا سهيل من ذلك التمـ # ر نواة تكون قرطا لبنتي

/فبعث إليه بالتمر و أضعفه له، و كتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعرا ثم عابثوه:

و نسخت من كتاب هارون بن عليّ: عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفوان قال: جلس إلى بشّار أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن ينشدهم شيئا مما أحدثه، فأنشدهم قوله: أنّى دعاه الشّوق فارتاحا # من بعد ما أصبح ججاحا[6]

[1]في أ، ء: «الشيغران» بالغين.

[2]كذا في حـ، و شدق هريت: واسع. و في باقي الأصول «هرت» .

[3]في م، أ، ء: «عمرو» .

[4]القواصر: جمع قوصرة (بتخفيف الراء) و قوصرة (بتشديدها) و هي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواريّ.

[5]متعت: مستكبر متجاوز الحد.

[6]الجحجاح: السيد المسارع في المكارم.

حتّى أتى على قوله:

في حلّتي جسم فتى ناحل # لو هبّت الرّيح به طاحا[1]

فقالوا: يا ابن الزانية، أ تقول هذا و أنت كأنّك فيل عرضك أكثر[2]من طولك!فقال: قوموا عنّي يا بني الزّناء؛ فإنّي مشغول القلب، لست أنشط اليوم لمشاتمتكم.

عشق امرأة و ألح عليها فشكته إلى زوجها:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال: كان لبشّار مجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البردان، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشق امرأة منهنّ، و قال لغلامه: عرّفها محبّتي لها، و اتبعها إذا انصرفت إلى منزلها؛ ففعل الغلام و أخبرها بما أمره فلم تجبه إلى ما أحبّ، فتبعها إلى منزلها حتّى عرفه، فكان يتردّد إليها حتّى برمت[3]به، فشكته إلى زوجها، فقال لها: أجيبيه و عديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلت، و جاء بشّار مع امرأة وجّهت بها إليه، فدخل و زوجها جالس و هو لا يعلم، فجعل يحدّثها ساعة، و قال لها: ما اسمك بأبي أنت؟فقالت: أمامة؛ فقال: أمامة قد وصفت لنا بحسن # و إنّا لا نراك فألمسينا

/قال: فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها و قد أنعظ، ففزع و وثب قائما و قال: عليّ أليّة ما دمت حيّا # أمسّك طائعا إلا بعود

و لا أهدي لقوم أنت فيهم # سلام اللّه إلاّ من بعيد

طلبت غنيمة فوضعت كفّي # على أير أشدّ من الحديد

فخير منك من لا خير فيه # و خير من زيارتكم قعودي

و قبض زوجها عليه و قال: هممت بأن أفضحك؛ فقال له: كفاني، فديتك، ما فعلت بي، و لست و اللّه عائدا إليها أبدا، فحسبك ما مضى، و تركه و انصرف[4]. و قد روي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشّار هذه.

و هذا الخبر بعينه يحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد و أوضح عن أبي العبّاس الأعمى السائب بن فرّوخ، و قد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده.

رثاؤه أصدقاءه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حمدان الآبنوسيّ قال حدّثنا أبو نواس قال: كان لبشّار خمسة ندماء فمات منهم أربعة و بقي واحد يقال له البراء، فركب في زورق يريد عبور دجلة [1]طاح: ذهب و هلك.

[2]كذا في حـ، و في باقي الأصول: «أثقل» .

[3]برمت به: سئمته و ضاقت به.

[4]كذا في حـ، و في باقي الأصول: «و تركه فانصرف» .

العوراء[1]فغرق، و كان المهديّ قد نهى بشّارا عن ذكر النساء و العشق، فكان بشار يقول: ما خير في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله: /

يا ابن موسى ما ذا يقول الإمام # في فتاة بالقلب منها أوام

بتّ من حبّها أوقّر بالكأ # س و يهفو على فؤادي الهيام[2]

/ويحها كاعبا تدلّ بجهم # كعثبيّ[3]كأنّه حمّام

لم يكن بينها و بيني إلاّ # كتب العاشقين و الأحلام

يا ابن موسى اسقني ودع عنك سلمى # إنّ سلمى حمى و فيّ احتشام

ربّ كأس كالسّلسبيل تعلّلـ # ـت بها و العيون عنّي نيام

حبست للشّراة في بيت رأس[4] # عتّقت عانسا عليها الختام

نفحت نفحة فهزّت نديمي # بنسيم و انشقّ عنها الزّكام

و كأنّ المعلول منها إذا را # ح شج في لسانه برسام[5]

صدمته الشّمول حتّى بعينيـ # ـه انكسار و في المفاصل خام[6]

و هو باقي الأطراف حيّت[7]به الكأ # س و ماتت أوصاله و الكلام

و فتى يشرب المدامة بالما # ل و يمشي[8]يروم ما لا يرام

أنفدت كأسه الدنانير حتّى # ذهب العين و استمرّ السّوام[9]

تركته الصّهباء يرنو بعين # نام إنسانها و ليست تنام

/جنّ من شربة تعلّ بأخرى # و بكى حين سار فيه المدام

كان لي صاحبا فأودى به الدّهـ # ـر و فارقته عليه السّلام

بقي النّاس بعد هلك نداما # ي وقوعا لم يشعروا ما الكلام[10]

[1]دجلة العوراء: دجلة البصرة.

[2]الهيام: الجنون من العشق.

[3]الكعثب: الركب (الفرج) الضخم الناتئ، و الجهم: الغليظ.

[4]بيت رأس: اسم لقريتين، في كل واحدة منهما كروم كثيرة تنسب إليهما الخمر، إحداهما ببيت المقدس، و الأخرى من نواحي حلب.

[5]البرسام: علة يهذى فيها، و هو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ، فارسيّ معرب مركب من «بر» و هو الصدر و «سام» و هو

الموت، و يقال لهذه العلة الموم، و لعله يريد بالبرسام هنا أثره و هو الهذيان.

[6]كذا وردت هذه الكلمة في جميع الأصول و لها معان في كتب اللغة لا تتفق و السياق إلا أن يكون قد أراد الكناية عن ارتخاء المفاصل فجعل ما بها من العظام لتثنّيها و تكسرها كأنها خام أي طاقات زرع غضة رطبة.

[7]حيث بالإدغام لغة في حيي كرضى.

[8]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «و يمسي» .

[9]العين: الذهب. و استمر: ذهب. و السوام: الإبل الراعية، و المراد بها هنا المال الراعي كالسائمة.

[10]في حـ، ء و إحدى روايتي أ، م: «ما الكرام» .

كجزور[1]

الأيسار لا كبد فيـ # ها لباغ و لا عليها سنام

يا ابن موسى فقد الحبيب العيـ # ن قذاة و في الفؤاد سقام

كيف يصفو لي النعيم وحيدا # و الأخلاّء في المقابر هام[2]

نفستهم[3]عليّ أم المنايا # فأنامتهم بعنف فناموا

لا يغيض انسجام عيني عنهم # إنّما غاية الحزين السّجام[4]

وفد على عمر بن هبيرة فمدحه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ: أن بشّارا وفد إلى عمر بن هبيرة و قد مدحه بقوله:

يخاف المنايا أن ترحّلت صاحبي # كأنّ المنايا في المقام تناسبه

فقلت له إنّ العراق مقامه # وخيم إذا هبّت عليك جنائبه

لألقى بني عيلان إنّ فعالهم[5] # تريد على كلّ الفعال مراتبه

أولاك الألى شقّوا العمى بسيوفهم # عن العين حتّى أبصر الحقّ طالبه

و جيش كجنح الليل يزحف بالحصا # و بالشوك و الخطّيّ حمرا ثعالبه[6]

/غدونا له و الشّمس في خدر أمّها # تطالعنا و الطّلّ[7]لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه # و تدرك من نجّى الفرار مثالبه

/كأنّ مثار النّقع فوق رءوسنا # و أسيافنا ليل تهاوى[8]كواكبه

بعثنا لهم موت الفجاءة إنّنا # بنو الموت خفّاق علينا سبائبه[9]

فراحوا فريق في الإسار و مثله # قتيل و مثل لاذ بالبحر هاربه

إذا الملك الجبّار صعّر خدّه[10] # مشينا إليه بالسّيوف نعاتبه

[1]جزور الأيسار: الناقة التي تنحر للمقامرة عليها.

[2]هام: أموات، يقال: أصبح فلان هامة أي مات، و هذا هامة اليوم أو غد أي أنه مشف على الموت.

[3]نفستهم: حسدتهم عليّ.

[4]السجام (بالكسر) : سيلان الدمع.

[5]الفعال (بالفتح) : الجود و الكرم.

[6]كذا في «معاهد التنصيص» ص 191 طبع بولاق. و الثعالب: جمع ثعلب، و هو طرف الريح الداخل في السنان، و في الأصول: «تغالبه» و هو تحريف.

[7]كذا في «معاهد التنصيص» (طبع بولاق ص 191) و في الأصول: «و الظل» بالظاء المعجمة و هو تحريف.

[8]كذا في «معاهد التنصيص» و أصله تتهاوى أي يتساقط بعضها في أثر بعض، و في الأصول «تتهادى» بالدال و هو تحريف.

[9]السبائب: جمع سبيبة و هي شقة رقيقة من الكتان، و المراد بها هنا الرايات.

[10]صعر خده: أماله عن النظر إلى الناس تهاونا بهم و كبرا.

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أعطيها بشّار و رفعت من ذكره، و هذه القصيدة هي التي يقول فيها:

صوت

إذا كنت في كلّ الأمور معاتبا # صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدا أوصل أخاك فإنه # مقارف[1]ذنب مرّة و مجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى # ظمئت و أيّ النّاس تصفو مشاربه

الغناء في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها.

شعره في العشق:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال: كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البردان، و كان النساء يحضرنه فيه، فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشقها، فدعا غلامه فقال: /إذا تكلّمت المرأة عرّفتك فاعرفها، فإذا انصرفت من المجلس فاتبعها و كلّمها و أعلمها أنّى لها محبّ؛ و قال فيها: يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة # و الأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لا ترى تهذي!فقلت لهم # الأذن كالعين توفي[2]القلب ما كانا

هل من دواء لمشغوف بجارية # يلقى بلقيانها روحا[3]و ريحانا

و قال في مثل ذلك:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلّقها # قلبي فأضحى به من حبّها أثر

أنّى و لم ترها تهذي!فقلت لهم # إنّ الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

أصبحت كالحائم الحيران مجتنبا # لم يقض وردا و لا يرجى له صدر

قال يحيى بن عليّ و أنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى و كان يستحسنه: يزهّدني في حبّ عبدة معشر # قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي و ما اختار و ارتضى # فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبّ

فما تبصر العينان في موضع الهوى # و لا تسمع الأذنان إلاّ من القلب

و ما الحسن إلاّ كلّ حسن دعا الصّبا # و ألّف بين العشق و العاشق الصّبّ

قال أبو أحمد: و قال في مثل ذلك:

[1]مقارف: مخالط.

[2]توفي: تبلغ.

[3]الرّوح (بالفتح) : نسيم الريح و الراحة و السرور.

يا قلب مالي أراك لا تقر[1] # إيّاك أعني و عندك الخبر

أذعت بعد الألى مضوا حرقا # أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا

/قال أبو أحمد: و قال في مثل ذلك:

إنّ سليمى و اللّه يكلؤها # كالسّكر تزداده على السّكر

بلّغت عنها شكلا[2]فأعجبني # و السّمع بكفيك غيبة البصر

أنشد المهديّ شعرا فلم يعطه شيئا فقال شعرا مداره الحكمة:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال:

زعم أبو العالية أنّ بشّارا قدم على المهديّ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع: قد أذن لك و أمرك ألاّ تنشد شيئا من الغزل و التشبيب فأدخل على ذلك، فأنشده قوله: يا منظرا حسنا رأيته # من وجه جارية فديته

بعثت إليّ تسومني # برد الشّباب و قد طويته

و اللّه ربّ محمّد # ما إن غدرت و لا نويته

أمسكت عنك و ربّما # عرض البلاء و ما ابتغيته

إنّ الخليفة قد أبى # و إذا أبى شيئا أبيته

و مخضّب رخص البنا # ن بكى عليّ و ما بكيته

و يشوقني بيت الحبيـ # ـب إذا ادّكرت و أين بيته

قام الخليفة دونه # فصبرت عنه و ما قليته

و نهاني الملك الهما # م عن النّسيب[3]و ما عصيته

لا بل وفيت فلم أضع # عهدا و لا رأيا رأيته

و أنا المطلّ على العدا # و إذا غلا علق[4]شريته

أصفي[5]الخليل إذا دنا # و إذا نأى عنّي نأيته

/ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرمه و لم يعطه شيئا؛ فقيل له: إنّه لم يستحسن شعرك؛ فقال: و اللّه لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد، و لكنّه كذّب أملي لأنّي كذبت في قولي. ثم قال في ذلك: [1]لا تقر: لا ترزن و لا تستقر، من الوقار أي الرزانة.

[2]الشكل: غنج المرأة و دلالها.

[3]كذا في أ، م. و في باقي الأصول: «النساء» .

[4]كذا في أكثر الأصول، و العلق: النفيس من كل شيء، و في أ «شيء» و قد تقدّم في صفحة 212 من هذا الجزء: و إذا غلا الحمد اشتريته

[5]أصفى الخليل: أي أصفيه الودّ، يقال: أصفيت فلانا الود أي أخلصته له.

خليليّ إنّ العسر سوف يفيق # و إنّ يسارا في غد لخليق

و ما كنت إلا كالزّمان إذا صحا # صحوت و إن ماق[1]الزّمان أموق

أ أدماء[2]لا أستطيع في قلّة الثّرى # خزوزا[3]و وشيا و القليل محيق[4]

خذي من يدي ما قلّ إنّ زماننا # شموس[5]و معروف الرجال رقيق[6]

لقد كنت لا أرضى بأدنى معيشة # و لا يشتكي بخلا عليّ رفيق

خليليّ إنّ المال ليس بنافع # إذا لم ينل منه أخ و صديق

و كنت إذا ضاقت عليّ محلّة # تيمّمت أخرى ما عليّ تضيق

و ما خاب بين اللّه و الناس عامل # له في التّقى أو في المحامد سوق

و لا ضاق فضل اللّه عن متعفّف # و لكنّ أخلاق الرجال تضيق

أنشد المهديّ شعرا في النسيب فتهدده إن عاد إلى مثله:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال:

بلغ المهديّ قول بشّار:

/

قاس الهموم تنل بها نجحا # و الليل إنّ وراءه صبحا

/لا يؤيسنّك من مخبّأة # قول تغلّظه و إن جرحا

عسر النّساء إلي مياسرة # و الصّعب يمكن بعد ما جمحا

فلمّا قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، و كان المهديّ غيورا، فغضب و قال: تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمّه[7]!أ تحضّ الناس على الفجور و تقذف المحصنات المخبّآت!و اللّه لئن قلت بعد هذا بيتا واحدا في نسيب لآتينّ على روحك؛ فقال بشار في ذلك: و اللّه لو لا رضا الخليفة ما # أعطيت ضيما عليّ في شجن

و ربّما خير لابن آدم في الـ # كره و شقّ الهوى على البدن

فاشرب على أبنة الزّمان فما # تلقى زمانا صفا من الأبن[8]

[1]ماق: حمق.

[2]الأدماء: -لغة-الظبية التي أشرب لونها بياضا، و من معانيها أيضا السمراء مؤنث آدم، و هي هنا علم، كلمياء و عفراء.

[3]الخزوز: جمع خز و هو نوعان: أحدهما ثياب تنسج من صوف و حرير، و ثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده، و الوشى: نوع من الثياب الموشية أي المنقوشة التي خلط فيه لون بلون.

[4]محيق: لا خير فيه و هو فعيل من «محقه اللّه» أي أذهب خيره و بركته.

[5]شموس: متنكر، و منه فرس شموس: لا يمكن أحدا من ظهره، و رجل شموس: عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده.

[6]كذا في حـ، و في باقي الأصول «رفيق» بالفاء و هو تحريف.

[7]يريد «يا عاض بظر أمه» و البظر: هنة تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، و في حديث الحديبية «امصص ببظر اللات» .

[8]الأبن: جمع أبنة و هي العداوة و الحقد، و المراد هنا الكدر.

اللّه يعطيك من فواضله # و المرء يغضي عينا على الكمن[1]

قد عشت بين الرّيحان و الراح و الـ # مزهر[2]في ظلّ مجلس حسن

و قد ملأت البلاد ما بين فغـ # فور[3]إلى القيروان فاليمن

قال عمر بن شبّة: فغفور: ملك الصين.

شعرا تصلّي له العواتق[4]و الـ # ثّيب[5]صلاة الغواة للوثن

/ثم نهاني المهديّ فانصرفت # نفسي صنيع الموفّق اللّقن[6]

فالحمد للّه لا شريك له # ليس بباق شيء على الزّمن

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها:

تجاللت عن فهر و عن جارتي فهر

و وصف بها تركه التشبيب، و مدحه فقال:

تسلّى عن الأحباب صرّام خلّة # و وصّال أخرى ما يقيم على أمر

و ركّاض أفراس الصّبابة و الهوى # جرت حججا ثم استقرّت فما تجري

فأصبحن ما يركبن إلاّ إلى الوغى # و أصبحت لا يزرى عليّ و لا أزري

فهذا و إنّي قد شرعت[7]مع التّقى # و ماتت همومي الطارقات فما تسري

ثم قال يصف السفينة:

و عذراء لا تجري بلحم و لا دم # قليلة شكوى الأين[8]ملجمة الدّبر

إذا ظعنت[9]فيها الفلول[10]تشخّصت # بفرسانها لا في وعوث[11]و لا وعر

[1]الكمن: جمع كمنة و هي جرب و حمرة تبقى في العين من رمد يساو علاجه، و قيل: ورم في الأجفان، و قيل: قرح في المآقي.

[2]في حـ: «المزمر» و لم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «مزمر» و الوارد «مزمار» ، و في باقي الأصول: «و الراح و الزهر» و هو غير مستقيم الوزن، و الظاهر أن كلتا الكلمتين «المزمر» ، «و الزهر» محرّفة عن «المزهر» و هو العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه.

[3] «فغفور» (وزان عصفور) : لقب كل من ملك الصين، كالنجاشي للحبشة، و قيصر للروم، و خاقان للترك، و كسرى للفرس؛ و جاء في أقرب الموارد «و الفغفوريّ: الخزف الجيد يؤتى به من الصين نسبة إلى فغفور و هي بلاد الصين» ، و لعلها المرادة في هذا الشعر.

و في الأصول: «يغبور» و لعلها تحريف.

[4]العواتق جمع عاتق و هي الجارية أول ما أدركت.

[5]يريد بقوله: «و الثيب» الثيبات جمع ثيب و هي نقيض البكر؛ و هذا الجمع غير موجود في كتب اللغة و لا يكون كذلك إلا على توهم أن مفرده ثيباه، و لعله مما يقع في الشعر ضرورة، قال ابن الرومي: الآن حين طلعت كل ثنية # و وطئت أبكار الكلام و ثيبه

[6]اللقن: سريع الفهم.

[7]شرعت مع التقي: أظهرت الحق و قمعت الباطل باصطحابي للتقي.

[8]الأين: الإعياء.

[9]كذا في «مختارات البارودي» (ج 4 ص 1) و في جميع الأصول: «طعنت» بالطاء المهملة.

[10]الفلول: الجماعات.

[11]وعوث: جمع وعث و هو المكان السهل اللين. ـ

و إن قصدت زلّت على متنصّب # ذليل القوى لا شيء يفري كما تفري

تلاعب تيّار البحور و ربّما # رأيت نفوس القوم من جريها تجري

قال: و كان قال: «نينان البحور» فعابه بذلك سيبويه[1]فجعله «تيّار البحور» .

/

إلى ملك من هاشم في نبوّة # و من حمير في الملك في العدد الدّثر[2]

من المشترين الحمد تندى من النّدى # يداه و يندي عارضاه من العطر

/فألزمت حبلي حبل من لا تغبّه # عفاة الندى من حيث يدري و لا يدري

بنى لك عبد اللّه بيت خلافة # نزلت بها بين الفراقد و النّسر

و عندك عهد من وصاة[3]محمّد # فرعت[4]به الأملاك من ولد النّضر

هجا المهدي بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله:

فلم يحظ منه أيضا بشيء، فهجاه فقال في قصيدته:

خليفة يزني بعمّاته # يلعب بالدّبّوق[5]و الصّولجان

أبدلنا اللّه به غيره # و دسّ موسى في حر الخيزران[6]

و أنشدها في حلقة يونس النّحويّ، فسعي به إلى يعقوب بن داود، و كان بشّار قد هجاه فقال: بني أميّة هبّوا طال نومكم # إنّ الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا # خليفة اللّه بين الزّقّ و العود

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك؛ فقال: بأيّ شيء؟فقال: بما لا ينطق به لساني و لا يتوهّمه فكري؛ قال له: بحياتي إلاّ أنشدتني!فقال: و اللّه لو خيّرتني بين إنشادي إياه و بين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فسحة فيها أن يخبره؛ فقال: أمّا لفظا فلا، و لكنّي أكتب ذلك، فكتبه و دفعه إليه؛ فكاد/ينشقّ غيظا، و عمد على الانحدار إلى البصرة للنّظر في أمرها، و ما وكده[7]غير بشّار، فانحدر، فلما بلغ إلى البطيحة[8]سمع أذانا في وقت ضحى النّهار، [1]جمع نون على نينان أثبته صاحب «القاموس» و صاحب «اللسان» و استشهد له بحديث عليّ رضي اللّه عنه: «يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات» ، و حكى السيد

المرتضى في «شرح القاموس» تخطئة سيبويه لبشار، ثم قال: و استعمله المتنبي و غلطوه أيضا.

[2]الدثر: الكثير من كل شيء.

[3]الوصاة: الوصية.

[4]فرعت: علوت بالشرف، يقال: فرع فلان القوم أي علاهم بالشرف أو الجمال.

[5]الدبوق: لعبة يلعب بها الصبيان ذكرها صاحب «القاموس» و صاحب «اللسان» في مادة «دبق» و قالا: هي لعبة معروفة، و لم يبيناها.

قال صاحب السعادة أحمد تيمور باشا فيما كتبه في المجلة السلفية المجلد الثاني ص 94 عن لعب العرب في الكلام على هذه اللعبة بعد أن استشهد بهذا الشعر: «و لا ندري هل الصولجان من لوازمه ليكون شيئا كالكرة و نحوها أم هما لعبتان قرن بينهما في شعره» .

[6]الخيزران: جارية من جواري المهديّ و هي أم ولديه موسى و هارون.

[7]كذا في حـ. و وكده: قصده، و في باقي الأصول «وكزه» بالزاي المعجمة.

[8]البطيحة: أرض واسعة بين واسط و البصرة.

فقال: انظروا ما هذا الأذان!فإذا بشّار يؤذّن سكران؛ فقال له: يا زنديق يا عاضّ بظر أمه، عجبت أن يكون هذا غيرك، أ تلهو بالأذان في غير وقت صلاة و أنت سكران!ثم دعا بابن نهيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحرّاقة[1]سبعين سوطا أتلفه فيها، فكان إذا أوجعه السوط يقول: حسّ-و هي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع-فقال له بعضهم: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حسّ، و لا يقول: باسم اللّه؛ فقال: ويلك! أ طعام هو فأسمّي اللّه عليه!فقال له الآخر: أ فلا قلت: الحمد للّه؛ قال: أو نعمة هي حتّى أحمد اللّه عليها!فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه، فألقي في سفينة حتّى مات ثم رمي به في البطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدفن بها.

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال: لما ولي صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهديّ البصرة، قال بشّار يهجوه: هم حملوا فوق المنابر صالحا # أخاك فضجّت من أخيك المنابر

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهديّ فقال: يا أمير المؤمنين، أبلغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين!قال: ويحك!و ما قال؟ قال: يعفيني/أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه. فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره: و خاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهديّ فيمدحه و يعفو عنه، فوجّه إليه من استقبله/فضربه بالسّياط حتّى قتله ثم ألقاه في البطيحة في الخرّارة[2].

هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد[3]النّوفليّ عن أبيه و عن جماعة من رواة البصريين، و أخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد، و خبره أتم، قالوا: خرج بشّار إلى المهديّ، و يعقوب بن داود وزيره، فمدحه و مدح يعقوب، فلم يحفل به يعقوب و لم يعطه شيئا، و مرّ يعقوب ببشّار يريد منزله، فصاح به بشّار: طال الثّواء على رسوم المنزل

فقال يعقوب:

فإذا تشاء أبا معاذ فارحل

فغضب بشّار و قال يهجوه:

بني أميّة هبّوا طال نومكم # إنّ الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا # خليفة اللّه بين الزّقّ و العود

قال النوفليّ: فلما طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليه، و كان من عادة بشّار إذا أراد أن ينشد أو [1]الحراقة: واحدة الحراقات و هي سفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمي بها العدوّ.

[2]الخرّارة: موضع بالبطيحة، و سيذكر المؤلف ذلك في «ص 248» من هذا الجزء.

[3]كذا في حـ و هو الموافق لما اتفقت عليه النسخ جميعا في هذا السند حين تكرر الإسناد إليه من راوية آخر. و في باقي النسخ: «حماد» .

يتكلّم أن يتفل عن يمينه و شماله و يصفّق بإحدى يديه على الأخرى، ففعل ذلك و أنشد: يعقوب قد ورد العفاة عشيّة # متعرّضين لسيبك المنتاب[1]

فسقيتهم و حسبتني كمّونة # نبتت لزارعها بغير شراب

/مهلا لديك فإنّني ريحانة # فاشمم بأنفك و اسقها بذناب[2]

طال الثواء على تنظّر حاجة # شمطت[3]لديك فمن لها بخضاب

تعطي الغزيرة[4]درّها فإذا أبت # كانت ملامتها على الحلاّب

وفاة بشار:

يقول ليعقوب: أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يوصل إلى درّها فليس ذلك من قبلها، إنّما هو من منع الحالب منها، و كذلك الخليفة ليس[5]من قبله لسعة معروفة، إنما هو من قبل السبب إليه.

قال: فلم يعطف ذلك يعقوب عليه و حرمه، فانصرف إلى البصرة مغضبا. فلمّا قدم المهديّ البصرة أعطى عطايا كثيرة و وصل الشعراء، و ذلك كلّه على يدي يعقوب، فلم يعط بشّارا شيئا من ذلك، فجاء بشّار إلى حلقة يونس النّحويّ فقال: هل هاهنا أحد يحتشم[6]؟قالوا له: لا؛ فأنشأ بيتا يهجو فيه المهديّ، فسعى به أهل الحلقة إلى يعقوب؛ فقال يونس[7]للمهديّ: إنّ بشارا زنديق و قامت عليه البيّنة عندي بذلك، و قد هجا أمير المؤمنين، فأمر ابن نهيك بأخذه، و أزف خروجهم فخرجوا و أخرجه ابن نهيك معه في زورق. فلما كانوا بالبطيحة ذكره المهديّ فأرسل إلى ابن نهيك يأمره أن يضرب بشّارا ضرب التلف و يلقيه بالبطيحة، فأمر به فأقيم على صدر السفينة و أمر الجلاّدين أن يضربوه ضربا يتلفون فيه نفسه ففعلوا ذلك، فجعل يسترجع[8]؛ فقال بعض من حضر: أ ما تراه/لا يحمد اللّه!فقال بشّار: أ نعمة هي فأحمد اللّه عليها!إنّما هي بليّة أسترجع عليها، فضرب سبعين سوطا مات منها و ألقي في البطيحة.

قال يحيى بن عليّ فحكى قعنب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: لما ضرب بشار بالسّياط و طرح في السفينة قال: ليت عين أبي الشّمقمق رأتني حين يقول: /

إنّ بشّار بن برد # تيس أعمى في سفينه[9]

[1]المنتاب: الذي يأتي مرة بعد أخرى.

[2]ذناب: جمع ذنوب، و الذنوب: الدلو الملأى.

[3]شمطت: تأخر قضاؤها و طال عليها الأمد، و أصل الشمط أن يخالط سواد الرأس بياض الشيب.

[4]الغزيرة: الكثيرة الدرّ.

[5]مرجع ضمير «ليس» المنع.

[6]يحتشم: يحذر و يهاب محضره، و قد أنكر صاحب «اللسان» مجيء «احتشم» متعديا فقال: و لا يقال: احتشمته، ثم نقل عن الليث في قول القائل: «و لم يحتشم ذلك» أنه من قبيل حذف من و إيصال الفعل إلى المجرور. و جاء في «أساس البلاغة» : «أنا أحتشمك و أحتشم منك: أي أستحي» .

[7]تقدم في (ص 242) من هذا الجزء أن الذي أخبر المهدي هو يعقوب فلعل «يونس» هنا سبق قلم من الناسخ.

[8]يسترجع: يقول: إنا للّه و إنا إليه راجعون.

[9]كان العرب إذا هجوا إنسانا بالغباوة أو بالنتن قالوا: إنما هو تيس، فإذا أرادوا الغاية في الغباوة قالوا: ما هو إلا تيس في سفينة.

(انظر الحيوان للجاحظ طبع مطبعة التقدم ج 5 ص 136) .

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و حبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: أمر المهديّ عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشّارا، فما بقي بالبصرة شريف إلا بعث إليه بالفرش و الكسوة و الهدايا و مات بالبطيحة. قال: و كانت وفاته و قد ناهز ستّين سنة.

قال عمر بن شبّة حدّثني سالم بن عليّ، قال: كنّا عند يونس فنعى بشّارا إلينا ناع، فأنكر يونس ذلك و قال: لم يمت؛ فقال الرجل: أنا رأيت قبره، فقال: أنت رأيته؟قال: نعم، و إلا فعليّ و عليّ، و حلف له حتّى رضي، فقال يونس: «لليدين و للفم» [1].

قال أبو زيد و حدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عون بن بشير[2]، و كان يتّهم بمذهب بشّار، فقال: /لمّا مات بشّار ألقيت جثّته بالبطيحة في موضع يعرف بالحرّارة، فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة فأخذ فأتي به أهله فدفنوه، قال و كان كثيرا ما ينشدني: سترى حول سريري # حسّرا[3]يلطمن لطما

يا قتيلا قتلته # عبدة الحوراء ظلما

قال: و أخرجت جنازته فما تبعها أحد إلاّ أمة له سوداء سنديّة عجماء ما تفصح، رأيتها خلف جنازته تصيح: وا سيّداه!وا سيّداه!.

شماتة الناس بموته و ما قيل في ذلك من الشعر:

قال أبو زيد و حدّثني سالم بن عليّ[4]قال:

لمّا مات بشّار و نعي إلى أهل البصرة تباشر عامّتهم و هنّأ بعضهم بعضا و حمدوا اللّه و تصدّقوا، لما كانوا منوا[5] به من لسانه.

و قال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بشّار: يا بؤس ميت لم يبكه أحد # أجل و لم يفتقده مفتقد

لا أمّ أولاده بكته و لم # يبك عليه لفرقة ولد

و لا ابن أخت بكى و لا ابن أخ # و لا حميم رقّت له كبد

بل زعموا أنّ أهله فرحا # لمّا أتاهم نعيّه سجدوا

[1]استعمل يونس هاتين الكلمتين في الشماتة بهلاك بشار، و هما في الأصل مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان، و المراد أسقطه اللّه على يديه و رجليه، و في الحديث أن عمر رضي اللّه عنه أتى بسكران في

رمضان فتعثر بذيله فقال عمر: لليدين و للفم، أ ولداننا صيام و أنت مفطر! ثم أمر به فحدّ (انظر «مجمع الأمثال» للميداني ج 2 ص 134 طبع بولاق) .

[2]في حـ: «بشر» .

[3]حسر: جمع حاسر و هي المكشوفة الوجه أو الذراعين.

[4]كذا في أكثر الأصول، و في حـ: «سالم بن عبد اللّه» .

[5]منوا: ابتلوا.

قال: و قال أيضا في ذلك:

قد تبع الأعمى قفا عجرد # فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحبا # بروح حمّاد و بشّار

/تجاورا بعد تنائيهما # ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعا في يدي مالك # في النّار و الكافر في النار

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ و أخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمّد عن أحمد بن خلاّد عن أبيه قال: مات بشّار سنة ثمان و ستين و مائة و قد بلغ نيّفا و سبعين[1]سنة.

ندم المهديّ على قتله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال:

لمّا ضرب المهديّ بشّارا بعث إلى منزله من يفتّشه، و كان يتّهم بالزندقة فوجد. في منزله طومار[2]فيه: **بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ*** إني أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم/فأمسكت عنهم إجلالا له صلّى اللّه عليه و سلّم، على أنّي قد قلت فيهم: دينار آل سليمان و درهمهم # كالبابليّين[3]حقّا بالعفاريت

لا يبصران و لا يرجى لقاؤهما # كما سمعت بهاروت و ماروت[4]

فلما قرأه المهديّ بكى و ندم على قتله، و قال: لا جزى اللّه يعقوب بن داود خيرا، فإنّه لمّا هجاه لفّق عندي شهودا على أنّه زنديق فقتلته ثمّ ندمت حين لا يغني النّدم.

/أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون قال: لمّا نزل المهديّ البصرة كان معه حمدويه صاحب الزّنادقة فدفع إليه بشّارا و قال: اضربه ضرب التلف، فضربه ثلاثة عشر سوطا، فكان كلّما ضربه سوطا قال له: أوجعتني ويلك! فقال: يا زنديق، أ تضرب و لا تقول: باسم اللّه! قال: ويلك!أ تريد هو فأسمّي[5][اللّه]عليه!قال: و مات من ذلك الضّرب.

و لبشّار أخبار كثيرة قد ذكرت في عدّة مواضع: منها أخباره مع عبدة فإنّها أفردت في بعض شعره فيها الذي [1]كذا في أكثر الأصول، و في حـ: «و تسعين» و مثل هذا ورد في «معاهد التنصيص» ص 137 طبع بولاق.

[2]الطومار كالطامور: الصحيفة، قال ابن سيدة: قيل هو دخيل، و أراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتدّ به في الأبنية فقال: هو ملحق بفسطاط (انظر «لسان العرب» مادة «طمر») .

[3]نسبة إلى بابل و هي ناحية منها الكوفة و الحلّة ينسب إليها السحر و الخمر.

[4]هاروت و ماروت: ملكان، و قد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(وَ مَا أُنْزِلَ عَلَى اَلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ)** .

[5]زيادة في حـ.

غنّى فيه المغنّون، و أخباره مع حمّاد عجرد في تهاجيهما فإنّها أيضا أفردت، و كذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليّ فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع، إذ كان كلّ صنف منها مستغنيا بنفسه حسبما شرط في تصدير الكتاب.

29-أخبار يزيد حوراء

ولاؤه، و هو مغن من طبقة ابن جامع و الموصلي:

يزيد حوراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، و يكنى أبا خالد، مغنّ محسن كثير الصّناعة، من طبقة ابن جامع و إبراهيم الموصليّ، و كان ممن قدم على المهديّ في خلافته فغنّاه، و كان حسن الصّوت حلو الشمائل.

كان إبراهيم الموصلي يحسده فشاركه في جوار و تعلم إشارته منهن و أبطل عليه ما انفرد به:

و ذكر ابن خرداذبه[1]أنه بلغه أن إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله و إشارته في الغناء، فاشترى عدّة جوار و شاركه فيهنّ، و قال له: علّمهن فما رزق اللّه فيهن من ربح فهو بيننا، و أمرهن أن يجعلن وكدهنّ[2]أخذ إشارته[3] ففعلن ذلك، و كان إبراهيم يأخذها عنهن هو و ابنه و يأمرهن بتعليم كلّ من يعرفنه ذلك حتى شهرها في الناس؛ فأبطل عليه ما كان منفردا به من ذلك.

كان صديقا لأبي العتاهية و غنى للمهدي من شعره في عتبة فأكرمه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعة من موالي الرشيد: أن يزيد حوراء كان صديقا لأبي العتاهية، فقال أبو العتاهية أبياتا في أمر عتبة يتنجّز فيها المهديّ ما وعد إيّاه من تزويجها، فإذا وجد المهديّ طيّب النفس غنّاه بها، و هي: و لقد تنسّمت الرياح حاجتي # فإذا لها من راحتيك نسيم

أشربت نفسي من رجائك ما له # عنق يحبّ إليك بي و رسيم[4]

و رميت نحو سماء جودك[5]ناظري # أرعى مخايل برقه و أشيم/

و لربّما استيأست ثم أقول لا، # إنّ الّذي ضمن النجاح كريم

فصنع فيها لحنا و توخّى لها وقتا وجد المهديّ فيه طيّب النفس فغنّاه بها، فدعا بأبي العتاهية و قال له: أمّا عتبة فلا سبيل إليها لأن مولاتها منعت من ذلك. و لكن هذه/خمسون ألف درهم فاشتر ببعضها خيرا من عتبة، فحملت إليه و انصرف.

[1] (انظر الحاشية رقم 5 ص 344 ج 2 «أغاني» طبع دار الكتب المصرية) .

[2]الوكد: القصد.

[3]في ب، س، حـ: «إشاراته» .

[4]العنق و الرسيم: ضربان من ضروب السير.

[5]الجود (بفتح الجيم) : المطر الغزير، و من الجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الكرم. و في «زهر الآداب» : «صوبك» .

كان نظيفا ظريفا حسن الوجه جميل الخصال:

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن المرزبان قال حدّثنا شيبة بن هشام عن عبد اللّه بن العبّاس الرّبيعيّ[1]قال: كان يزيد حوراء نظيفا ظريفا حسن الوجه شكلا[2]، لم يقدم علينا من الحجاز أنظف و لا أشكل منه، و ما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة فيه لا تراها في أحد منهم إلا رأيتها فيه، و كان يتعصّب لإبراهيم الموصليّ على ابن جامع، فكان إبراهيم يرفع منه و يشيع ذكره بالجميل و ينبّه على مواضع تقدّمه و إحسانه و يبعث بابنه إسحاق إليه يأخذ عنه.

رثاه صديقه أبو مالك حين مات:

و كان صديقا لأبي مالك الأعرج التّميميّ لا يكاد أن يفارقه، فمرض مرضا شديدا و احتضر، فاغتمّ عليه الرشيد و بعث بمسرور الخادم يسأل عنه، ثم مات؛ فقال أبو مالك يرثيه:

صوت

لم يمتّع من الشباب يزيد # صار في التّرب و هو غضّ جديد

خانه دهره و قابله منـ # ـه بنحس و دابرته[3]السّعود

/حين زفّت دنياه من كل وجه # و تدانى إليه منه البعيد

فكأن لم يكن يزيد و لم يشـ # ـج نديما يهزّه التّغريد

و في هذه الأبيات لحسين بن محرز لحن من الثقيل الثاني بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانة.

توسط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهديّ فكلّم فيه عتبة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن أبي يوسف قال حدّثني الحسين بن جمهور بن زياد بن طرخان[4]مولى المنصور قال حدّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عيينة بن شارية الدّؤليّ قال حدّثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدّثني يزيد حوراء المغنّي قال: كلّمني أبو العتاهية في أن أكلّم له المهديّ في عتبة، فقلت له: إن الكلام لا يمكنني و لكن قل شعرا أغنّه به، فقال:

صوت

نفسي بشيء من الدنيا معلّقة # اللّه و القائم المهديّ يكفيها

‴

[1]في جميع الأصول: «الربعي» بدون ياء بعد الباء و هو عبد اللّه بن العباس بن الفضل بن الربيع و النسبة إليه ربيعيّ بإثبات الياء، و له ترجمة في الجزء السابع عشر من «الأغاني» طبع بولاق.

[2]شكلا: ذا دل و غزل.

[3]دابرته: ولته دبرها و لم تقبل عليه.

[4]طرخان بفتح الطاء و المحدّثون يضمّونها و يكسرونها، و قد نبه على ذلك صاحب «القاموس» فقال: و لا تضمّ و لا تكسر و إن فعله المحدّثون؛ و هي كلمة خراسانية معناها «الرئيس الشريف» و جمعها «طراخنة» .

إني لأيأس منها ثم يطمعني # فيها احتقارك للدنيا و ما فيها

قال: فعملت فيه لحنا و غنيته به، فقال: ما هذا؟فأخبرته خبر أبي العتاهية، فقال: ننظر فيما سأل، فأخبرت أبا العتاهية، ثم مضى شهر فجاءني و قال: هل حدث خبر؟فقلت: لا، قال: فاذكرني للمهديّ، قلت: إن أحببت ذلك فقل شعرا تحرّكه و تذكّره وعده حتى أغنّيه به، فقال:

صوت

ليت شعري ما عندكم ليت شعري # فلقد أخّر الجواب لأمر

ما جواب أولى بكلّ جميل # من جواب يردّ من بعد شهر

قال يزيد: فغنّيت به المهديّ فقال: عليّ بعتبة فأحضرت، فقال: إنّ أبا العتاهية كلّمني فيك، فما تقولين، و لك و له عندي ما تحبّان مما لا تبلغه أمانيكما؟فقالت له: قد علم أمير المؤمنين ما أوجب اللّه عليّ من حقّ مولاتي، و أريد أن أذكر لها هذا، قال: فافعلي؛ قال: و أعلمت أبا/العتاهية، و مضت أيّام فسألني معاودة المهديّ، فقلت: قد عرفت الطريق فقل ما شئت حتى أغنّيه به، فقال:

صوت

أشربت قلبي من رجائك ما له # عنق يحبّ إليك بي و رسيم

و أملت نحو سماء جودك ناظري # أرعى مخايل برقها و أشيم

و لربّما استيأست ثم أقول لا # إنّ الذي وعد النجاح كريم

قال يزيد: فغنّيته المهديّ، فقال: عليّ بعتبة فجاءت، فقال: ما صنعت؟ فقالت: ذكرت ذلك لمولاتي فكرهته و أبته، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد، فقال: ما كنت لأفعل شيئا تكرهه، فأعلمت أبا العتاهية بذلك، فقال: قطّعت منك حبائل الآمال # و أرحت من حلّ و من ترحال

ما كان أشأم إذ رجاؤك قاتلي[1] # و بنات وعدك يعتلجن[2]ببالي

و لئن طمعت لربّ برقة خلّب # مالت بذي[3]طمع و لمعة آل

مغازلته لجارية:

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال يزيد حوراء: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش، فكانت تمرّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغناء، فقلت لها يوما: افهمي قولي و ردّي جوابي و كوني عند ظنّي، فقالت: هات ما عندك، فقلت: باللّه ما

[1]هكذا في جميع الأصول و «الديوان» ، و في كتاب «زهر الآداب» : «قادني» .

[2]كذا في حـ، و يعتلجن ببالي: يقعن و يخطرن، على المجاز من قولهم: اعتلج الموج إذا التطم. و في باقي الأصول: «يعتجلن» و هو تحريف.

[3]في كل الأصول: «مالت به طمع» ، و هو تحريف و التصويب عن «ديوان أبي العتاهية» و «كتاب زهر الآداب» .

اسمك؟فقالت: ممنّعة؛ فأطرقت طيرة[1]من اسمها مع طمعي فيها، فقلت: بل باذلة أو مبذولة إن شاء اللّه، فاسمعي منّي، فقالت و هي تتبسّم: إن كان عندك شيء فقل، فقلت: ليهنك[2]منّى أنني لست مفشيا # هواك إلى غيري و لو متّ من كرب

و لا مانحا خلقا سواك مودّتي # و لا قائلا ما عشت من حبّكم حسي

قال: فنظرت إليّ طويلا، ثم قالت: أنشدك اللّه، أ عن فرط محبّة أم اهتياج غلمة تكلّمت؟فقلت: لا و اللّه و لكن عن فرط محبّة، فقالت: فو اللّه ربّ الناس لا خنتك الهوى # و لا زلت مخصوص المحبّة من قلبي

فثق بي فإنّي قد وثقت و لا تكن # على غير ما أظهرت لي يا أخا الحبّ

قال: فو اللّه لكأنما أضرمت في قلبي نارا، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدّثني و أتفرّج[3] بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تكاتبني و تلاطفني دهرا طويلا.

صوت من المائة المختارة

يا ليلة جمعت لنا الأحبابا # لو شئت دام لنا النعيم و طابا

بتنا نسقاها شمولا قرقفا[4] # تدع الصحيح بعقله مرتابا

حمراء مثل دم الغزال و تارة # عند المزاج تخالها زريابا[5]

من كفّ جارية كأنّ بنانها # من فضّة قد قمّعت[6]عنّابا

/و كأنّ يمناها إذا نقرت بها # تلقي على الكفّ الشّمال حسابا

عروضه من الكامل. الشعر لعكّاشة العمّيّ، و الغناء لعبد الرحيم الدّقّاف، و لحنه المختار هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

[1]طيرة: شؤما.

[2]كذا في الأصول، و قد أنكر صاحب «اللسان» هذا الاستعمال فقال: و العرب تقول ليهنئك الفارس بجزم الهمزة و ليهنيك الفارس بياء ساكنة و لا يجوز «ليهنك» كما تقول العامة؛ و لكن السيد المرتضى ذكر أنه ورد في «صحيح البخاري» (انظر في مادة هنأ) .

[3]أتفرج بها: أصير بها ذا فرج نحو تأسف أي صار ذا أسف و تأهل أي صار ذا أهل، و لكنا لم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا لتفرّج معنى سوى تفرج مطاوع فرج في نحو قولهم: فرّج اللّه الكرب فتفرّج و انفرج.

[4]الشمول من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، و القرقف من أسمائها أيضا لأنها تقرقف شاربها أي ترعده.

[5]الزرياب: الذهب و قيل ماؤه، معرب «زر» أي ذهب و «آب» أي ماء.

[6]قمعت عنابا: جعلت له أقماع من عناب، و الأقماع: جمع قمع، و هو الغلاف الذي يكون على رأس التمرة أو البسرة، و العنّاب: شجر له حب كحب الزيتون و أجوده الأحمر الحلو؛ و يقال: قمعت المرأة بنانها بالحناء أي خضبت به أطرافها فصار لها كالأقماع، و أنشد ثعلب على هذا: لطمت ورد خدها ببنان # من لجين قمعن بالعقيان

30-أخبار عكّاشة العمّيّ و نسبه

أصل قومه بني العم مدفوع في العرب:

هو عكّاشة بن عبد الصّمد العمّيّ من أهل البصرة من بني العمّ. و أصل بني العمّ كالمدفوع، يقال: إنهم نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا و غزوا مع المسلمين و حسن بلاؤهم، فقال الناس: أنتم، و إن لم تكونوا من العرب، إخواننا و أهلنا و أنتم الأنصار و الإخوان و بنو العمّ، فلقّبوا بذلك و صاروا في جملة العرب.

هجا كعب بن معدان بني ناجية و شبههم ببني العم:

و قال بعض الشعراء-و هو كعب بن معدان-يهجو بني ناجية و يشبّههم ببني العمّ: وجدنا آل سامة في قريش # كمثل العمّ بين بني تميم

و يروى: «في سلفي تميم» .

أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير:

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة قال: لما تواقف[1]جرير و الفرزدق بالمربد للهجاء اقتتلت بنو يربوع و بنو مجاشع، فأمدّت بنو العمّ بني مجاشع و جاءوهم و في أيديهم الخشب فطردوا بني يربوع؛ فقال جرير: من هؤلاء؟قالوا: بنو العمّ، فقال جرير يهجوهم: ما للفرزدق من عزّ يلوذ به # إلاّ بني العمّ في أيديهم الخشب

سيروا بني العمّ فالأهواز[2]داركم # و نهر تيري[3]و لم تعرفكم العرب

/و عكّاشة شاعر مقلّ من شعراء الدولة العباسيّة، ليس ممّن شهر و شاع شعره في أيدي الناس و لا ممّن خدم الخلفاء و مدحهم.

ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم و شعره فيها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني سعيد بن حميد الكاتب البصريّ قال قال أبي: كان عكّاشة بن عبد الصّمد العمّيّ صديقا لي و إلفا، و كنّا نتعاشر و لا نكاد نفترق و لا يكتم أحدنا صاحبه شيئا، [1]تواقف: وقف أحدهما للآخر، قال في «اللسان» (مادة وقف) : و واقفه مواقفة و وقافا: وقف معه في حرب أو خصومة. و في الأصول: «توافق» .

[2]الأهواز: سبع كور بين البصرة و فارس، لكل كورة منها اسم و يجمعها الأهواز.

[3]نهر تيري (بكسر التاء و ياء ساكنة و راء مفتوحة مقصور) : بلد من نواحي الأهواز حفره أردشير الأصغر بن بابك و وهبه «لتيري» من ولد جودرز الوزير فسمى به، و له ذكر في أخبار الفتوح و الخوارج، (انظر «معجم ياقوت» في الكلام على نهر تيري) .

فرأيته في بعض أيّامه متغير الهيئة عمّا عهدته مقسّم القلب و الفكر غير آخذ ما كنّا فيه من الفكاهة و المزاح، فسألته عن حاله فكاتمنيها مليّا، ثم أخبرني أنه يهوى جارية لبعض الهشاميّين يقال لها نعيم، و أن مرامها عليه مستصعب لا يراها إلاّ من جناح لدارهم، تشرف عليه في الفيئة[1]بعد الفيئة فتكلّمه كلاما يسيرا ثم تذهب، فعاتبته على ذلك فلم يزدجر و تمادى في أمره، ثم جاءني يوما، فقال: قد وعدتني الزيارة لأنّ شكواي إليها طالت، فقلت له: فهل حقّقت لك الوعد على يوم بعينه؟قال: لا، إنما سألتها الزيارة فقالت: نعم أفعل، فقلت له: هذا و اللّه أعجب من سائر ما مضى، و أيّ شيء لك في هذا من الفائدة بلا تحصيل وعد!فقال لي: يا أخي، إنّ لي في قولها: «نعم» فرجا كبيرا، فقلت: أنت أقنع الناس؛ ثم جاءني بعد يومين و هو كاسف البال مهموم، فقلت له: ما لك؟فقال: مضيت إلى نعيم فتنجّزت وعدها، فقالت لي: إن لي صاحبة أستنصحها و أعلم أنها تشفق عليّ شفقة الأخت على أختها و الأمّ على ولدها و قد/نهتني عن ذلك، و قالت لي: إنّ في الرجال غدرا و مكرا، و لا آمن أن تفتضحي ثم لا تحصلي منه على شيء؛ و قد انقطعت عنّي ثم أنشدني لنفسه: /

علام حبل الصفاء منصرم # و فيم عنّي الصدود و الصّمم

يا من كنينا عن اسمه زمنا # نتبع مرضاته و يجترم[2]

قد عيل صبري و أنت لاهية # عنّي و قلبي عليك يضطرم

من جذّ حبل الوفاء سيّدتي # منك و من سامني له العدم

فكم أتاني واش يعيبكم # فقلت اخسأ لأنفك الرّغم

أنت الفدا و الحمى لمن عبت فار # جع صاغرا راغما لك الندم

صوت

يا ربّ خذ لي من الوشاة إذا # قاموا و قمنا إليك نختصم

دبّوا إليها يوسوسون لها # كي يستزلّوا حبيبتي زعموا

هيهات من ذاك ضلّ سعيهم # ما قلبها المستعار يقتسم

يا حاسدينا موتوا بغيظكم # حبلي متين بقولها نعم

باللّه لا تشمتي العداة بنا # كوني كقلبي فلست أتّهم

زارته نعيم و غنته ثم ذهبت فقال شعرا في ذلك:

-الغناء في هذه الأبيات لعريب رمل. و قيل: إنه لغيرها-قال: ثم طال ترداده إليها و استصلاحه لها، فلم ألبث أن جاءتني رقعته في يوم خميس يعلمني أنها قد حصلت عنده و يستدعيني فحضرت، و توارت عنّي ساعة و هو يخبرها أنّه لا فرق بيني و بينه و لا يحتشمني في حل البتّة إلى أن خرجت، فاجتمعنا و شربنا و غنّت غناء حسنا إلى وقت العصر ثم انصرفت، و أخذ دواة و رقعة فكتب فيها: [1]الفيئة: الحين، و في بعض الأصول «العينة» و لعلها محرفة عن «الفينة» و هي بمعنى الفيئة.

[2]في الأصول: «و نجترم» بالنون و السياق يأباها.

/

سقيا لمجلسنا الذي كنّا به # يوم الخميس جماعة أترابا

في غرفة مطرت سماوة[1]سقفها # بحيا النعيم من الكروم شرابا

إذ نحن نسقاها شمولا قرقفا # تدع الصحيح بعقله مرتابا

حمراء مثل دم الغزال و تارة # بعد المزاج تخالها زريابا

من كفّ جارية كأنّ بنانها # من فضّة قد قمّعت عنّابا

تزداد حسنا كأسها من كفّها # و يطيب منها نشرها أحقابا

و إذا المزاج علا فشجّ جبينها # نفثت[2]بألسنة المزاج حبابا

و تخال ما جمعت فأحدق سمطه # بالطّوق ريق حبائب و رضابا

كفت المناصف[3]أن تذبّ أكفّها # عنها إذا جعلت تفوح ذبابا

و العود متّبع غناء خريدة # غردا يقول كما تقول صوابا

و كأنّ يمناها إذا نطقت به # تلقي على يدها الشّمال حسابا

فهناك خفّ[4]بنا النعيم و صار من # دون الثقيل لنا عليه حجابا

اليت لا ألحي على طلب الهوى # متلذّذا حتى أكون ترابا/

اشترى نعيم بغداديّ و سافر بها فأسف و قال شعرا:

قال: ثم قدم قادم من أهل بغداد فاشترى نعيم هذه من مولاتها و رحل إلى بغداد، فعظم أسف عكّاشة و حزنه عليها و استهيم بها طول عمره، فاستحالت صورته و طبعه و خلقه إلى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثر وكده[5]و شغله أن يقول فيها الشعر و ينوح به عليها و يبكي؛ قال حميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك: /

ألا ليت شعري هل يعودنّ ما مضى # و هل راجع ما مات من صلة الحبل

و هل أجلسن في مثل مجلسنا الذي # نعمنا به يوم السعادة بالوصل

عشيّة صبّت لذّة الوصل ظيبها # علينا و أفنان الجنان جنى البذل

و قد دار ساقينا بكأس رويّة # ترحّل أحزان الكئيب مع العقل

و شجّ شمولا بالمزاج فطيّرت # كألسنة الحيّات خافت من القتل

فبتنا و عين الكأس سحّ دموعها # لكلّ فتى يهتزّ للمجد كالنّصل

[1]السماوة: السماء و هي كل ما علاك فأظلك.

[2]في أكثر النسخ: «نفشت» و في بعضها: «نقشت» و ظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه.

[3]المناصف: جمع منصف (بكسر الميم و قد تفتح، و الأنثى منصفة) و هو الخادم.

[4]في حـ: «حف» بالحاء المهملة.

[5]الوكد: الهم و القصد.

و قينتنا كالظبي تسمح بالهوى # و بثّ تباريح الفؤاد على رسل[1]
إذا ما حكت بالعود رجع لسانها # رأيت لسان العود من كفّها يملي
فلم أر كاللّذّات أمطرت الهوى # و لا مثل يومي ذاك صادفه مثلي

و مما قاله فيها:

أ نعيم حبّك سلّني و بلاني # و إلى الأمرّ من الأمور دعاني
أ نعيم لو تجدين وجدي و الذي # ألقى بكيت من الذي أبكاني
أ نعيم سيّدتي عليك تقطّعت # نفسي من الحسرات و الأحزان
أ نعيم قد رحم الهوى قلبي و قد # بكت الثياب أسى على جثماني
أ نعيم و انحدرت مدامع مقلتي # حتّى رحمت لرحمتي إخواني
أ نعيم مثّلك الهيام لمقلتي # فكأنّني ألقاك كلّ مكان
أ نعيم نظرة سحر عينك بالهوى # معروفة بالقتل في إنسان
أ نعيم[2]اشفي أو دعي من داؤه # و دواؤه بيديك مقترنان
هذا و كم من مجلس لي مؤنق # بين النعيم و بين عيش داني
نازعته أردانه فلبستها # مع ظبية في عيشنا الفينان
/تنسي الحليم من الرجال معاده # بين الغناء و عودها الحنّان
حتى يعود كأنّ حبّة قلبه # مشدودة بمثالث[3]و مثاني
ظلّت تغنّيني و تعطف كفّها # بالعود بين الرّاح و الرّيحان
فسمعت ما أبكى و أضحك سامعا # و سكرت من طرب و من أشجان
و مشيت في لجج الهوى متبخترا # و مشى إليّ اللهو في الألوان
فعلمت أن قد عاد قلبي عائد # من بين عود مطرب و بنان

/و مما قاله أيضا فيها:

نعيم هل بكيت كما بكيت # و هل بعدي وفيت كما وفيت
ألا يا ليت شعري كيف بعدي اصـ # طبارك[4]إذ نأيت و إذ نأيت
فكم من عبرة ذرفت فلمّا # خشيت عيون أهلي و استحيت

[1]الرسل (بالكسر) : التؤدة و الرفق.

[2]التنوين هنا لضرورة الشعر.

[3]المثالث: جمع مثلث و هو ما كان على ثلاث قوى من الأوتار، و قيل هو الثالث منها، و المثاني: جمع مثنى و هو ما بعد الأول من أوتار العود.

[4]في ب، س: «كيف بعدي و صبرك... » .

نهضت بها مكاتمة فلمّا # خلوت ذرفتها حتّى اشتفيت

و قلت لصحبتي لمّا رماني # هواك بدائه حتى انطويت

أراني من هموم النفس ميتا # و لم أر في نعيم ما نويت

فليت الموت عجّل قبض روحي # جهارا فاسترحت و أين ليت

و قال أيضا في فراقه إيّاها:

أ نعيم في قلبي عليك شرار # و على الفؤاد من الصّبابة نار

و على الجفون غشاوة و على الهوى # داع دعته لحيني الأقدار

بمضلّة لبّ الحليم إذا رمت # بالمقلتين كأنها سحّار

طالبتها حولين لا ليلي بها # ليل و لا هذا النهار نهار

/حتى إذا ظفرت يداي بكاعب # كالشمس تقصر دونها الأبصار

و ثلجت صدرا بالفتاة و صارتا # كالنفس نفسانا و قرّ قرار

بلغ الشقاء أشدّ ما يسطيعه # فينا و فرّق بيننا المقدار

و مما يغنّي فيه من شعر عكّاشة الذي قاله في هذه الجارية:

صوت

لهفي على الزمن الذي # ولّى ببهجته القصير

قد كان يؤنقني الهوى # و يقرّ عيني بالسرور

إذ نحن خلاّن الهوى # ريحاننا عبق العبير

و غناؤنا وصف الهوى # نلتذّ بالحبّ اليسير

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم و لم يذكر طريقته. و فيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف رمل. و تمام هذه الأبيات:

وجه التواصل بيننا # في الحسن كالقمر المنير

إيماؤنا يحكي الكلى # م و سرّنا فطن المشير

و حديثنا بحواجب # نطقت بألسنة الضّمير

بل رسلنا الكتب التي # تجري بخافية الصّدور

أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حدّه:

حدّثني الحسن بن عليل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا أبو مسلم عن المدائنيّ قال: أنشد عكّاشة بن عبد الصّمد المهديّ قوله

في الخمر:

حمراء مثل دم الغزال و تارة # عند[1]المزاج تخالها زريابا

/فقال له المهديّ: لقد أحسنت في وصفها إحسان من قد شربها، و لقد استحققت بذلك الحدّ، فقال: أ يؤمنني أمير المؤمنين حتّى أتكلّم بحجّتي؟ قال: قد أمّنتك، قال: و ما يدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت و أجدت صفتها إن كنت لا تعرفها؟فقال له المهديّ: أعزب قبّحك اللّه.

سمع له مثل ذلك مع الهادي:

قال الحسن و أخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد[2]الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله: كأنّ فضول الكأس من زبداتها[3] # خلاخل شدّت بالجمان إلى حجل[4]

فقال له موسى: و اللّه لأجلدنّك حدّ الخمر، قال: و لم يا أمير المؤمنين!إنّما نقول و لا نفعل، فقال: كذبت، قد وصفتها صفة عالم بها، قال: فاجعل لي الأمان حتّى أتكلّم بحجّتي، قال: تكلّم و أنت آمن، قال: أجدت وصفها أم لم أجد؟قال: بلى قد أجدت، قال: و ما يدريك أني أجدت إن كنت لا تعرفها!إن كنت وصفتها بطبعي دون امتحاني فقد شركتني في ذلك بطبعك، و إن كان وصفها لا يعلم إلا بالتجربة فقد شركتني أيضا فيها؛ فضحك موسى و قال له: قد نجوت بحيلتك منّي، قاتلك اللّه فما أدهاك!.

ما غنى فيه من شعره:

و مما وجدت فيه غناء من شعر عكّاشة قوله:

و جاءوا إليه بالتّعاويذ[5]و الرّقى # و صبّوا عليه الماء من شدّة النّكس[6]

و قالوا به من أعين الجنّ نظرة # و لو صدقوا قالوا به أعين الإنس

الغناء لعريب. و منها:

طرفي يذوب و ماء طرفك جامد # و عليّ من سيما هواك شواهد

هذا هواك قسمته بين الورى # و منحتني أرقا و طرفك راقد

فعليّ منه اليوم تسعة أسهم # و على جميع النّاس سهم واحد

الغناء لجحظة. و منها:

[1]الرواية فيما سبق ص 260: «بعد» .

[2]كذا في ء، م ء أ و هو الموافق لما تقدّم في ص 305 ج 1 «أغاني» من هذه الطبعة، و في باقي الأصول: «سعد» .

[3]الزبدات: جمع زبدة و هي الطائفة من الزبد الذي هو طفاوة الماء و الجرة و اللعاب و نحوها.

[4]الجمان: اللؤلؤ أو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ، و الحجل (بالفتح و الكسر) : الخلخال.

[5]التعاويذ: جمع تعويذة و هو ما يرقى به من فزع أو جنون و نحوه، و يقال على ما يكتب و يعلق على الإنسان للحفظ من العين و نحوها من الآفات فيما يزعمون، و تسمى المعاذات، و قد ورد في الحديث النهي عن تعليقها.

[6]النكس: العود في المرض، يقال: نكس المريض إذا عاودته العلة بعد النقه، و يقال: تعسا له و نكسا بضم النون، و قد تفتح ازدواجا.

185

غاد[1]الهوى بالكأس بردا # و أطع إمارة من تبدّى[2] و منها: كما اشتهت خلقت حتّى إذا اعتدلت # تمّت قواما فلا طول و لا قصر

و منها:

و زعفرانيّة في اللّون تحسبها # إذا تأمّلتها في جسم كافور

تخال أنّ سقيط الطّلّ بينهما # دمع تحيّر في أجفان مهجور

[1]كذا في أ، م، ء، و هو فعل أمر من «غادي» بمعنى باكر. و في باقي الأصول «عاد» بالعين المهملة.

[2]كذا بالأصول، و لعلها «تندّى» بمعنى تفضّل و تسخّى، يقال: «هو يتندى على إخوانه» أي يتفضل و يجود عليهم.

31-أخبار عبد الرحيم الدفاف و نسبه

نسبه و الخلاف في اسم أبيه:

عبد الرّحيم بن الفضل الكوفيّ، و يكنى أبا القاسم، و قيل: هو عبد الرحيم بن سعد، و قيل: عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد، مولى لآل الأشعث بن قيس، و قيل: بل هو مولى خزاعة.

سمعه حماد الراوية يغني:

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ حمّادا الراوية حدّثه قال: رأيت عبد الرّحيم الدفّاف أيّام هارون الرشيد[1]بالرّقّة و قد ظهرت[2]، فحضرني و سمعته يغنّي يومئذ صوتا سئل عنه فذكر أنّه من صنعته، و هو: فديتك لو تدرين كيف أحبّكم # و كيف إذا ما غبت عنك أقول

كان منقطعا إلى عليّ بن المهديّ:

و كان عبد الرحيم منقطعا إلى عليّ بن المهديّ المعروف بأمّه ريطة بنت أبي العبّاس.

غنى في شعر عرّض فيه بالرشيد فجلده:

/فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني عبد الصّمد بن المعذّل قال: غنّت جارية يوما بحضرة الرشيد:

قل لعليّ أيا فتى العرب # و خير نام و خير مكتسب

أعلاك جدّاك يا عليّ إذا # قصّر جدّ عن ذروة الحسب

/فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيّدي ما ذنبي!هذا صوت علّمته، و اللّه ما أدري من قاله و لا فيمن قيل؛ فعلم أنّها صدقت، فقال لها: عمّن أخذته؟ فقالت: عن عبد الرحيم الدّفّاف، فأمر بإحضاره فأحضر، فقال له: يا عاضّ بظر أمه، أ تغنّي في شعر تفاخر فيه بيني و بين أخي!جرّدوه، فجرّدوه، و دعا له بالسياط، فضرب بين يديه خمسمائة سوط.

غنى لعليّ بن المهدي فأجازه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد عن القطرانيّ عن محمد بن جبر قال: [1]كذا في جميع الأصول، و المعروف أن حمادا الراوية لم يبق إلى أيام هارون الرشيد، فإن حمادا توفي في خلافة المنصور سنة 155 هـ. و قيل توفي في خلافة المهدي التي تنتهي بسنة 169 هـ، و على كلتا الروايتين تكون وفاة حماد قبل خلافة الرشيد التي تبتدئ بسنة 170 هـ.

[2]يشير حماد بقوله: «و قد ظهرت» إلى أنه كان مطّرحا مجفوّا حتى اختفى في أيام العباسيين بسبب تقدمه و إيثاره عند ملوك بني أمية و منادمته لهم كما جاء في ترجمته في الجزء الخامس من «الأغاني» طبعة بولاق.

قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدفّاف: دخلت على عليّ بن ريطة يوما و ستارته منصوبة، فغنّت جاريته: أناس أمنّاهم فنموا حديثنا # فلما كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا

فقلت: أ رأيت إن غنّيتك هذا الصوت و في تمامه زيادة بيت واحد، أيّ شيء لي عليك؟قال: خلعتي التي عليّ، فغنّيته: فلم يحفظوا الودّ الذي كان بيننا # و لا حين همّوا بالقطيعة أجملوا[1]

قال: فنزع خلعته فخلعها عليّ، و أقمت عنده بقيّة يومي على عربدة كانت فيه.

الشعر لعباس بن الأحنف، و الغناء لعبد الرحيم الدّفّاف هزج بالبنصر. و هذا أخذه العبّاس من قول أبي دهبل:

صوت

أمنّا أناسا كنت تأتمنينهم # فزادوا علينا في الحديث و أوهموا

و قالوا لها ما لم نقل ثمّ أكثروا # عليّ و باحوا بالذي كنت أكتم

/و في هذين البيتين أغانيّ قديمة: منها لحن لابن سريج رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و لابن زرزور[2]الطائفيّ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. و فيه خفيف رمل بالبنصر و الوسطى لمتيّم و عريب.

صوت من المائة المختارة

بكرت سميّة غدوة فتمتّعي # و غدت غدوّ مفارق لم يربع

و تعرّضت لك فاستبتك بواضح # صلت كمنتصّ الغزال الأتلع

عروضه من الكامل. و الشعر للحادرة الثّعلبيّ، و الغناء في اللحن المختار لسعيد بن مسجح، و إيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجزى البنصر عن إسحاق، و ذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز. و فيهما للغريض ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو و فيهما خفيف رمل بالوسطى لابن سريج عن حبش.

و مما يغنّى فيه من هذه القصيدة:

أ سميّ ما يدريك كم من فتية # بادرت[3]لذّتهم بأدكن مترع

/بكروا عليّ بسحرة فصبحتهم # من عاتق كدم الذبيح مشعشع

غنّاه مالك، و لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. و فيه لمالك خفيف ثقيل آخر أيضا. و فيهما لعلّويه ثقيل أوّل صحيح من جيّد صنعته. قوله: فتمتّعي يخاطب نفسه، أي تمتّعي منها قبل فراقها. و لم يربع: لم يقم.

و الواضح الصّلت: /يعني عنقها، و أصل الصلت: الماضي، و منه الناقة المصلات: الماضية، و شدّ عليه بالسيف [1]في جميع الأصول «أجمل» بدون ضمير الجماعة و الصواب ما أثبتناه.

[2]هكذا ورد في جميع الأصول، و قد تقدّم في ص 259 ج 1 «أغاني» من هذه الطبعة اختلاف النسخ فيه و وروده في بعضها «زرزر» بغير واو.

[3]بادرت: عاجلت. و في ب، س، حـ: «باكرت» .

صلتا أي خارجا من غمده. و الصلت في هذا الشعر: الطويل الذي لا قصر فيه. و المنتصّ: المنتصب، يقال: انتصّ فلان أي انتصب، و منصّة العروس مأخوذة من هذا، و منه نصّ الحديث: رفعه إلى صاحبه. و استبتك: غلبتك على عقلك. و الواضح: الخالص الأبيض. و أدكن مترع يعني الزّقّ. و المشعشع: المرقرق بالماء.

32-أخبار الحادرة و نسبه

نسب الحادرة و سبب لقبه بذلك:

الحادرة لقب غلب عليه، و الحويدرة أيضا؛ و اسمه قطبة بن أوس بن محصن بن جرول بن حبيب بن عبد العزّي بن خزيمة بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد[1]بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان[2]بن مضر بن نزار، شاعر جاهليّ مقلّ. أخبرني بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن قريب ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه. قال: و إنما سمّي الحادرة بقول زبّان[3]بن سيّار الفزاريّ له: كأنك حادرة المنكبيـ # ن رصعاء تنقض في حائر[4]

عجوز ضفادع محجوبة[5] # يطيف بها ولدة الحاضر[6]

قال: و الحادرة: الضخم.

و ذكر أبو عمرو الشّيبانيّ أن الحادرة خرج هو و زبّان الفزاريّ يصطادان فاصطادا جميعا، فخرج زبّان يشتوي و يأكل في اللّيل وحده؛ فقال الحادرة: تركت رفيق رحلك قد تراه # و أنت لفيك في الظّلماء هادي

/فحقدها عليه زبّان، ثم أتيا غديرا فتجرّد الحادرة، و كان ضخم المنكبين أرسح، فقال زبّان: كأنك حادرة المنكبيـ # ن رصعاء تنقض في حائر

فقال له الحادرة:

لحا اللّه زبّان من شاعر # أخي خنعة[7]فاجر غادر

كأنك فقّاحة[8]نوّرت # مع الصبح في طرف الحائر

[1]يتصل في سعد هذا نسب الحادرة بنسب ابن ميادة الذي وردت ترجمته في الجزء الثاني من هذه الطبعة صفحة 261، و بمراجعة النسبين تجد أن بعض الأسماء سقط من نسب الحادرة هنا.

[2]في م: «قيس عيلان» بسقوط كلمة «ابن» و كلاهما وارد.

[3]ذكر صاحب «شرح القاموس» في مادة «زبب» أنه قد يكون مشتقا من «زبن» فيصرف أو من «زبب» فيمنع من الصرف. و كذلك ذكر

ابن دريد في كتاب «الاشتقاق» (ص 126 طبع أوروبا) .

[4]حادرة المنكبين: ممتلئتهما. و الرصعاء: الرسحاء و هي خفيفة لحم العجيزة و الفخذين. و تنقض: تنقّ، يقال: أنقضت الضفدع تنقض إنقاضا إذا صوّتت، (انظر «شرح ابن الأنباري للمفضليات» ص 50) . و الحائر: مجتمع الماء.

[5]كذا في الأصول، و في «المفضليات» ص 49 طبع بيروت «قد حدرت» .

[6]الحاضر: المقيم على الماء، و يقال: حي حاضر إذا كانوا نازلين على ماء عدّ.

[7]الخنعة: الريبة و الفجرة.

[8]الفقاحة: واحدة الفقاح، و فقاح كل نبت زهره حين يتفتح على أيّ لون كان.

فغلب هذا اللقب على الحادرة.

كان حسان بن ثابت معجبا بقصيدته

بكرت سمية

:

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال سمعت شيخا من بني كنانة من أهل المدينة يقول: كان حسّان بن ثابت إذا قيل له: تنوشدت الأشعار في موضع كذا و كذا يقول: فهل أنشدت كلمة الحويدرة: بكرت سميّة غدوة فتمتّعي

قال أبو عبيدة: و هي من مختار الشعر، أصمعيّة مفضّليّة.

سبب الهجو بينه و بين زيّان بن سيّار:

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضّل قال: كان الحادرة جارا لرجل من بني سليم، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها إلى رجل من أهل وادي القرى يهوديّ، و كان له عليه دين فأعطاه إيّاها بدينه، و كان أهل وادي القرى حلفاء لبني ثعلبة؛ فلما سمع اليهوديّ بذلك قال: سيجعل الحادرة هذا سببا لنقض العهد الذي بيننا و بينه، و نحن نقرأ الكتاب/و لا ينبغي لنا أن نغدر، فردّ الإبل على الحادرة فردّها على جاره، و رجع إلى زبّان فقال له: أعطني مالي الذي عليك، فأعطاه إياه زبّان، و وقع الهجاء بينه و بين الحادرة؛ فقال الحادرة فيه: لعمرة بين الأخرمين[1]طلول # تقادم منها مشهر[2]و محيل

وقفت بها حتى تعالى لي الضّحى # لأخبر عنها إنّني لسئول

يقول فيها:

فإن تحسبوها بالحجاب ذليلة # فما أنا يوما إن ركبت ذليل

سأمنعها في عصبة ثعلبيّة # لهم عدد واف و عزّ أصيل[3]

فإن شئتم عدنا صديقا و عدتم # و إمّا أبيتم فالمقام زحول[4]

قال: و لجّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه.

غزوة بني عامر و ما قاله الحادرة فيها من الشعر:

و نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ يذكر عن أبيه: [1]الأخرمان: مثنى أخرم و هو اسم لعدّة مواضع: منها جبل في ديار بني سليم و جبل قبل توز بأربعة أميال من أرض نجد و جبل في طرف الدهناء، و هو يأتي في الشعر بالإفراد بالتثنية، قال المسيّب بن علس: ترعى بأرض الأخرمين له # فيها موارد ماؤها غدق

[2]أي مرت عليه شهور و أحوال فغيرته. و في ب، س: «مسهر» بالسين المهملة و هو تحريف.

[3]وقع في هذا البيت الاعتماد و هو عدم حذف الخامس من فعولن التي قبل القافية. انظر الحاشية رقم 2 ص 67 من هذا الجزء.

[4]زحول: بعيد. ـ

أن جيشا لبني عامر بن صعصعة أقبل و عليهم ثلاثة رؤساء: ذؤاب بن غالب من عقيل ثم من بني كعب بن ربيعة، و عبد اللّه بن عمرو من بني الصّموت، و عقيل بن مالك من بني نمير[1]، و هم يريدون غزو بني ثعلبة بن سعد رهط الحادرة/و من معهم من محارب، و كانوا يومئذ معهم، فنذرت[2]بهم بنو ثعلبة، فركب قيس بن مالك المحاربيّ الخصفيّ و جؤيّة بن نصر الجرميّ أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم، فلما دنوا منهم عرف عقيل بن مالك النميريّ[3]جؤيّة بن نصر الجرميّ، فناداه: إليّ يا جؤيّة بن نصر فإنّ لي خبرا أسرّه إليك؛ فقال: إليك أقبلت لكن لغير ما ظننت، فقال له: ما فعلت قلوص؟-يعني امرأته-؛ فقال: هي في الظّعن أسرّ ما كانت قطّ و أجمله؛ ثم حمل كلّ واحد منهما على صاحبه و اختلفا طعنتين[4]فطعنه جؤيّة طعنة دقّت صلبه، و انطلق قيس بن مالك المحاربيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فهزمت بنو نمير و سائر بني عامر و مات عقيل النّميري و قتل ذؤاب بن غالب و عبد اللّه بن عمرو أحد بني الصّموت؛ فقال الحادرة في ذلك: كأنّ عقيلا في الضّحى حلّقت به # و طارت به في الجوّ عنقاء مغرب[5]

و يروى: «و طارت به في اللّوح» ، و هو الهواء.

و ذي كرم يدعوكم آل عامر # لدى معرك سربال ه يتصبّب

رأت عامر وقع السيوف فأسلموا # أخاهم و لم يعطف من الخيل مرهب

و سلّم لمّا أن رأى الموت عامر # له مركب فوق الأسنّة أحدب

/إذا ما أظلّته عوالي رماحنا # تدلّى به نهد[6]الجزارة منهب[7]

على صلويه[8]مرهفات كأنها # قوادم نسر برّ عنهنّ منكب

قال: و في هذه الوقعة يقول خداش بن زهير:

أيا أخوينا من أبينا و أمّنا # إليكم إليكم لا سبيل إلى جسر

/جسر: قبيلة من محارب. قال: و هذا اليوم يعرف بيوم شواحط، قبيلة من محارب[9].

[1]كذا في نسخة الشيخ الشنقيطي طبع بولاق مصححة بقلمه، و يؤيده ما يأتي في سياق الخبر من نسبة عقيل إلى بني نمير و لأن الظاهر من الخبر أن الرؤساء الثلاثة من بني عامر بن صعصعة، و نمير من بني عامر بن

صعصعة ككعب بن ربيعة، و عامر بن صعصعة من قبائل قيس، و لا صلة لها بتميم. و في جميع الأصول: «تميم» .

[2]نذر بالشيء (كفرح) : علمه.

[3]في ب، س، م: «النمريّ» و هو تحريف.

[4]أي اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين في إثر الأخرى.

[5]يقال: عنقاء مغرب على النعت و عنقاء مغرب على الإضافة. و العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم؛ و العرب إذا أخبرت عن هلاك شيء قالت: حلّقت به في الجوّ عنقاء مغرب.

[6]نهد الجزارة: ضخمها، و الجزارة في الأصل: أطراف الجزور و هي اليدان و الرجلان و الرأس؛ و المراد هنا أطراف فرس، و إذا قالوا: «فرس ضخم الجزارة» فإنما يراد غلظ اليدين و الرجلين و كثرة عصبها، و لا يدخل الرأس في هذا لأن عظم الرأس هجنة في الخيل.

[7]المنهب: الفرس الفائق في العدو.

[8]الصلا: وسط الظهر من الناس و من كل ذي أربع و ما انحدر من الوركين، و قيل: الفرجة بين الجاعرة و الذنب، و قيل: ما عن يمين الذئب و شماله، و هما «صلوان» و الجمع: صلوات و أصلاء.

[9]هذه الكلمة (قبيلة من محارب) وردت هكذا في جميع الأصول، و الظاهر أنها من زيادات النساخ لأن شواحطا جبل مشهور بين مكة و المدينة و هو الجبل الذي أغارت به سرية من بني عامر على إبل لبني محارب (انظر «معجم ياقوت» و «معجم ما استعجم» للبكري

يوم الكفافة و ما قاله الحادرة فيه من الشعر:

و قال أبو عمرو: خرج خارجة بن حصن في جمع من بني فزارة و من بني ثعلبة بن سعد و هو يريد غزو بني عبس بن بغيض، فلقوا جيشا لبني تميم على ماء يقال له «الكفافة» و تميم في جمع سعد و الرّباب و بني عمرو، فقاتلوهم قتالا شديدا و هزمت تميم و أجفلت، و هذا اليوم يقال له: «يوم كفافة» ، فقال الحادرة في ذلك: و نحن منعنا من تميم و قد طغت # مراعي الملا حتى تضمّنها نجد

كمعطفنا يوم الكفافة[1]خيلنا # لتتبع أخرى الجيش إذ بلغ الجدّ

/على حين شالت[2]و استخفّت رجالهم # جلائب[3]أحياء يسيل بها الشدّ

إذا هي شكّ السّمهريّ نحورها # و خامت[4]عن الأبطال أتعبها القدّ[5]

تكرّ سراعا في المضيق عليهم # و تثنى بطاء ما تخبّ و لا تعدو

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم # بإحساننا إن الثناء هو الخلد

() في اسم «شواحط») .

[1]كفافة (بضم الكاف) : اسم ماء صارت به وقعة بين فزارة و بني عمرو بن تميم كما تقدّم، و قد استشهد عليه ياقوت بهذا البيت هكذا: كمحبسنا يوم الكفافة خيلنا # لنورد أخرى الخيل إذ كره الورد

[2]شالت: رفعت ذنبها.

[3]كذا في أ، م، ء. و في سائر النسخ: «حلائب» بالحاء و هو تحريف.

[4]خامت: نكصت و جبنت.

[5]القدّ: سير يقدّ من جلد يقيّد به.

33-أخبار ابن مسجح و نسبه

ولاؤه، و هو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس:

سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جمح، و قيل: إنه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب. مكيّ أسود، مغنّ متقدّم من فحول المغنّين و أكابرهم، و أوّل من صنع الغناء منهم، و نقل غناء الفرس إلى غناء العرب، ثم رحل إلى الشأم و أخذ ألحان الروم و البربطيّة[1]و الأسطوخوسيّة ، و انقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثيرا و تعلّم الضرب، ثم قدم إلى الحجاز و قد أخذ محاسن تلك النّغم، و ألقى منها ما استقبحه من النّبرات و النغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس و الروم خارجة عن غناء العرب، و غنّى على هذا المذهب، فكان أوّل من أثبت ذلك و لحنّه و تبعه الناس بعد.

علّم ابن سريج و الغريض الغناء:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، و الحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن هشام بن المرّيّة: أنّ أوّل من غنّى هذا الغناء العربيّ بمكّة ابن مسجح مولى بني مخزوم، و ذلك أنه مرّ بالفرس و هم يبنون المسجد الحرام، /فسمع غناءهم بالفارسيّة فقلبه في شعر عربيّ؛ و هو الذي علّم ابن سريج و الغريض، و كان ابن مسجح مولّدا أسود يكنى بأبي عيسى.

احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير و بناؤه لها:

أخبرني محمد بن عبيد اللّه بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد[2]بن الحارث الخرّاز[3]عن المدائنيّ، و ذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال:

كان سبب بناء ابن الزّبير الكعبة لما احترقت، أنّ أهل الشأم لما حاصروه سمع أصواتا بالليل فوق الجبل [1]كذا في الأصول. و قد رأى الأب أنستاس ماري الكرملي أن تكون هذه الكلمة محرفة عن «البزنطية» (بضم الباء الموحدة و فتح الزاي يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشدّدة و في الآخر هاء) : نسبة إلى بزنطية و هي مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى، و يراد بالبزنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير إلى سقوط القسطنطينية بيد الترك.

ثم قال: و أما الأسطوخوسية فيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، و هي جزيرة في جنوبيّ فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف و

الغناء و الأنس، كما هم عليه إلى هذا العهد، و كان سكانها خليطا من الروم و اليونانيين و القلطيّين و بقايا الفلسطينيين.

(انظر المجلد الثاني من «مجلة الزهراء» ص 358-361) .

[2]في جميع الأصول: «محمد» ، و قد تقدّم في مواضع متعدّدة أنّ الذي يروى عن المدائنيّ هو أحمد بن الحارث الخرّاز و هو صاحبه و راويته.

[3]تقدم فيما كتبناه عن هذا الاسم في (ص 171 ج 2 حاشية رقم 2) أنه الخزاز بزايين معجمتين، اعتمادا على وروده كذلك في «فهرست ابن النديم» . و قد ذكره الذهبي في «المشتبه في أسماء الرجال» (ص 98) الخراز بالراء المهملة و آخره زاي نسبة إلى خرز الحلود، و كذلك ذكره السمعاني في «الأنساب» (ورقة 191 في الوجه الثاني) و ذكر كلاهما أنه راوية المدائني، و ذكره شارح «القاموس» في مادة خرز و سماه خطأ أحمد بن خلف.

فخاف أن يكون أهل الشأم قد وصلوا إليه، و كانت ليلة ظلماء ذات ريح شديدة صعبة و رعد و برق، فرفع نارا على رأس رمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها و استطالت فيها، و جهد الناس في إطفائها فلم يقدروا، و أصبحت الكعبة تتهافت[1]و ماتت امرأة من قريش، فخرج الناس كلّهم في جنازتها خوفا من أن ينزل العذاب عليهم، و أصبح ابن الزّبير ساجدا يدعو و يقول: اللهم إني لم أتعمّد ما جرى فلا تهلك عبادك بذنبي و هذه ناصيتي بين يديك؛ فلمّا تعالى النهار أمن و تراجع/ الناس، فقال لهم: اللّه اللّه أن ينهدم في بيت أحدكم حجر فيزول عن موضعه فيبنيه و يصلحه و أترك الكعبة خرابا؛ ثم هدمها مبتدئا بيده و تبعه الفعلة حتى بلغوا إلى قواعدها، و دعا ببنّائين من الفرس و الروم فبناها.

نقل غناء الفرس من بنّائي الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير:

قال إسحاق: و أخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال:

كان سعيد بن مسجح أسود مولّدا يكنى أبا عيسى مولى لبني جمح، فرأى الفرس و هم يعملون الكعبة لابن الزّبير و يتغنّون بالفارسيّة فاشتقّ غناءه على ذلك.

/قال إسحاق: و حدّثني محمد بن سلاّم عن شعيب بن صخر و جرير قالا: كان سعيد بن مسجح أسود و هو مولى بني جمح يكنى أبا عيسى.

كان ولاؤه هو و ابن سريج لرجل واحد:

قال إسحاق: و حدّثني المدائني عن صخر بن جعفر عن أبي قبيل بمثل ذلك، و ذكر أنه كان يكنى أبا عثمان.

قال: و هو مولى لبني نوفل بن الحارث كان هو و ابن سريج لرجل واحد، و لذلك قبل عنه ابن سريج.

ابن مسجح في حداثته:

قال إسحاق: و حدّثني الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قبيل من كنيته و ولائه، و قال: كان ابن مسجح فطنا كيّسا ذكيّا، و كان أصفر حسن اللون، و كان مولاه معجبا به، و كان يقول في صغره: ليكوننّ لهذا الغلام شأن، و ما منعني من عتقه إلا حسن فراستي فيه، و لئن عشت لأتعرّفنّ ذلك، و إن متّ فهو حرّ، فسمعه مولاه يوما و هو يتغنّى بشعر ابن الرّقاع العامليّ، و هو من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى:

صوت

ألمم على طلل عفا متقادم # بين اللّكيك[2]و بين غيب الناعم[3]

[1]أي لتساقط حجرا حجرا.

[2]اللكيك كأمير و يقال له اللكاك، رواه ابن جبلة «اللكاك» كغراب، و ضبطه الصاغانيّ بالكسر ككتاب و قال: هو موضع في ديار بني عامر، و قال غيره: بحزن بني يربوع؛ انظر «شرح القاموس» ، و قد ضبطه ياقوت في «معجم البلدان» بالكسر ككتاب و لم يذكر اللكيك.

[3]غيب الناعم: موضع قال عنه ياقوت: إنه ورد في قول عديّ بن الرقاع و ذكر البيت هكذا: ألمم على طلل عفا متقادم # بين الذؤيب و بين غيب الناعم

لو لا الحياء و أنّ رأسي قد عثا[1] # فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

/فدعا به مولاه فقال له: يا بنيّ أعد ما سمعته منك عليّ، فأعاده فإذا هو أحسن مما ابتدأ به، فقال: إن هذا لمن بعض ما كنت أقول، ثم قال: أنّى لك هذا؟قال: سمعت هذه الأعاجم تتغنّى بالفارسيّة فثقفتها[2]و قلبتها في هذا الشعر، قال له: فأنت حرّ لوجه اللّه، فلزم مولاه و كثر أدبه و اتسع في غنائه و مهر بمكّة و أعجبوا به لظرفه و حسن ما سمعوه منه، فدفع إليه مولاه عبيد بن سريج، و قال له: يا بنيّ علّمه و اجتهد فيه؛ و كان ابن سريج أحسن الناس صوتا، فتعلّم منه ثم برّز عليه حتى لم يعرف له نظير.

غناء نافع الخير عند رجل من قريش:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أخي هارون عن ابن الماجشون عن شيخ من أهل المدينة، و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان و الحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبيّ عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال: دخلت على رجل من قريش بالمدينة و عنده رجل ساكن الطّرف نبيل تأخذه العين، لا أعرفه؛ فقال له القرشيّ: أقسمت عليك إلاّ ما غنّيت صوتا، فحوّل خاتمه من خنصره اليسرى إلى بنصره اليمنى، ثم تناول قدحا، فغنّاه لحن ابن سريج في شعر كعب بن جعيل: إذا امتشطت[3]عالوا لها بوسادة # و مدّت عسيب المتن أن يتعفّرا

ثوت نصف شهر تحسب الشهر ليلة # تناغي[4]غزالا ساجي[5]الطرف أحورا

/تزيّن حتى تسلب المرء عقله # و حتى يحار الطرف فيها و يسكرا[6]

/ثم غنّى في شعر توبة بن الحميّر:

و غيّرني إن كنت لمّا تغيّري # هواجر تكتنّينها و أسيرها

و أدماء[7]من سرّ المهارى[8]كأنها # مهاة[9]صوار[10]غير ما مسّ كورها

[1]كذا في «لسان العرب» في مادة «عثا» و عثا: أفسد، يقال: عثا فيه المشيب أي أفسد، و في جميع الأصول «عسا» بالسين المهملة، و لم يظهر له معنى إلا أن يكون بمعنى اشتدّ، من قولهم: عسا النبات عسوّا أي غلظ و اشتدّ.

[2]ثقف الشيء: فهمه و أخذه.

[3]كذا في حـ، و في باقي النسخ: «إذا انتشطت» و هو تحريف.

[4]المناغاة: المغازلة.

[5]ساجي الطرف: فاترة ساكنه، و الأحور: الأبيض الناعم.

[6]يقال: سكرت عينه تسكر (من باب نصر) إذا تحيرت و سكنت عن النظر. و في الأصول: «و يشكرا» بالشين و هو تحريف.

[7]الأدماء: من الإبل التي أشرب لونها بياضا مع سواد المقلتين.

[8]السرّ: المحض، يقال: «هو في سر النسب» أي محضه و أفضله؛ و المهاري: جمع مهرية و هي إبل منسوبة إلى مهرة ابن حيدان، و قيل: هي منسوبة إلى بلد، و قال الأزهري: هي نجائب تسبق الخيل.

[9]المهاة: البقرة الوحشية.

[10]الصوار: قطيع البقر.

قطعت بها أجواز[1]كلّ تنوفة # مخوف رداها كلّما استنّ[2]مورها

ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم # دعاميص[3]ماء نشّ[4]عنها غديرها

قال: فقلت له إني لأروي هذا الشعر و ما أعرف هذه الأبيات فيه، فقال: هكذا رويتها عن عبد اللّه بن جعفر، قال: و إذا هو نافع الخير مولى عبد اللّه بن جعفر.

الغناء في هذين اللحنين لابن مسجح و لم أجد لهما طريقة في شيء من الكتب التي مرّت. و ذكر حبش أن في أبيات كعب بن جعيل لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى.

دور معاوية بمكة:

حدّثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب و عمّي و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني عبد اللّه بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عمارة بن صفوان الجمحيّ عن أبيه قال:

/أوّل من نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم. قال: و قد يختلف في ولائه إلا أن الأغلب عليه ولاء بني مخزوم، و ذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لما بنى دوره التي يقال لها:

«الرّقط» [5]-و هي ما بين الدارين إلى الرّدم[6]: أوّلها الدار البيضاء و آخرها دار الحمّام، و هي على يسار المصعد من المسجد إلى «ردم عمر» -حمل[7]لها بنّاءين فرسا من العراق فكانوا يبنونها بالجصّ و الآجر، و كان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم، فما استحسن من ألحانهم أخذه و نقله إلى الشعر العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ و هو الذي علّم الغريض، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني:

صوت

أ سلام إنّك قد ملكت فأسجحي[8] # قد يملك الحرّ الكريم فيسجح

منّي على عان أطلت عناءه # في الغلّ عندك و العناة تسرّح

إنّي لأنصحكم و أعلم أنه # سيّان عندك من يغشّ و ينصح

[1]الأجواز: جمع جوز و هو وسط الشيء و معظمه، يقال: قطعوا جوز الفلاة و أجواز الفلا، و التنوفة: الفلاة التي لا ماء بها.

[2]استن: هاج و ثار من استن الفرس في المضمار إذا جرى في نشاطه على سنن؛ و المور: الغبار تثيره الرياح.

[3]الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت، أو هو دود له رأسان يرى في الماء إذا قل.

[4]نش الغدير: يبس ماؤه و نضب.

[5]كذا في جميع الأصول، و قد تعرّض الأزرقيّ في «تاريخ مكة» لدور معاوية و ذكر أنّ من بينها دارا تسمّى «الرقطاء» و سميت بذلك لأنها بنيت بالآجرّ الأحمر و الجصّ الأبيض، و منها «الدار البيضاء» و سمّيت بذلك لأنها بنيت بالجصّ ثم طليت به و كانت كلّها بيضاء، ثم ذكر بقيّة الدور بأسمائها و لم يذكر أنّ هناك دورا تسمّى الرقط (انظره في صفحتي 449 و 450) طبع ليبسك.

[6]يريد به ردم عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه و قد ذكر في «تاريخ مكة» (ص 450) و لم يذكر ياقوت في «معجمه» إلا ردم بني جمح بن عمرو.

[7]كذا في حـ. و في أ، م: «فحمل» بالفاء و في سائر النسخ: «فجعل» و لا موقع للفاء في سياق الكلام.

[8]الإسجاح: حسن العفو، و منه المثل السائر في العفو عند المقدرة «ملكت فأسجح» و هو مرويّ عن عائشة قالته لعلي رضي اللّه عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمهما بكلام، فأجابته: «ملكت فأسجح» أي ظفرت فأحسن و قدرت فسهل.

و إذا شكوت إلى سلامة حبّها # قالت أجدّ منك ذا أم تمزح

أخذ عنه معبد:

-الشعر للأحوص. و الغناء لابن مسجح ثقيل أوّل بالبنصر. ولد حمان فيه ثقيل أوّل بالبنصر. و لمالك فيه خفيف ثقيل عن الهشاميّ-قال: و هو أوّل من غنّى الغناء العربيّ المنقول عن الفارسيّ. و عاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبد و أخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك.

نفاه دحمان الأشقر و إلى مكة إلى الشأم فتوصل إلى عبد الملك و غناه فعفا عنه و أمر يردّ ماله إليه:

حدّثني عمّي و الحسين بن القاسم الكوفيّ قالا جميعا حدّثنا محمد بن سعيد الكرانيّ قال حدّثني النضر بن عمرو قال حدّثني أبو أميّة القرشيّ قال حدّثنا دحمان الأشقر قال:

كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة فنمي إليه أنّ رجلا أسود يقال له: سعيد بن مسجح أفسد فتيان قريش و أنفقوا عليه أموالهم، فكتب إليّ: أن اقبض ماله و سيّره، ففعلت. /فتوجّه ابن مسجح إلى الشأم فصحبه رجل له جوار مغنّيات في طريقه، فقال له: أين تريد؟فأخبره خبره، و قال له: أريد الشأم، قال له: فتكون معي؟قال: نعم، فصحبه حتى بلغا دمشق فدخلا مسجدها فسألا: من أخصّ الناس بأمير المؤمنين؟فقالوا: هؤلاء النفر من قريش و بنو عمّه، فوقف ابن مسجح عليهم و سلّم ثم قال: يا فتيان، هل فيكم من نضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز؟ فنظر بعضهم إلى بعض و كان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها: «برق الأفق» فتثاقلوا به إلا فتى منهم تذمّم[1]فقال: أنا أضيفك، و قال لأصحابه: انطلقوا أنتم و أنا أذهب مع ضيفي، قالوا: لا، بل تجيء أنت و ضيفك، فذهبوا جميعا إلى بيت القينة، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد: إني رجل أسود و لعلّ فيكم من يقذرني فأنا أجلس و آكل ناحية و قام، فاستحيوا منه و بعثوا إليه بما أكل، فلما صاروا/ إلى الشراب قال لهم مثل ذلك، ففعلوا به، و أخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما، فغنّتا إلى العشاء ثم دخلتا، و خرجت جارية حسنة الوجه و الهيئة و هما معها فجلست على السرير و جلستا أسفل منها عن يمين السرير و شماله، قال ابن مسجح: فتمثّلت[2] هذا البيت:

فقلت أشمس أم مصابيح بيعة # بدت لك خلف السّجف أم أنت حالم

فغضبت الجارية و قالت: أ يضرب هذا الأسود بي الأمثال!فنظروا إليّ نظرا منكرا و لم يزالوا يسكّنونها، ثم غنّت صوتا، فقال ابن مسجح: أحسنت

و اللّه، فغضب مولاها و قال: أمثل هذا الأسود يقدم على جاريتي!فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده: قم فانصرف إلى منزلي فقد ثقلت على القوم، فذهبت أقوم فتذمّم القوم و قالوا لي: بل أقم و أحسن أدبك فأقمت، و غنّت فقلت: أخطأت و اللّه يا زانية و أسأت، ثم اندفعت فغنّيت الصوت فوثبت الجارية فقالت لمولاها: هذا و اللّه أبو عثمان سعيد بن مسجح، فقلت: إني و اللّه أنا هو، و اللّه لا أقيم عندكم، فوثب القرشيّون فقال هذا: يكون عندي، و قال هذا: يكون عندي، و قال هذا: بل عندي، فقلت: و اللّه لا أقيم إلا عند سيّدكم-يعني الرجل الذي أنزله منهم-ثم سألوه عما أقدمه فأخبرهم الخبر، فقال له صاحبه: إني أسمر الليلة مع [1]تذمم أي خشي الذمّ و اللوم.

[2]يقال: تمثّلت هذا البيت و تمثّلت به إذا ضربته مثلا.

أمير المؤمنين فهل تحسن أن تحدو؟قال: لا، و لكني أستعمل حداء، قال: فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك، و مضى إلى عبد الملك فلما رآه طيّب النفس أرسل إلى ابن مسجح و أخرج رأسه من وراء شرف القصر ثم حدا: /

إنك يا معاذ يا ابن الفضّل # إن زلزل الأقدام لم تزلزل

عن دين موسى و الكتاب المنزل # تقيم أصداغ[1]القرون الميّل

للحقّ حتى ينتحوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشيّ: من هذا؟قال: رجل حجازيّ قدم عليّ، قال: أحضره فأحضره له، و قال له: أحد مجدّا، ثم قال له: هل تغنّي غناء الركبان؟قال: نعم، قال: غنّه، فتغنّى، فقال له: فهل تغنّي الغناء المتقن؟ قال: نعم، قال: غنّه، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طربا، ثم قال له: أقسم إن لك في القوم لأسماء/كثيرة، من أنت؟ويلك! قال له: أنا المظلوم المقبوض ماله المسيّر عن وطنه سعيد بن مسجح، قبض مالي عامل الحجاز و نفاني، فتبسّم عبد الملك ثم قال له: قد وضح عذر فتيان قريش في أن ينفقوا عليك أموالهم، و أمّنه و وصله و كتب إلى عامله بردّ ماله عليه و ألاّ يعرض له بسوء.

صوت من المائة المختارة

سلا دار ليلى هل تبين فتنطق # و أنّى تردّ القول بيداء سملق[2]

و أنّى تردّ القول دار كأنها # لطول بلاها و التقادم مهرق[3]

عروضه من الطويل، الشّعر لابن المولى. و ذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعر للأعشى؛ و ذلك غلط، و قد التمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده، و لا رواه أحد من الرّواة لأحد منهم، و وجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، و قد أثبتناها بعقب أخباره ليوقف على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجّة على ما خالفه و الدّلالة على الصواب فيه. و الغناء في اللحن المختار لعطرّد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق و يونس و عمرو، و فيه لأيّوب زهرة خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ و أحمد بن المكيّ. و في غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين و هما: و قال خليلي و البكا لي غالب # أ قاض عليك ذا الأسى و التشوّق

[1]في جميع الأصول «أصداع» بالعين المهملة و هو تحريف، و الصواب ما أثبتناه لأنه من صدغ يصدغ صدوغا و صدغا بمعنى مال و منه «لأقيمن صدغك» أي ميلك.

[2]السملق: القاع المستوى الأملس الذي لا شجر فيه.

[3]المهرق: الصحيفة، و من عادة العرب تشبيه الديار و المنازل إذا عفت و أقوت بالصحف و الكتابة، قال امرؤ القيس: أنت حجج بعدي عليها فأصبحت # فخط زبور في مصاحف رهبان

و قال العجاج:

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا # من طلل أمسى تخال المصحفا

و المصحف: الصحيفة.

و قد طال توقاني[1]

أكفكف عبرة # تكاد إذا ردّت لها النفس تزهق[2]

[1]توقاني: اشتياقي و قد سكن لضرورة الشعر.

[2]في رواية أخرى ص 288 من هذا الجزء:

على دمنة كادت لها النفس تزهق

34-أخبار ابن المولى و نسبه

نسبه و صفته و هو شاعر من مخضرمي الدولتين:

هو محمد بن عبد اللّه بن مسلم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف، شاعر متقدّم مجيد من مخضرمي الدولتين و مدّاحي أهلهما، و قدم على المهديّ و امتدحه بعدّة قصائد فوصله بصلات سنّية، و كان ظريفا عفيفا نظيف الثياب حسن الهيئة.

قدم على المهدي و مدحه فأجزل صلته:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد اللّه الحزنبل قال قال لي محمد بن صالح بن النّطّاح: كان ابن المولى يسمّى محمدا مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، و كان مسكنه بقباء، و كان يقدم على المهديّ فيمدحه، فقدم عليه فأنشده قوله: سلا دار ليلى هل تبين فتنطق # و أنّى تردّ القول بيداء سملق

و أنّى تردّ القول دار كأنها # لطول بلاها و التقادم مهرق

و قال خليلي و البكالي غالب # أ قاض عليك ذا الأسى و التشوّق

و إنسان عيني في دوائر لجّة # من الدمع يبدو تارة ثم يغرق

يقول فيها:

إلى القائم المهديّ أعملت ناقتي # بكل فلاة آلها[1]يترقرق

إذا غال[2]منها الركب صحراء برّحت # بهم بعدها في السير صحراء دردق[3]

رميت قراها[4]بين يوم و ليلة # بفتلاء[5]لم ينكب[6]لها الزّور مرفق/

[1]الآل: السراب.

[2]يقال: غالت الأرض السابلة أي قذفت بهم و أبعدتهم.

[3]كذا في الأصول. و الدردق: الطريق، و الصف من النخل، و الصغير من كل شيء، و كل هذه المعاني لا تتفق و المعنى المراد، و لعلها مما لم يرد تفسيره في «المعاجم» ، أو لعلّ المراد بها «فيهق» يقال: أرض فيهق، و مفازة فيهق أي واسعة.

[4]القرا: الظهر.

[5]يقال: ناقة فتلاء إذا كان في ذراعيها فتل و هو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلتا عنهما.

[6]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «يركب» .

200

مزمّرة[1]

سقبا كأن زمامها # بجرداء من عمّ[2]الصّنوبر معلق

موكّلة بالفادحات كأنها # و قد جعلت منها الثّميلة[3]تخلق

بقيّ[4]الملاهيق[5]أمام رئاله[6] # أصمّ هجفّ[7]أقرع الرأس نقنق[8]

تراها إذا استعجلتها و كأنها # على الأين يعروها من الرّوع أولق[9]

مورّكة[10]أرض العذيب[11]و قد بدا # فسرّ به للآئبين الخورنق[12]

فاستحسنها المهديّ و أجزل صلته، و أمر فغنّي في نسيب القصيدة. فأمّا ما شرطت ذكره من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثاني منها: عفتها الرياح الرامسات[13]مع البلى # بأذيالها و الرائح المتبعّق[14]

بكل شآبيب من الماء خلفها # شآبيب ماء مزنها متألّق

/إذا ريّق[15]منها هريقت سجاله # أعيد لها كرفيء[16]ماء و ريّق

فأصبح يرمي بالرّباب[17]كأنما # بأرجله منه نعام معلّق

فلا تبك أطلال الديار فإنها # خبال[18]لمن لا يدفع[19]الشوق عولق[20]

[1]كذا في جميع النسخ بالزاي المعجمة و لعله مضعف من زمر الظليم بمعنى صوّت، و قد أصلحها الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته بالذال المعجمة، و ربما أراد أن تكون من ذمر بمعنى حث فهو يصفها بأنها سريعة السير لأنها محثوثة عليه. و السقب: الطويل من كل شيء.

[2]العمّ: النخل الطوال، و استعير هنا لطول شجر الصنوبر.

[3]الثميلة: ما يبقى في بطن الدابة من العلف و الماء و ما يدخره الإنسان من طعام و غيره، و كل بقية ثميلة.

[4]القيّ: القفر.

[5]وردت هذه الكلمة في جميع النسخ هكذا «هين» و هو تحريف ظاهر و الصواب ما أثبتناه، و الهيق: الظليم.

[6]الرئال: أفراخ النعام واحدها رأل.

[7]الهجف: الظليم المسن، و قيل: الجافي الثقيل من النعام.

[8]النقنق: الظليم.

[9]الأولق: الجنون.

[10]موركة: مجاوزة.

[11]العذيب: ماء بين القادسية و المغيثة بينه و بين القادسية أربعة أميال.

[12]الخورنق: قصر بالحيرة.

[13]عفتها: محتها و درستها، و الرامسات: الدواقن للآثار.

[14]الرائح المتبعق: المطر المندفع، قال رؤبة: جود كجود الغيث إذ تبعّقا

و في حـ، ب: المتعبق و هو غير مناسب.

[15]الريق: المطر اليسير يصيبك منه شيء.

[16]الكرفئ: السحاب المرتفع و قد دخل على هذا الشطر «الكف» و هو حذف السابع الساكن من «مفاعيلن» الأولى و هو قبيح.

[17]الرباب: السحاب الأبيض.

[18]كذا في أ، ء: و في سائر النسخ «خيال» .

[19]في الأصول: «يرفع» بالراء.

[20]العولق: الغول، و هو صفة لخبال.

و إنّ سفاها أن ترى متفجّعا # بأطلال دار أو يقودك معلق

فلا تجزعن للبين كلّ جماعة # و جدّك مكتوب عليها التفرّق

و خذ بالتعزّي[1]كلّ ما أنت لابس # جديدا على الأيام بال و مخلق

فصبر الفتى عما تولّى فإنه # من الأمر أولى بالسّداد و أوفق

و يروى: «أدنى للذي هو أوفق» .

و إنك بالإشفاق لا تدفع[2]الرّدى # و لا الحين مجلوب فما لك تشفق

كأنّ لم يرعك الدهر أو أنت آمن # لأحداثه فيما يغادي و يطرق

و قال خليلي و البكالى غالب # أ قاض عليك ذا الأسى و التشوّق

و قد طال توقاني أكفكف عبرة # على دمنة كادت لها النفس تزهق

و إنسان عيني في دوائر لجّة # من الماء يبدو تارة ثم يغرق

و للدّمع من عيني شريجا[3]صبابة # مرشّ[4]الرّجا[5]و الجائل المترقرق

و كنت أخا عشق و لم يك صاحبي # فيعذرني ممّا يصبّ و يعشق

/و قد يعذر الصبّ السقيم ذوي الهوى # و يلحى المحبّين الصديق فيخرق

و عاب رجال أن علقت و قد بدا # لهم بعض ما أهوى و ذو الحلم يعلق

و القصيدة طويلة. و في بعض ما ذكرته منها دلالة على صحّة ما قلته.

كان يشبب بليلى فسئل عنها فقال: ما هي و اللّه إلا قومي:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: خرجت أنا و أبو السائب المخزوميّ و عبيد اللّه بن مسلم بن جندب و ابن المولى و أصبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قباء، و ابن المولى متنكّب[6]قوسا عربية، فأنشد ابن المولى لنفسه: /

و أبكي فلا ليلى بكت من صبابة # إليّ و لا ليلى لذي الودّ تبذل

و أخنع[7]بالعتبى إذا كنت مذنبا # و إن أذنبت كنت الذي أتنصّل

فقال له أبو السائب و عبيد اللّه بن مسلم بن جندب: من ليلى هذه حتّى نقودها إليك؟فقال لهما ابن المولى: ما هي و اللّه إلاّ قومي هذه سمّيتها ليلى.

[1]كذا في ء، أ، و في سائر الأصول: «بالتعرّي» بالراء.

[2]في الأصول: «ترفع» بالراء.

[3]الشريجان: لونان مختلفان.
[4]المرش: الذي يقطر ماؤه.
[5]الرجا: ناحية البئر.
[6]يقال: تنكّب القوس إذا ألقاها على منكبه.
[7]أخنع: أخضع.

في هذين البيتين ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى لخزرج، و يقال: إنه لهاشم بن سليمان.

مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك:

أخبرني عمّي قال حدثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلّم عن المفضّل الضّبيّ قال: وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم و قد مدحه بقصيدته التي يقول فيها: يا واحد العرب الذي # أضحى و ليس له نظير

لو كان مثلك آخر # ما كان في الدّنيا فقير

/قال: فدعا بخازنه و قال: كم في بيت مالي؟فقال له: من الورق[1]و العين بقيّة عشرون ألف دينار، فقال: ادفعها إليه، ثم قال: يا أخي، المعذرة إلى اللّه و إليك، و اللّه لو أنّ في ملكي أكثر لما احتجبتها[2]عنك.

كان مداحا لجعفر بن سليمان و قثم بن عباس و يزيد بن حاتم:

أخبرني الحسن بن عليّ و محمد بن خلف بن المرزبان قالا حدثنا أحمد بن زهير[3]بن حرب قال حدّثنا مصعب الزّبيريّ عن عبد الملك بن الماجشون قال: كان ابن المولى مدّاحا لجعفر بن سليمان و قثم بن العبّاس الهاشميّين و يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب، و استفرغ مدحه في يزيد و قال فيه قصيدته التي يقول فيها: يا واحد العرب الذي دانت له # قحطان قاطبة و ساد نزارا

إنّي لأرجو إن لقيتك سالما # ألاّ أعالج بعدك الأسفارا

رشت[4]النّدى و لقد تكسّر ريشه # فعلا النّدى فوق البلاد و طارا

مرض عند يزيد ابن حاتم و أضعف يزيد صلته:

ثم قصده بها إلى مصر و أنشده إيّاها؛ فأعطاه حتّى رضي. و مرض ابن المولى عنده مرضا طويلا و ثقل حتّى أشفى[5]، فلمّا أفاق من علّته و نهض، دخل عليه يزيد بن حاتم متعرّفا خبره، فقال: لوددت و اللّه يا أبا عبد اللّه ألاّ تعالج بعدي الأسفار حقا، ثم أضعف صلته.

كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة و أنشده فأعطاه ما أغناه:

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزّبير بن بكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال: [1]الورق: الفضة، و العين: الذهب.

[2]كذا في الأصول، و لم نجد في «كتب اللغة» التي بين أيدينا «احتجب» متعديا بنفسه و لعلها «حجبتها» .

[3]كذا في أ، ء، م و هو الموافق لما تقدم بإجماع الأصول في ص 21 ج 1 من «الأغاني» طبع الدار و في الكلام على ترجمته في «لسان الميزان» ج 1 ص 174 طبع الهند، و «تذكرة الحفاظ» ج 2 ص 156 طبع الهند. و في باقي الأصول: «إبراهيم» و هو خطأ.

[4]رشت الندى: جعلت له ريشا.

[5]أشفى: أشرف على الموت.

/كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه و لا ألقاه، فلما ولاّه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته، و قد خرج من مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى أن صار إلى مسجد الشّجرة، فأعطاني رزمتي[1]ثياب و عشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعا تغلّ[2]ألف دينار، أقوم في أدناها و أصيح بقيّمي و لا[3]يسمعني و هو في أقصاها.

عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلى فقال: إنها قوسه فضحك:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أنّ الحسن ابن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له و قال: أ تشبّب بحرم المسلمين و تنشد ذلك في مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و في الأسواق و المحافل ظاهرا! فحلف له بالطّلاق أنّه ما تعرّض لمحرّم قطّ و لا شبّب بامرأة مسلم و لا معاهد قطّ، قال: فمن ليلى هذه التي تذكر في شعرك؟فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلاّ قوسي هذه، سمّيتها ليلى لأذكرها في شعري، /فإن الشعر لا يحسن إلاّ بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت.

كان بالعراق و تشوّق إلى المدينة فقال شعرا في ذلك:

فقال[4]الحزنبل: و حدّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال: قدم ابن المولى إلى العراق في بعض سنيه[5]فأخفق و طال مقامه و غرض[6]به و تشوّق إلى المدينة فقال في ذلك:

صوت

ذهب الرجال فلا أحسّ رجالا # و أرى الإقامة بالعراق ضلالا

و طربت إذ ذكر المدينة ذاكر # يوم الخميس فهاج[7]لي بلبالا[8]

/فظللت أنظر في السماء كأنّني # أبغي بناحية السماء هلالا

طربا إلى أهل الحجاز و تارة # أبكي بدمع مسبل[9]إسبالا

غنّى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة. و لحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ. و ذكره حمّاد عن أبيه في أخباره و لم يذكر طريقته.

فيقال قد أضحى يحدّث نفسه # و العين تذرف في الرّداء سجالا[10]

[1]الرزمة من الثياب: ما شدّ في ثوب واحد.

[2]تغلّ: تعطي من الغلة.

[3]كذا في جميع النسخ، و المقام هنا للفاء.
[4]كذا في جميع النسخ و الظاهر أن الفاء هنا من زيادات النساخ.
[5]في أ، ء، م: «سنيته» و كلتا الروايتين صحيحة.
[6]غرض: ضجر و قلق.
[7]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «وهاج» .
[8]البلبال: شدّة الهم.
[9]أسبل يستعمل متعديا و لازما.
[10]السجال: جمع سجل و هو الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء.

إنّ الغريب إذا تذكّر أوشكت # منه المدامع أن تفيض علالا[1]

و لقد أقول لصاحبي و كأنّه # ممّا يعالج ضمّن[2]الأغلالا

خفّض عليك فما يرد بك تلقه # لا تكثرنّ و إن جزعت مقالا

قد كنت إذ تدع المدينة كالذي # ترك البحار و يمّم الأوشالا[3]

فأجابني خاطر بنفسك لا تكن # أبدا تعدّ مع العيال عيالا

و اعلم بأنك لن تنال جسيمة # حتّى تجشّم نفسك الأهوالا

إنّي و جدّك يوم أترك زاخرا # بحرا ينفّل سيبه الأنفالا[4]

لأضلّ من جلب القوافي صعبة[5] # حتّى أذل متونها إذلالا

مدح المهدي و عرّض بالطالبيين فأجازه:

قال الحزنبل: و حدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن بن زيد قال: قدم ابن المولى على المهديّ و قد مدحه بقصيدته التي يقول فيها: و ما قارع الأعداء مثل محمّد # إذا الحرب أبدت عن حجول[6]الكواعب

/فتى ماجد الأعراق من آل هاشم # تبحبح[7]منها في الذّرى و الذّوائب

أشمّ من الرّهط الذين كأنّهم # لدى حندس[8]الظّلماء زهر الكواكب

إذا ذكرت يوما مناقب هاشم # فإنكم منها بخير المناصب

و من عيب في أخلاقه و نصابه[9] # فما في بني العبّاس عيب لعائب

و إنّ أمير المؤمنين و رهطه # لأهل المعالي من لؤيّ بن غالب

أولئك أوتاد البلاد و وارثو النـ # بيّ بأمر الحقّ غير التّكاذب

ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال:

و ما نقموا إلا المودّة منهم # و أن غادروا فيهم جزيل المواهب

و أنهم نالوا لهم بدمائهم # شفاء نفوس من قتيل و هارب

[1]علالا: مرة بعد أخرى.

[2]ضمن الاغلالا أي قيّد بها.

[3]الأوشال: جمع وشل و هو الماء القليل.

[4]السيب: الجود و العطاء، و الأنفال: جمع نفل و هو الهبة و العطية. و نفّل النفل: أعطاه.

[5]في جميع النسخ: «ضيعة» و التحريف فيه ظاهر.

[6]حجول: جمع حجل و هو الخلخال.

[7]تبحبح: تمكن.

[8]الحندس: الليل الشديد الظلمة، و يقال أيضا: ليلة ظلماء حندس على الصفة.

[9]النصاب: الأصل.

و قاموا لهم دون العدا و كفوهم # بسمر القنا و المرهفات القواضب[1]

و حاموا على[2]أحسابهم و كرائم # حسان الوجوه واضحات التّرائب

و إن أمير المؤمنين لعائد # بإنعامه فيهم على كلّ تائب

إذا ما دنوا أدناهم و إذا هفوا # تجاوز عنهم ناظرا في العواقب

شفيق على الأقصين أن يركبوا الرّدى # فكيف به في واشجات[3]الأقارب

مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهديّ ثم أكرمه:

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيّة، و قدم المدينة فأنفق و بنى داره و لبس ثيابا فاخرة، و لم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه. ثم قدم[4]على الحسن بن زيد و كانت له عليه وظيفة في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه: /

هاج شوقي تفرّق الجيران # و اعترتني طوارق الأحزان

و تذكّرت ما مضى من زماني # حين صار الزمان شرّ زمان

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد:

و لو أن امرأ ينال خلودا # بمحلّ و منصب و مكان

أو ببيت ذراه تلصق بالنجـ # م قرانا في غير برج قران

أو بمجد الحياة أو بسماح # أو بحلم أوفى على ثهلان[5]

أو بفضل لناله حسن الخيـ # ر بفضل الرسول ذي البرهان

فضله واضح برهط أبي القا # سم رهط اليقين و الإيمان

هم ذوو النور و الهدى و مدى الأمـ # ر و أهل البرهان و العرفان[6]

معدن الحق و النبوّة و العد # ل إذا ما تنازع الخصمان

و ابن زيد إذا الرجال تجاروا # يوم حفل و غاية و رهان

سابق مغلق جيز رهان # ورث السّبق من أبيه الهجان[7]

قال: فلما أنشده إياها دعا به خاليا ثم قال له: يا عاضّ كذا من أمه، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، و أما إذا مضيت إلى العراق فتقول: و إن أمير المؤمنين و رهطه # لرهط المعالي من لؤيّ بن غالب

[1]القواضب: القواطع.

[2]ضمن هنا «على» معنى «عن» .

[3]الواشجات: جمع واشجة و هي الرحم المشتبكة المتصلة.

[4]في الأصول «دخل» و السياق يأباها.

[5]ثهلان: جبل ضخم بالعالية.

[6]في حـ: «الفرقان» .

[7]الهجان: الكريم الحسيب.

أولئك أوتاد البلاد و وارثو الـ # نبيّ بأمر الحقّ غير التّكاذب

فقال له: أ تنصفني يا ابن الرسول أم لا؟فقال: نعم، فقال: أ لم أقل:

و إن أمير المؤمنين و رهطه

/أ لستم رهطه؟فقال: دع هذا، أ لم تقدر أن ينفق شعرك و مديحك إلا بتهجين أهلي و الطعن عليهم و الإغراء بهم حيث تقول: و ما نقموا إلا المودّة منهم # و أن غادروا فيهم جزيل المواهب

و أنهم نالوا لهم بدمائهم # شفاء نفوس من قتيل و هارب

فوجم ابن المولى و أطرق ثم قال: يا ابن الرسول إن الشاعر يقول و يتقرّب بجهده، ثم قام فخرج من عنده منكسرا، فأمر الحسن وكيله أن يحمل إليه وظيفته و يزيده فيها ففعل، /فقال ابن المولى: و اللّه لا أقبلها و هو عليّ ساخط، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتها، و أما إن أقام و هو عليّ ساخط البتّة فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيت فاقبلها. و دخل على الحسن فأنشده قوله فيه: سألت فأعطاني و أعطى و لم أسل # و جاد كما جادت غواد[1]رواعد

فأقسم لا أنفكّ أنشد مدحه # إذا جمعتني في الحجيج المشاهد

إذا قلت يوما في ثنائي قصيدة # ثنيت بأخرى حيث تجزى القصائد

مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز و غلبته على الأزارقة فأجازه:

قال الحزنبل: و حدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال: لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة[2]و قد ظفر، خلع عليه و عقد له لواء على كور الأهواز و سائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن المولى و قد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده:

صوت

ألا يا لقومي هل لما فات مطلب # و هل يعذرن ذو صبوة و هو أشيب

يحنّ إلى ليلى و قد شطّت النوى # بليلى كما حنّ اليراع المثقّب[3]

/غنّى في هذين البيتين عطرّد، و لحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ و فيه ليونس لحن ذكره لنفسه في كتابه و لم يذكر طريقته.

تقرّبت[4]ليلى كي تثيب فزادني # بعادا على بعد إليها التقرّب

[1]الغوادي: جمع غادية و هي السحابة تنشأ غدوة.

[2]الأزارقة: فرقة من الخوارج و هم أصحاب نافع بن الأزرق.

[3]اليراع المثقب: المزمار.

[4]كذا في الأصول و لم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا تقرّب متعديا بنفسه و إنما يقال: تقرّبت إليه، فلعله نصب على حذف الجار.

فداويت وجدي باجتناب فلم يكن # دواء لما ألقاه[1]منها التجنّب
فلا أنا عند النّأي سال لحبها # و لا أنا منها مشتف حين تصقب[2]
و ما كنت بالراضي بما غيره الرّضا # و لكنني أنوي العزاء فأغلب
و ليل خداريّ[3]الرّواق جشمته # إذا هابه السارون لا أتهيّب
لأظفر يوما من يزيد بن حاتم # بحبل جوار ذاك ما كنت أطلب
بلوت و قلّبت الرجال كما بلا # بكفّيه أوساط القداح مقلّب
و صعّدني همّي[4]و صوّب مرّة # و ذو الهمّ يوما مصعد و مصوّب
لأعرف ما آتى[5]فلم أر مثله # من الناس فيما حاز شرق و مغرب
أكرّ على جيش و أعظم هيبة # و أوهب في جود لما ليس يوهب
تصدّى رجال[6]في المعالي ليلحقوا # مداك و ما أدركته فتذبذبوا
و رمت الذي راموا فأذللت صعبه # و راموا الذي أذللت منه فأصعبوا[7]
و مهما تناول من منال سنيّة # يساعدك فيها المنتمى[8]و المركّب[9]/
و منصب[10]آباء كرام نماهم # إلى المجد آباء كرام و منصب

صوت

كواكب دجن كلّما انقضّ كوكب # بدا منهم بدر منير و كوكب
أنار به آل المهلّب بعد ما # هوى منكب منهم بليل و منكب
و ما زال إلحاح الزمان عليهم # بنائبة كادت لها الأرض تخرب[11]/
فلو أبقت الأيام حيّا نفاسة # لأبقاهم للجود ناب و مخلب

[1]كذا في حـ و هو المناسب. و في باقي الأصول: «أبقاه» .

[2]تصقب: تقرب.

[3]الخداريّ: المظلم.

[4]الهمّ: ما يهم به الرجل في نفسه و هو هنا كناية عن العزم.

[5]كذا في أ، ء، م. و في باقي الأصول: «أتلى» و هو تحريف.

[6]كذا في جميع النسخ و الذي في «كتب اللغة» أن «تصدّى» يتعدّى باللام.

[7]يقال: أصعب الرجل الشيء إذا وجده صعبا.

[8]في جميع الأصول: «المنتهي» و هو محرف عن المنتمى أي المنتمي إليه، يقال: انتمى فلان إلى حسب أي ارتفع إليه، و انتمى إلى فلان أي ارتفع في نسبه إليه، قال الفرزدق: فصارت لذهل دون شيبان إنهم # ذوو العز عند المنتمي و التكرم

[9]المركّب: المنبت، يقال: فلان كريم المركب أي كريم الأصل.

[10]المنصب: الأصل و المنبت.

[11]في حـ و في سائر الأصول: «تجرب» بالجيم المعجمة، و الأرض الجرباء: الممحلة المقحوطة، و لم نجد في «كتب اللغة» التي بين أيدينا ورود فعل من هذه المادة بهذا المعنى، و من المحتمل أن تكون «تجدب» و هي بمعناها.

و كنت ليومي نعمة و نكاية # كما فيهما للنّاس كان المهلّب

ألا حبّذا الأحياء منكم و حبّذا # قبور بها موتاكم حين غيّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم و فرس بسرجه و لجامه و خلعة، و أقسم على من كان بحضرته أن يجيزوه كلّ واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء ء يده.

كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره و يستحسنه:

قال الحزنبل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى و كان يستحسنها:

صوت

حيّ المنازل قد بلينا # أقوين[1]عن مرّ السنّينا

و سل الدّيار لعلّها # تخبرك[2]عن أمّ البنينا

/بانت و كلّ قرينة # يوما مفارقة قرينا

و أخو الحياة من الحيا # ة معالج غلظا و لينا

غنّى في هذه الأبيات نبية[3]خفيف ثقيل بالبنصر.

و ترى الموكّل بالغوا # ني راكبا أبدا فنونا

و من البليّة أن تدا # ن بما كرهت و لن تدينا

و المرء تحرم نفسه # ما لا يزال به حزينا

و تراه يجمع ماله # جمع الحريص لوارثينا

يسعى بأفضل سعيه # فيصير ذاك لقاعدينا

لم يعط ذا النّسب القريـ # ب و لم يجد للأبعدينا

قد حلّ منزله الذميـ # م و فارق المتنصّحينا[4]

مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه و فرض له لعياله ما يكفيه:

قال الحزنبل: و ذكر أحمد بن صالح بن النّطّاح عن المدائنيّ: أن المهديّ لمّا وليّ الخلافة و حجّ فرّق في قريش و الأنصار و سائر الناس أموالا عظيمة و وصلهم صلات سنيّة، فحسنت أحوالهم بعد جهد أصاب الناس في أيّام أبيه، لتسرّعهم[5]مع محمد بن عبد اللّه بن حسن، و كانت سنة ولايته سنة خصب و رخص، فأحبّه الناس و تبرّكوا به، و قالوا: هذا هو

المهديّ، و هذا ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و سميّه، فلقوه فدعوا له و أثنوا عليه، و مدحته الشعراء، فمدّ [1]أقوين: أقفرن.

[2]سكّن «تخبرك» لضرورة الوزن.

[3]العرب يسمون بنبيه كزبير و بنبيه كأمير، و لم نستطع ترجيح أحد الضبطين في هذا الاسم.

[4]التنصح: كثرة النصح و منه قول أدم بن صيفي: «إياكم و التنصح فإنه يورث التهمة» .

[5]كذا في حـ، و في باقي الأصول: «لتسرحهم» بالحاء، و التسرّح الذهاب.

عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقرّب منه؛ فقال له: هات يا مولى الأنصار ما عندك، فأنشده[قوله فيه][1]: /

يا ليل لا تنجلي يا ليل بالزاد # و اشفي بذلك داء الحائم الصادي

و أنجزي عدة كانت لنا أملا # قد جاء ميعادها من بعد ميعاد

ما ضرّه غير أن أبدي مودّته # إنّ المحبّ هواه ظاهر بادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

/

تطوي البلاد إلى جمّ منافعه # فعّل خير لفعل الخير عوّاد

للمهتدين[2]إليه من منافعه # خير يروح و خير باكر غادي

أغنى قريشا و أنصار النبيّ و من # بالمسجدين بإسعاد و إحفاد[3]

كانت منافعه في الأرض شائعة # تترى[4]و سيرته كالماء للصّادي

خليفة اللّه عبد اللّه والده # و أمّه حرّة تنمى لأمجاد

من خير ذي يمن في خير رابية # من القبول إليها معقل[5]النّادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم و كسوة، و أمر صاحب الجاري[6]بأن يجري له و لعياله في كلّ سنة ما يكفيهم، و ألحقهم في شرف العطاء.

قال: و ذكر ابن النطّاح عن عبد اللّه بن مصعب الزبيريّ قال: وفدنا إلى المهديّ و نحن جماعة من قريش و الأنصار، فلما دخلنا عليه سلّمنا و دعونا و أثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال: هات يا محمّد ما قلت، فأنشده:

صوت

نادى الأحبّة باحتمال # إنّ المقيم إلى زوال

ردّ القيان[7]عليهم # ذلل المطيّ من الجمال

فتحمّلوا بعقيلة # زهراء آنسة الدّلال

[1]زيادة في أ، ء، م.

[2]في أ، حـ: «للمجمّدين» .

[3]إحفاد: إسراع في مرضاتهم و قضاء حاجاتهم.

[4]تترى: متواترة.

[5]معقل: ملجأ، يقال: عقل إليه عقلا و عقولا أي لجأ، و النادي: مجتمع القوم، و يراد به القوم المجتمعون.

[6]الجاري: الجراية و هي ما يقدر من الرزق فيجري على صاحبه باتصال، قال صاحب «اللسان» في مادة جرى: «و الجراية الجاري من الوظائف» .

[7]القيان: جمع قين و هو العبد أو القينة و هي الجارية. و قد قيل في قول زهير: رد القيان جمال الحيّ فاحتملوا

إنّه أراد بالقيان الإماء أي أنهنّ رددن الجمال إلى الحيّ لشد أقتابها عليها، و قيل: أراد العبيد و الإماء (انظر «اللسان» مادّة قين) . ـ

كالشمس راق جمالها # بين النّساء على الجمال

لمّا رأيت جمالهم # في الآل[1]تغرق باللآلي

يا ليت ذلك بعد أن # أظهرت أنّك لا تبالي

و لمثل ما جرّبت من # إخلافهنّ لذي الوصل

أسلاك عن طلب الصّبا # و أخو الصّبا لا بدّ سالي

يا ابن الأطايب للأطا # يب ذا المكارم و المعالي

و ابن الهداة بنى الهدا # ة و كاشفي ظلم الضّلال

أصبحت أكرم غالب # عند التّفاخر و النّضل

و إذا تحصّل[2]هاشم # يعلو بمجدك كلّ عالي

و يكون بيتك منهم # في الشاهقات من القلال[3]

/هذا و أنت ثمالها[4] # و ابن الثّمال أخو[5]الثّمال

و مآلها بأمورها # إنّ الأمور إلى مآل

قال: فأمر له خاصّة بعشرة آلاف درهم معجّلة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة و أعطاه مثل ما أعطاهم، و قال: ذلك بحقّ المديح، و هذا بحقّ الوفادة.

سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة ثم تبعه ابن المولى و أنشده فأجازه:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ أبو أحمد و عمّي قالا حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد اللّه قال حدّثني عبد اللّه بن إبراهيم/الجمحيّ قال: قدم عبد الملك بن مروان المدينة، و كان ابن المولى يكثر مدحه، و كان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا- قال: و ابن المولى مولى الأنصار-فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه، فوردها و قد رحل عبد الملك عنها، فأتبعه[6]فأدركه بإضم بذي خشب بين عين مروان و عين الحديد، و هما جميعا لمروان، فالتفت عبد الملك إليه و ابن المولى على نجيب متنكّبا قوسا عربية، فقال له عبد الملك: ابن المولى؟ قال: لبّيك يا أمير المؤمنين؛ قال: مرحبا بمن نالنا شكره و لم ينله منا فعل، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها: [1]الآل: السراب، و قيل الآل من الضحى إلى زوال الشمس، و السراب بعد الزوال إلى صلاة العصر.

[2]تحصل: تخلص و يماز بين بيوتها، و في الحديث: «بذهب لم تحصل من ترابها» أي لم تخلص (و الذهب يذكر و يؤنث) . و يقال للمرأة التي تميز الذهب من الفضة: محصله.

[3]القلال: جمع قلة و هي أعلى الجبل، و قلة كل شيء رأسه و أعلاه.

[4]الثمال: الغياث.

[5]كذا في ء، و في باقي الأصول «أخي» .

[6]فأتبعه: تبعه و ذلك إذا كان سبقه فلحقه، و في القرآن الكريم: **(فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ)** .

و أبكى فلا ليلى بكت من صبابة # إليّ و لا ليلى لذي الودّ تبذل

و اللّه لئن كانت ليلى حرّة لأزوّجنّكها، و لئن كانت أمة لأبتاعنّها لك بما بلغت، فقال: كلاّ يا أمير المؤمنين، و اللّه ما كنت لأذكر حرمة حرّ أبدا و لا أمته، و اللّه ما ليلى إلا قوسي هذه، سمّيتها ليلى لأشبّب بها، و إن الشاعر لا يستطاب إذا/لم يتشبّب[1]؛ فقال له عبد الملك: ذلك و اللّه أظرف لك، فأقام عنده يومه و ليلته ينشده و يسامره، ثم أمر له بمال و كسوة، و انصرف إلى المدينة.

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه و أنشده شعرا:

أخبرني حبيب المهلّبيّ عن الزّبير و غيره عن محمد بن فضالة النحويّ قال: قدم ابن المولى البصرة، فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه و قد ركب فناداه: كم صارخ يدعو و ذي فاقة # يا جعفر الخيرات يا جعفر

أنت الذي أحييت بذل الندى # و كان قد مات فلا يذكر

سليل عبّاس وليّ الهدى # و من به في المحل يستمطر

هذا امتداحيك عقيد[2]الندى # أشهد[3]بالمجد لك الأشقر

[1]في أ، ء، م: «لم ينسب» بالسين و هي بمعناها.

[2]العقيد: المعاهد و الحليف.

[3]في أ، ء، م: «أشهر» .

35-أخبار عطرّد و نسبه

ولاؤه وصفته و هو مغن مقبول الشهادة فقيه:

عطرّد مولى الأنصار، ثم مولى بن عمرو بن عوف، و قيل: إنه مولى مزينة، مدنيّ، يكنى أبا هارون، و كان ينزل قباء. و زعم إسحاق أنه كان جميل الوجه، حسن الغناء، طيّب الصوت، جيّد الصّنعة، حسن الرأي و المروءة، فقيها قارئا للقرآن، و كان يغنّي مرتجلا، و أدرك دولة بني أميّة، و بقي إلى أيام الرشيد، و ذكر ابن خرداذبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه: أنه كان معدّل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق.

جاءه عباد بن سلمة ليلا و طلب منه أن يغنيه:

و أخبرنا محمد بن خلف وكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن سلمة بن عبّاد ولي القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عبّاد بن سلمة عطرّدا و هو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن عليّ و أقام معهم؛ فأتى بابه ليلا فدقّ عليه و معه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس، فخرج عطرّد إليه، فلما رآه و من معه فزع؛ فقال: لا ترع.

إني قصدت إليك من أهلي # في حاجة يأتي لها مثلي

فقال: و ما هي أصلحك اللّه؟قال:

لا طالبا شيئا إليك سوى # «حيّ الحمول بجانب العزل» [1]

/فقال: انزلوا على بركة اللّه، فلم يزل يغنّيهم هذا و غيره حتى أصبحوا.

نسبة هذا الصوت

صوت

حيّ الحمول بجانب العزل # إذ لا يوافق شكلها شكلي

اللّه أنجح ما طلبت به # و البرّ خير حقيبة الرّحل

إني بحبلك واصل حبلي # و بريش نبلك رائش نبلي

و شمائلي ما قد علمت و ما # نبحت كلابك طارقا مثلي

الشعر لامرئ القيس بن عابس الكنديّ، هكذا روى أبو عمرو الشّيبانيّ، و قال: إن من يرويه [1]العزل: موضع في ديار قيس، ذكره البكري في «معجم ما استعجم» (ج 2 ص 659) ، و استشهد له بهذا الشطر من شعر امرئ القيس.

لامرئ القيس بن حجر يغلط. و الغناء لعطّرد ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة، و فيه لعمرو بن بانة ثقيل بالوسطى من روايته أيضا، و فيه لابن عائشة خفيف رمل بالبنصر، و فيه عنه و عن دنانير لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، و فيه عنه أيضا لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر.

غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهدي:

و أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ و أخبرني به الحسن بن عليّ قال:

كتب إليّ أبو أيّوب المدينيّ، و خبره أتمّ، قال: حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المعيطيّ[1]قال:

دخلت على المهديّ، و قد كان وصف له غنائي، فسألني عن الغناء و عن علمي به، فجاذبته من ذلك طرفا؛ فقال لي: أ تغنّي النواقيس؟قلت: نعم، و أغنّي الصّلبان يا أمير المؤمنين، فتبسّم. و النواقيس لحن معبد، كان معبد و أهل الحجاز يسمونه النواقيس، و هو:

سلا دار ليلى هل تبين فتنطق # و أنّي تردّ القول بيداء سملق

/قال: ثم قال لي المهديّ و هو يضحك: غنّه، فغنّيته فأمر لي بمال جزيل و خلع عليّ و صرفني، ثم بلغني أنه قال: هذا معيطيّ[2]و أنا لا آنس به، و لا حاجة لي إلى أن أدنيه من خلوتي و أنا لا آنس به. هكذا ذكر في هذا الخبر أن اللّحن لمعبد، و ما ذكره أحد من رواة الغناء له، و لا وجد في ديوان من دواوينهم منسوبا إليه على انفراد به[3] و لا شركة فيه، و لعلّه غلط.

تنادر إبراهيم بن خالد المعيطيّ على ابن جامع:

و قد أخبرني هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال:

كان إبراهيم بن خالد المعيطيّ يغنّي، فدخل يوما الحمّام و ابن جامع فيه، و كان له شيء يجاوز ركبتيه، فقال له ابن جامع: يا إبراهيم أ تبيع هذا البغل؟قال: لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج ابن جامع من الحمّام رأى ثياب المعيطي رثّة فأمر له بخلعة من ثيابه، فقال له المعيطيّ: لو قبلت حملاني[4]قبلت خلعتك، فضحك ابن جامع و قال له: مالك أخزاك اللّه!ويلك! أ ما تدع ولعك و بطالتك و شرّك!و دخل إلى الرشيد فحدّثه حديثه؛ فضحك و

أمر بإحضاره، فأحضر، فقال له: أ تغنّي النواقيس؟قال: نعم، و أغنّي الصلبان أيضا. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه.

[1]هذا الخبر و الذي بعده خاصان «بإبراهيم بن خالد المعيطيّ» و لم نجد أية مناسبة لذكرهما هنا في أخبار «عطرد» و قد ورد مثل ذلك كثيرا في «الأغاني» و لم نعرف له تعليلا.

[2]ذكر صاحب «القاموس» أبا معيط والد عقبة بن أبي معيط و ذكر أن معيطا أبو حيّ من قريش و لم يذكر السمعاني في «الأنساب» عند اسم «المعيطي» إلا المنسوبين إلى أبي معيط إما بالولادة و إما بالولاء؛ و لعل إبراهيم هذا منسوب إلى أبي معيط، و يكون المهديّ قد أنكره لما كان من عقبة بن أبي معيط من شدّة إيذائه للنبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إنه قذف على ظهره سلى جزور و هو ساجد عند الكعبة، و بنو أبي معيط يسمّون صبية النار، لأن عقبة حين أخذ يوم بدر و أراد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قتله، قال: من للصبية بعدي؟قال: النار (انظر «الأغاني» ج 1 ص 17 من هذه الطبعة) .

[3]كذا في أ، ء، م، و في باقي الأصول: «انفراده» بالإضافة و بدون «به» .

[4]الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

كان عطرّد منقطعا إلى آل سليمان بن عليّ:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال: كان عطرّد منقطعا في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يخدم غيرهم، و توفّي في خلافة المهديّ.

قال: و كان يوما يغنّي/بين يدي سليمان بن عليّ، فغنّاه:

صوت

أله فكم من ماجد قد لها # و من كريم عرضه وافر

-الغناء لعطرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ-فقيل له: سرقت هذا من لحن الغريض: يا ربع سلاّمة بالمنحنى # فخيف[1]سلع جادك الوابل

فقال: لم أسرقه و لكنّ العقول تتوافق، و حلف أنه لم يسمعه قطّ.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا ربع سلاّمة بالمنحنى # فخيف سلع جادك الوابل

إن تمس وحشا طالما قد ترى # و أنت معمور بهم آهل

أيام سلاّمة رعبوبة[2] # خود لعوب حبّها قاتل

محطوطة[3]المتن هضيم الحشى # لا يطّبيها[4]الورع[5]الواغل[6]

/الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ. قال: و من الناس من ينسبه إلى ابن سريج.

حبسه زبراء والي المدينة مع المغنين ثم أطلقه و أطلقهم:

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جدّي عليّ بن يحيى قال حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال: كنت مع زبراء بالمدينة و هو وال عليها؛ و هو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا و حبس عطرّد فيهم، فجلس ليعرضهم، و حضر رجال من أهل المدينة شفعوا لعطرّد، و أخبروه أنه من أهل الهيئة و المروءة و النّعمة و الدّين، فدعا به فخلّى سبيله، و أمره برفع حوائجه إليه فدعا له، و خرج فإذا هو بالمغنّين أحضروا ليعرضوا، فعاد إليه عطرّد، فقال: أصلح اللّه الأمير، أعلى الغناء حبست

هؤلاء؟ [1]الخيف: الناحية أو ما انحدر عن غلظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء. و سلع: اسم لمواضع كثيرة: منها جبال و منها أودية.

[2]الرعبوبة: الناعمة.

[3]محطوطة المتن: ممدودته في حسن و استواء.

[4]لا يطبيها: لا يستميلها.

[5]الورع: الجبان الضعيف.

[6]الواغل: الداخل على القوم في طعامهم و شرابهم من غير دعوة.

قال: نعم؛ قال: فلا تظلمهم، فو اللّه ما أحسنوا منه شيئا قط!فضحك و خلّى سبيلهم.

استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب و ألقى نفسه في بركة خمر:

أخبرني محمد بن مزيد و جحظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيّوب بن إسماعيل قال: لما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرّد المغنّي؛ قال عطرّد: فأقرأني العامل الكتاب و زوّدني نفقة و أشخصني إليه، فأدخلت عليه و هو جالس في قصره على شفير بركة مرصّصة مملوءة خمرا ليست بالكبيرة و لكنها يدور الرجل فيها سباحة، فو اللّه ما تركني أسلّم عليه حتى قال: /أ عطرد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ قال: لقد كنت إليك مشتاقا يا أبا هارون. غنّني: حيّ الحمول بجانب العزل # إذ لا يلائم شكلها شكلي

إني بحبلك واصل حبلي # و بريش نبلك رائش نبلي

و شمائلي ما قد علمت و ما # نبحت كلابك طارقا مثلي

قال: فغنّيته إيّاه، فو اللّه ما أتممته حتى شقّ حلّة وشى كانت عليه لا أدري كم قيمتها، فتجرّد/منها كما ولدته أمّه و ألقاها نصفين، و رمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تبيّنت-علم اللّه-فيها أنها قد نقصت نقصانا بينا، و أخرج منها و هو كالميّت سكرا، فأضجع و غطّي، فأخذت الحلّة و قمت، فو اللّه ما قال لي أحد: دعها و لا خذها، فانصرفت إلى منزلي متعجّبا مما رأيت من ظرفه و فعله و طربه؛ فلما كان من غد جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني، فلما دخلت عليه قال لي: يا عطرّد، قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين؛ قال غنّني: أ يذهب عمري هكذا لم أنل بها # مجالس تشفي قرح قلبي من الوجد

و قالوا تداو إنّ في الطّبّ راحة # فعلّلت نفسي بالدواء فلم يجد

فغنّيته إيّاه، فشقّ حلّة وشى كانت تلتمع عليه بالذهب التماعا احتقرت و اللّه الأولى عندها، ثم ألقى نفسه في البركة فنهل فيها حتى تبيّنت-علم اللّه-نقصانها، و أخرج[منها][1]كالميّت سكرا، و ألقي و غطّي فنام، و أخذت الحلّة فو اللّه ما قال لي أحد: دعها و لا خذها، و انصرفت؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله فدخلت إليه و هو في بهو قد ألقيت ستوره، فكلّمني

من وراء الستور و قال: يا عطرّد/، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأني بك الآن قد أتيت المدينة فقمت بي في مجلسها و محفلها و قعدت و قلت: دعاني أمير المؤمنين فدخلت إليه فاقترح عليّ فغنّيته و أطربته فشقّ ثيابه و أخذت سلبه و فعل و فعل، و اللّه يا ابن الزانية، لئن تحرّكت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربنّ عنقك، يا غلام أعطه ألف دينار، خذها و انصرف إلى المدينة؛ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده، و يزوّدني نظرة منه و أغنّيه صوتا!فقال: لا حاجة بي و لا بك إلى ذلك، فانصرف. قال عطرّد: فخرجت من عنده و ما علم اللّه أني ذكرت شيئا مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة.

[1]الزيادة عن ء.

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل ممّا غنّاه عطرّد الوليد قد نسب في أوّل أخباره، و الثاني الذي أوّله: أ يذهب عمري هكذا لم أنل بها

الغناء فيه لعطرّد ثاني ثقيل بالسبّابة[1]في مجرى البنصر عن إسحاق، و فيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته؛ و ذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

صوت من المائة المختارة

إن امرأ تعتاده ذكر[2] # منها ثلاث منى لذو صبر

و مواقف بالمشعرين[3]لها # و مناظر الجمرات[4]و النحر

و إفاضة الرّكبان خلفهم # مثل الغمام أرذّ[5]بالقطر

حتى استلمن الركن في أنف[6] # من ليلهنّ يطأن في الأزر[7]

يقعدن في التّطواف آونة # و يطفن أحيانا على فتر[8]

ففرغن من سبع و قد جهدت[9] # أحشاؤهنّ موائل الخمر[10]/

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ، و الغناء في اللحن المختار للأبجر، و إيقاعه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأوّل و الثاني و السادس من الأبيات عن إسحاق. و فيه للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و لابن سريج في الثالث و الرابع رمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

[1]في أ، م، ء: «ثاني ثقيل بالوسطى» .

[2]كذا في ء، أ، م، و في باقي الأصول ذكرى.

[3]المشعر: موضع مناسك الحج.

[4]الجمرات: الحصى الذي يرمي به الحاجّ.

[5]أرذ: أمطر الرذاذ و هو المطر الضعيف.

[6]الأنف: أوّل زمان مستقبل.

[7]الأزر: جمع إزار.

[8]الفتر: الضعف.

[9]جهد (بضم الجيم على البناء للمفعول) : صار مجهودا.
[10]الخمر: جمع خمار و هو ما تغطّي به المرأة رأسها.

36-أخبار الحارث بن خالد المخزوميّ و نسبه

نسبه من قبل أبويه:

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب. و أمّه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، و أمّها بنت أبي جهل بن هشام. و كان العاص بن هشام جدّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بدر فقتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه.

قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه و أرسله بدله يوم بدر:

حدّثني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني مصعب بن عبد اللّه قال:

قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشر من الإبل فقمره[1]أبو لهب، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيء، فقال له: إني أرى القداح قد حالفتك يا ابن عبد المطّلب فهلمّ أقامرك، فأيّنا قمر كان عبدا لصاحبه، قال: افعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقّه فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم و قال: افتدوه منّي بعشر من الإبل؛ فقالوا: لا و اللّه و لا بوبرة، فاسترقّه فكان يرعى له إبلا إلى أن خرج المشركون إلى بدر. و قال غير مصعب: فاسترقّه و أجلسه قينا[2]يعمل الحديد.

فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلا، و كان أبو لهب عليلا فأخرجه و قعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه يومئذ.

ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل، و حبه عائشة بنت طلحة و ولايته مكة:

و الحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغزليّين، و كان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح و لا الهجاء، و كان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد اللّه و يشبّب بها؛ و ولاّه عبد الملك بن مروان مكّة، و كان ذا قدر و خطر و منظر في قريش؛ و أخوه عكرمة بن خالد المخزوميّ محدّث جليل من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ و له أيضا أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعر، و هو الذي يقول:

رحل الشباب وليته لم يرحل # و غدا لطيّة[3]ذاهب متحمّل[4]

ولّى بلا ذمّ و غادر بعده # شيبا أقام مكانه في المنزل

ليت الشباب ثوى لدينا حقبة # قبل المشيب وليته لم يعجل

[1]قمره: غلبه في المقامرة.

[2]القين: الحدّاد.

[3]الطية: المنتأى، و القصد، و النية التي تنتوي.

[4]المتحمل: الراحل.

فنصيب من لذّاته و نعيمه # كالعهد إذ هو في الزمان الأوّل

و فيه غناء.

كان أبو عمرو بن العلاء يرسل إليه أخاه معاذا يسأله عن بعض الحروف:

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

قال معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يحجّ استبضعني[1]الحروف[2]أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر و آتيه بجوابها؛ قال: فقدمت عليه سنة من السنين و قد ولّاه عبد الملك بن مروان مكة، فلما رآني قال: يا معاذ، /هات ما معك من بضائع أبي عمرو، فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك و هو أمير.

هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار، و أخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، و لفظه أتمّ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال:

كانت العرب تفضّل قريشا في كلّ شيء إلا الشعر، فلما نجم في قريش عمر بن أبي ربيعة و الحارث بن خالد المخزوميّ و العرجيّ و أبو دهبل و عبيد[3]اللّه بن قيس الرّقيّات[4]، أقرّت لها العرب بالشعر أيضا.

تفاخر مولى له و مولى لابن أبي ربيعة بشعريهما:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم و إسماعيل بن يونس و حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسّان قال:

تفاخر مولى لعمر بن أبي ربيعة و مولى للحارث بن خالد بشعريهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر: دعني منك فإنّ مولاك و اللّه لا يعرف المنازل إذا قلبت، يعني قول الحارث:

إني و ما نحروا غداة منى # عند الجمار تئودها[5]العقل

[1]كذا في الأصول، و لم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا كـ «اللسان» و «القاموس» «استبضع» متعديا لمفعولين، و الموجود «استبضع

الشيء» أي جعله بضاعته. و الموجود متعديا من هذه المادة «أبضعني» فإنه يقال: أبضعني البضاعة أي أعطاني إياها.

[2]الحروف: الكلمات واحدها حرف.

[3]كذا ورد هذا الاسم في «الأغاني» في ترجمته ج 4 ص 155 طبع بولاق و «شرح القاموس» مادة «رقى» و «ولاة مصر» للكندي ص 52 و «الموشح» للمرزباني ص 150، 186، 221 و قد ورد في جميع الأصول: «عبد اللّه» و ورد كذلك في «نقائض جرير و الفرزدق» ص 598 و قد ورد في الطبري قسم 2 ص 790، 812، 828، 1173 باسم ابن قيس الرقيات فقط، و ذكر البغدادي في «الخزانة» : أن لقيس ابنين عبيد اللّه و عبد اللّه و اختلفوا في الشاعر منهما، فقال ابن قتيبة و المبرد في «الكامل» : هو عبد اللّه المكبر، و قال المرزبانيّ في «معجمه» : هو عبيد اللّه بالتصغير، قال: و من الرواة من يقول الشاعر عبد اللّه و هو خطأ.

[4]ذكر البغدادي في «الخزانة» في ترجمته ج 3 ص 267 أنه يقال: الرقيات بالرفع على أنه صفة لعبد اللّه و بالجر على الإضافة لأنه قيل:

إن في جدّاته ثلاث نسوة يسمين بهذا الاسم أو أنهن زوجاته أو محبوباته.

[5]كذا في حـ، و معناه تثقلها. و في سائر الأصول «تؤدّها» من أدّه الأمر يؤدّه و يئدّه إذا دهاه. و العقل: جمع عقال و يجوز في عين هذا الجمع التسكين كما هنا.

لو بدّلت أعلى[1]مساكنها # سفلا و أصبح سفلها يعلو

/فيكاد يعرفها الخبير بها # فيردّه الإقواء[2]و المحل

لعرفت مغناها بما احتملت # منّي الضلوع لأهلها قبل

-قال عمر بن شبّة: و حدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحو ممّا ذكره أبو غسّان، و زاد فيه: -فقال مولى ابن أبي ربيعة لمولى الحارث: و اللّه ما يحسن مولاك في شعر إلا نسب إلى مولاي.

قال ابن سلاّم: و أنشد الحارث بن خالد عبد اللّه بن عمر هذه الأبيات كلّها حتى انتهى إلى قوله: لعرفت مغناها بما احتملت # منّي الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن عمر: قل: إن شاء اللّه؛ قال: إذا يفسد بها الشعر يا عمّ، فقال له: يا بن أخي، إنه لا خير في شيء يفسده «إن شاء اللّه» . قال عمر: و حدّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر و لم يسندها إلى أحد، و أظنّه لم يروها إلا عن محمد بن سلاّم. و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي الفضل المرورّوذيّ عن إسحاق عن أبي عبيدة، فذكر قصّة الحارث مع ابن عمر مثل الذي تقدّمه.

فضّله كثيّر الشاعر في الشعر على نفسه و أنشد من شعره:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن يحيى بن عروة بن أذينة عن أبيه قال: كان كثيّر جالسا في فتية من قريش إذ مرّ بهم سعيد الراس[3]، و كان مغنّيا، فقالوا لكثيّر: يا أبا صخر، هل لك أن نسمعك غناء هذا، فإنه مجيد؟قال: افعلوا؛ فدعوا به فسألوه أن يغنّيهم:

صوت

هلاّ سألت معالم الأطلال # بالجزع من حرض[4]و هنّ بوالي

سقيا لعزّة خلّتي سقيا لها # إذ نحن بالهضبات من أملال[5]

إذ لا تكلّمنا و كان كلامها # نفلا[6]نؤمّله من الأنفال

فغنّاه، فطرب كثيّر و ارتاح، و طرب القوم جميعا، و استحسنوا قول كثيّر، و قالوا له: يا أبا صخر ما يستطيع[7] [1]كذا في حـ و في باقي الأصول: «أعلام ساكنها» و هو تحريف.

[2]أقوت الدار إقواء: أقفرت، و المحل: الجدب.

[3]لم نوفق إلى ضبط هذا الاسم، فلعله «الرأس» وزان شداد و هو بائع الرءوس.

[4]حرض: واد عند أحد.

[5]أملال و يقال له ملل: موضع على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية و عشرين ميلا من المدينة، هكذا ذكره ياقوت في «معجمه» و استشهد بهذا البيت من شعر كثيّر.

[6]النفل: الغنيمة و العطية.

[7]كذا في جميع الأصول «ما يستطيع» بدون همزة الاستفهام، و لكن الجواب بكلمة «بلى» يدل على أن القصد من الجملة الاستفهام، و همزة الاستفهام مما يجوز حذفه (انظر «المغني» لابن هشام في بحث الألف من الباب الأوّل) . و يحتمل أن يكون «ما يستطيع» نفيا محضا و أن التحريف في «بلى» و أن أصلها «بل» الإضرابية. ـ

أحد أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول:

صوت

إني و ما نحروا غداة منى # عند الجمار تئودها العقل

لو بدّلت أعلى مساكنها # سفلا و أصبح سفلها يعلو

لعرفت مغناها بما احتملت # منّي الضلوع لأهلها قبل

نسبة ما في هذه الأخبار من «الأغاني» في أبيات كثيّر الأوّل التي أوّلها:

هلاّ سألت معالم الأطلال

لابن سريج منها في الثاني و الثالث رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. و للغريض في الأوّل و الثاني ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عنه. و فيهما[1]العلّويه/رمل بالوسطى عن عمرو. و في أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصليّ رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا.

تمثّل أشعب بشعره في علوّ الزبيريين على العلويين:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: دخل أشعب مسجد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم فجعل يطوف الحلق[2]، فقيل له: ما تريد؟فقال: أستفتي في مسألة؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير و هو مسند إلى سارية[3]و بين يديه رجل علويّ، فخرج أشعب مبادرا؛ فقال له الذي سأله عن دخوله و تطوافه: أوجدت من أفتاك في مسألتك؟قال: لا، و لكني علمت ما هو خير لي منها؛ قال: و ما ذاك؟قال: وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد: قد بدّلت أعلى مساكنها # سفلا و أصبح سفلها يعلو

رأيت رجلا من ولد الزبير جالسا في الصدر، و رجلا من ولد عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه جالسا بين يديه، فكفى هذا عجبا، فانصرفت.

كان مروانيا و كل بني مخزوم زبيرية:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، و أخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان، و أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا [1]في ب، س، م: «و فيها» .

[2]الحلق: جمع حلقة و هي دائرة القوم و حلقتهم؛ و هذا الجمع على النادر كهضبة و هضب.

[3]السارية: العمود.

عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو[1]عبد اللّه بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به/أبو أيوب سليمان بن أيوب[2]المدنيّ قال حدّثنا مصعب الزّبيريّ، و أخبرني به أيضا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي، و قد جمعت رواياتهم في هذا الخبر: أنّ بني مخزوم كلّهم كانوا زبيريّة سوى الحارث بن خالد فإنه كان مروانيا.

ذهب إلى الشأم مع عبد الملك فحجبه و جفاه فقال شعرا فقرّبه و ولاه مكة:

فلما ولي عبد الملك الخلافة عام الجماعة وفد عليه في دين كان عليه و ذلك في سنة خمس و سبعين؛ و قال مصعب في خبره: بل حجّ عبد الملك في تلك السنة فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق، فظهرت له منه جفوة، و أقام ببابه شهرا لا يصل إليه، فانصرف عنه و قال فيه: صحبتك إذ عيني عليها غشاوة # فلما انجلت قطّعت نفسي ألومها

و ما بي و إن أقصيتني من ضراعة # و لا افتقرت نفسي إلى من يضيمها

هذا البيت في رواية ابن المرزبان وحده:

عطفت عليك النفس حتى كأنما # بكفّيك بؤسي أو عليك نعيمها

عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة حتى تطوف عائشة بنت طلحة:

/و بلغ عبد الملك خبره و أنشد الشعر، فأرسل إليه من ردّه من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حار[3]، أخبرني عنك: هل رأيت عليك في المقام ببابي غضاضة أو في قصدي دناءة؟قال: لا و اللّه يا أمير المؤمنين؛ قال: فما حملك على ما قلت و فعلت؟قال: جفوة ظهرت لي، كنت[4]حقيقا بغير هذا، قال: فاختر، فإن شئت أعطيتك مائة ألف درهم، أو قضيت دينك، أو ولّيتك مكّة سنة، فولاّه إياها، فحجّ بالناس و حجّت عائشة بنت طلحة عامئذ، و كان يهواها، فأرسلت إليه: أخّر/الصلاة حتى أفرغ من طوافي، فأمر المؤذّنين فأخّروا الصلاة حتى فرغت من طوافها، ثم أقيمت الصلاة فصلّى بالناس، و أنكر أهل الموسم ذلك من فعله و أعظموه، فعزله و كتب إليه يؤنّبه فيما فعل؛ فقال: ما أهون و اللّه غضبه إذا رضيت!و اللّه لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخّرت الصلاة إلى الليل. فلمّا قضت حجّها أرسل إليها: يا ابنة عمّي ألمّي بنا أوعدينا مجلسا نتحدّث فيه؛ فقالت: في غد أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صوت

ما ضرّكم لو قلتم سددا # إنّ المطايا عاجل غدها

و لها علينا نعمة سلفت # لسنا على الأيام نجحدها

لو تمّمت أسباب نعمتها # تمّت بذلك عندنا يدها

[1]كلمة «أبو» ساقطة في حـ.

[2]في حـ: أبو أيوب.

[3]حار: ترخيم حارث.

[4]كذا في الأصول و لعله «و كنت» بالواو.

لمعبد في هذه الأبيات ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة و يونس و دنانير، و قد ذكره إسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلا أوّل في أصوات قليلة الأشباه؛ و قال عمرو بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض.

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

و ما بي و إن أقصيتني من ضراعة # و لا افتقرت نفسي إلى من يهينها

بلى بأبي إني إليك لضارع # فقير و نفسي ذاك منها[1]يزينها

/البيت الأوّل للحارث بن خالد، و الثاني ألحق به. و الغناء للغريض ثقيل أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ.

و ذكر الهشاميّ أن لحن الغريض خفيف ثقيل في البيت الأوّل فقط، و حكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله: و لا افتقرت نفسي إلى من يضيمها

و أن الثقيل الأوّل لعليّة بنت المهديّ، و من غنائها البيت المضاف. و أخلق بأن يكون الأمر على ما ذكره، لأن البيت الثاني ضعيف يشبه شعرها.

تزوّج مصعب بعائشة و رحل بها إلى العراق فقال الحارث شعرا:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر و إسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى قال: لما تزوّج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة و رحل بها إلى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك:

صوت

ظعن الأمير بأحسن الخلق # و غدا بلبّك مطلع الشّرق

/في البيت ذي الحسب الرفيع و من # أهل التّقى و البرّ و الصّدق

فظللت كالمقهور مهجته # هذا الجنون و ليس بالعشق

أترجّة عبق العبير بها # عبق الدّهان بجانب الحقّ

ما صبّحت أحدا برؤيتها # إلا غدا بكواكب الطّلق[2]

و هي أبيات، غنّى ابن محرز في البيتين الأوّلين خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و ذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلا بالوسطى، و ذكر/حبش أن فيهما لمالك رملا بالوسطى، و ذكر حبش أيضا

أن فيهما للدّلال ثاني ثقيل بالبنصر، و لابن سريج و مالك رملين، و لسعيد بن جابر هزجا بالوسطى.

[1]كذا في ب، س، حـ، و في سائر الأصول: «منك» .

[2]يقال: يوم طلق أي مشرق لا برد فيه و لا حرّ و لا شيء يؤذي، و يقال أيضا: ليلة طلق و ليلة طلقة. يريد: أن من تصبحه برؤيتها، يرى الزمان صافيا طيبا سعيدا، هاؤلا بطلعتها و استبشارا.

استأذن على عائشة بنت طلحة و كتب لها مع الغريض و أمره أن يغني لها من شعره فوعدته و خرجت من مكة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر و الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ابن جعدبة قال: لما أن قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد و هو أمير على مكة: إني أريد السلام عليك، فإذا خفّ عليك أذنت، و كان الرسول الغريض، فقالت له: إنّا حرم، فإذا أحللنا أذنّاك، فلما أحلّت سرت على بغلاتها، و لحقها الغريض بعسفان[1]أو قريب منه، و معه كتاب الحارث إليها: ما ضرّكم لو قلتم سددا

-الأبيات المذكورة-؛ فلما قرأت الكتاب قالت: ما يدع الحارث باطله!ثم قالت للغريض: هل أحدثت شيئا؟قال: نعم، فاسمعي، ثم اندفع يغنّي في هذا الشعر؛ فقالت عائشة: و اللّه ما قلنا إلا سددا، و لا أردنا إلا أن نشتري لسانه؛ و أتى على الشعر كلّه، فاستحسنته عائشة، و أمرت له بخمسة آلاف درهم و أثواب، و قالت: زدني، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضا: زعموا بأن البين بعد غد # فالقلب مما أحدثوا يجف

و العين منذ أجدّ بينهم # مثل الجمان دموعها تكف

/و مقالها و دموعها سجم # أقلل حنينك حين تنصرف

تشكو و نشكو ما أشتّ[2]بنا # كلّ بوشك البين معترف

-إيقاع هذا الصوت ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ، و لم يذكر له حماد طريقا-قال: فقالت له عائشة: يا غريض، بحقّي عليك أ هو أمرك أن تغنّيني في هذا الشعر؟فقال: لا، و حياتك يا سيدتي!فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت له: غنّني في شعر[3]غيره؛ فغنّاها[قول[4]عمر فيها]:

غناها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة:

صوت

أجمعت خلّتي مع الفجر بينا[5] # جلّل[6]اللّه ذلك الوجه زينا

أجمعت بينها و لم نك منها # لذّة العيش و الشباب قضينا

[1]ذكر ياقوت في «معجمه» عسفان فقال: قال أبو منصور: عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة و مكة، و قال غيره: عسفان بين المسجدين و هي من مكة على مرحلتين، و قيل: عسفان قرية جامعة بها منبر و نخيل و مزارع على ستة و ثلاثين ميلا من مكة و هي حدّتها.

[2]أشت بنا: فرّق أمرنا.

[3]في أ، ء، م: «في غير شعره» .

[4]الزيادة عن أ، ء.

[5]البين: الفراق. و أجمعت بينا: اعتزمته و صممت عليه.

[6]جلل: عمّ، و منه المجلل: للسحاب الذي يجلل الأرض بالمطر أي يعمها.

فتولّت حمولها و استقلّت # لم ننل طائلا و لم نقض دينا

و لقد قلت يوم مكّة لمّا # أرسلت تقرأ السلام علينا

أنعم اللّه بالرسول الذي أر # سل و المرسل الرسالة عينا[1]

/-الشعر لعمر بن أبي ربيعة، و الغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، و غيره ينسبه إلى ابن سريج. و فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى[2]عن عمرو، و أظنه هذا اللحن-قال: فضحكت ثم قالت: و أنت يا غريض فأنعم اللّه بك عينا، و بابن أبي ربيعة عينا، لقد تلطّفت حتى أدّيت إلينا رسالته، و إن وفاءك/له لممّا يزيدنا رغبة فيك و ثقة بك. و قد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيها هذا الصوت لأنه قد كان ترك ذكرها لمّا غضبت بنو تيم من ذلك، فلم يحبّ التصريح بها و كره إغفال ذكرها؛ و قال له عمر: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلك خمسة آلاف درهم.

غنى الغريض عاتكة بنت يزيد:

فوفى له بذلك، و أمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى؛ ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان، و كانت قد حجّت في تلك السنة، فقال لها جواريها: هذا الغريض؛ فقالت لهنّ: عليّ به، فجيء به إليها. قال الغريض: فلما دخلت سلّمت فردّت عليّ و سألتني عن الخبر، فقصصته عليها؛ فقالت: غنّني بما غنّيتها به، ففعلت فلم أرها تهشّ لذلك، فغنّيتها معرّضا لها و مذكّرا بنفسي في شعر مرّة بن محكان السّعديّ يخاطب امرأته و قد نزل به أضياف: أقول و الضّيف مخشيّ ذمامته[3] # على الكريم و حقّ الضيف قد وجبا

صوت

يا ربّة البيت قومي غير صاغرة # ضمّي إليك رحال القوم و القربا

في ليلة من جمادى ذات أندية[4] # لا يبصر الكلب من ظلمائها الطّنبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة # حتى يلفّ على خيشومه الذّنبا

-الشعر لمرّة بن محكان السّعديّ، و الغناء لابن سريج. ذكر يونس أن فيه ثلاثة ألحان، فوجدت منها واحدا في كتاب عمرو بن بانة رملا بالوسطى، و الآخر في كتاب/الهشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى، و الآخر ثاني ثقيل في كتاب أحمد بن المكيّ-قال: فقالت و هي متبسّمة: قد وجب حقّك يا غريض، فغنّني؛ فغنّيتها: [1]ورد هذا البيت في «اللسان» ج 16 ص 60 هكذا:

و الرسول في هذه الرواية: اسم بمعنى الرسالة، و أصله مصدر و فعله ممات.

[2]في ء: «و فيه لمعبد خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن عمرو» .

[3]الذمامة (بالفتح و تكسر) : الذمة و العهد.

[4]أندية: جمع ثدي (وزان فتى) ، و هو ما يسقط بالليل، و هذا الجمع شاذ، لأن أفعلة إنما يكون جمعا لما كان ممدودا مثل كساء و أكسية. و قد تمحل بعضهم لتصحيح هذا الجمع أوجها لا تخلو من التعسف. (انظر «اللسان» مادة ندى) .

صوت

يا دهر قد أكثرت فجعتنا # بسراتنا و وقرت[1]في العظم

و سلبتنا ما لست مخلفه # يا دهر ما أنصفت في الحكم

لو كان لي قرن أناضله # ما طاش عند حفيظة سهمي

لو كان يعطي النّصف[2]قلت له # أحرزت سهمك فاله عن سهمي[3]

فقالت: نعطيك النّصف و لا نضيع سهمك عندنا، و نجزل لك قسمك، و أمرت لي بخمسة آلاف درهم و ثياب عدنيّة[4]و غير ذلك من الألطاف، و أتيت الحارث بن خالد فأخبرته الخبر و قصصت عليه القصّة؛ فأمر لي بمثل ما أمرتا لي به جميعا، فأتيت ابن أبي ربيعة و أعلمته بما جرى، فأمر لي بمثل ذلك، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثلي ما انصرفت به: بنظرة/من عائشة و نظرة من عاتكة و هما من أجمل نساء عالمهما، و بما أمرتا لي به، و بالمنزلة عند الحارث و هو أمير مكّة، و ابن أبي ربيعة، و ما أجازاني به جميعا من المال.

لما حجت عائشة بنت طلحة استأذنها في زيارتها فوعدته ثم هربت:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أبو الحسن المروزيّ قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال: /لما حجّت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد و هو أمير مكة: أنعم اللّه بك عينا و حيّاك، و قد أردت زيارتك فكرهت ذلك إلاّ عن أمرك، فإن أذنت فيها فعلت؛ فقالت لمولاة لها جزلة[5]: و ما أردّ على هذا السفيه؟فقالت لها: أنا أكفيك، فخرجت إلى الرسول و قالت له: اقرأ عليه السّلام، و قل له: و أنت أنعم اللّه بك عينا و حيّاك، نقضي نسكنا ثم يأتيك رسولنا إن شاء اللّه، ثم قالت لها: قومي فطوفي و اسعي و اقضي عمرتك و اخرجي في الليل، ففعلت؛ و أصبح الحارث فسأل عنها فأخبر خبرها، فوجّه إليها رسولا بهذه الأبيات، فوجدها قد خرجت عن عمل مكّة، فأوصل الكتاب إليها، فقالت لمولاتها: خذيه فإني أظنه بعض سفاهاته، فأخذته و قرأته و قالت له: ما قلنا إلا سددا[6]و أنت فارغ للبطالة[7]، و نحن عن فراغك في شغل.

سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعرا:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ و إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قالوا حدّثنا عمر بن

شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: زعم كلثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضّحّاك بن قيس الفهريّ قال: [1]وقر العظم: صدعه.

[2]النصف مثلثة: اسم بمعنى الانتصاف.

[3]السهم: النصيب و الحظ، و السهم في البيت الذي قبله: ما يرمي به و هو واحد النبل.

[4]في أ، ء، م: «عربيّة» .

[5]الجزلة: العاقلة الأصيلة الرأي.

[6]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «سدادا» . و السدد و السداد في القول: أن يكون صوابا.

[7]البطالة (بفتح الباء) : اتباع اللهو.

قدم المدينة قادم من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة، فقالت له: من أين أقبل الرجل؟قال: من مكّة، فقالت: فما فعل الأعرابيّ؟فلم يفهم ما أرادت، فلما عاد إلى مكّة دخل على الحارث، فقال له: من أين؟قال: من المدينة، قال: فهل دخلت على عائشة بنت طلحة؟قال: نعم، قال: فعمّاذا سألتك؟/قال: قالت لي: ما فعل الأعرابيّ؟قال له الحارث: فعد إليها و لك هذه الراحلة و الحلة و نفقتك لطريقك و ادفع إليها هذه الرقعة، و كتب إليها فيها:

صوت

من كان يسأل عنا أين منزلنا # فالأقحوانة[1]منا منزل قمن[2]

إذ نلبس العيش صفوا ما يكدّره # طعن الوشاة و لا ينبو بنا الزمن

قال إسحاق: و زادني غير كلثوم فيها:

ليت الهوى لم يقرّبني إليك و لم # أعرفك إذ كان حظّي منكم الحزن

غنّى في هذه الأبيات ابن محرز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، و ذكر يونس أن فيها لحنا و لم يجنّسه، و ذكر عمرو أن فيه لبابويه ثاني ثقيل بالبنصر.

غضب على الغريض ثم رق له و غناه الغريض في شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم، قال: لما ولّى عبد الملك بن مروان الحارث بن خالد المخزوميّ مكّة بعث إلى الغريض فقال له: لا أريبّك في عملي[3]، و كان قبل ذلك يطلبه و يستدعيه فلا يجيبه، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف، و بلغ ذلك الحارث فرقّ له فردّه و قال له: لم كنت تبغضنا و تهجر شعرنا و لا تقربنا؟قال له الغريض: كانت هفوة من هفوات/النفس، و خطرة من خطرات الشيطان، و مثلك وهب الذنب، /و صفح عن الجرم، و أقال العثرة، و غفر الزّلّة، و لست بعائد إلى ذلك أبدا؛ قال: و هل غنّيت في شيء من شعري؟قال: نعم، قد غنّيت في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هات ما غنّيت، فغنّيت:

صوت

بان الخليط فما عاجوا و لا عدلوا # إذ ودّعوك و حنّت بالنوى[4]الإبل

[1]الأقحوانة: موضع قرب مكة. قال الأصمعيّ: هي ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام.

[2]القمن (بالتحريك) : الخليق و الجدير كالقمن (بكسر الميم) إلا أن الأوّل لا يثني و لا يجمع و لا يؤنث، لأنه مصدر وصف به بخلاف الثاني فإنه نعت، و يعدّى بالباء و من، يقال: هو قمن به و منه، و هذا المنزل لك موطن قمن أي جدير أن تسكنه. و يحتمل أن يكون «قمن» في البيت بمعنى قريب.

[3]في عمل أي في البلد الذي تحت حكمي.

[4]في أ: «و راحت بالدمى» .

كأن فيهم غداة البين إذ رحلوا # أدماء[1]طاع[2]لها الحوذان[3]و النّفل[4]

-الغناء للغريض ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ و حبش؛ قال حبش: و فيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، و لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر-فقال له: أحسنت و اللّه يا غريض، هات ما غنّيت فيه أيضا من شعري، فغنّاه في قوله:

صوت

يا ليت شعري و كم من منية قدرت # وفقا و أخرى أتى من دونها القدر

و مضمر الكشح يطويه الضجيع له # طيّ الحمالة[5]لا جاف و لا فقر[6]

له شبيهان[7]لا نقص يعيبهما # بحيث كانا و لا طول و لا قصر

/-لم أعرف لهذا الشعر لحنا في شيء من الكتب و لا سمعته-فقال له الحارث: أحسنت و اللّه يا غريض، إيه، و ما ذا[8]أيضا؟فغنّاه قوله: عفت الديار فما بها أهل # حزّانها[9]و دماثها[10]السهل

إني و ما نحروا غداة منى # عند الجمار تؤدها العقل

-الأبيات المذكورة و قد مضت نسبتها معها-فقال له الحارث: يا غريض لا لوم في حبّك، و لا عذر في هجرك، و لا لذّة لمن لا يروّح قلبه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّة حظّ إلا أنت لكان حظّا كافيا وافيا، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأزين الزينة ما فرح[11]النفس، و لقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء.

أنشدت سكينة بنت الحسين بيتا من شعره فنقدته:

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مصعب الزّبيريّ قال: أنشدت سكينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد:

ففرغن من سبع و قد جهدت # أحشاؤهن موائل الخمر

[1]الأدماء: الظبية البيضاء يعلوها جدد فيها غبرة، و قيل هي البيضاء الخالصة البياض، و قيل: هي التي لونها كلون الجبال.

[2]يقال: طاع له المرتع: أي اتسع و أمكنه رعيه متى شاء.

[3]الحوذان: ثبت سهليّ حلو طيّب الطعم.

[4]النفل: نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيّب الرائحة.

[5]الحمالة: علاقة السيف.

[6]الفقر: الكسير الفقار، و الفقار: ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب.

[7]كذا بالأصول، و لسنا على يقين من المعنى المراد.

[8]في الأصول: «و ما ذلك أيضا» .

[9]حزّان-بضم الحاء و كسرها و تشديد الزاي-: جمع «حزيز» و هو موضع من الأرض كثرت حجارته و غلظت كأنها السكاكين، أو هو ما غلظ و صلب من جلد الأرض مع إشراف قليل؛ و في قصيدة كعب بن زهير: ترمى الغيوب بعيني مفرد لهق # إذا توقدت الحزّان و الميل

[10]الدماث: السهول من الأرض.

[11]في حـ: «فرّج» بالجيم.

فقالت: أحسن عندكم ما قال؟قالوا: نعم، فقالت: و ما حسنه!فو اللّه لو طافت الإبل سبعا لجهدت أحشاؤها.

قيل له ما يمنعك من عائشة و قد مات زوجها فأجاب:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال:

لما مات عمر بن عبد اللّه التّيميّ عن عائشة بنت طلحة و كانت قبله عند مصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: ما يمنعك الآن منها؟قال: لا يتحدّث و اللّه رجال من قريش أنّ نسيبي بها كان لشيء من الباطل.

تنازع هو و أبان بن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان فقال شعرا:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد اللّه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: لما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان شغل عن أن يولّي على الحجّ رجلا، و كان الحارث بن خالد عامله على مكّة، فخرج أبان بن عثمان من المدينة و هو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكّة ليحجّ بالناس؛ فنازعه الحارث و قال له: لم يأتني كتاب أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم، و تغالبا فغلبه أبان بن عثمان/بنسبه، و مال إليه الناس فحجّ بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك: فإن تنج منها يا أبان مسلّما # فقد أفلت الحجّاج خيل شبيب

و كاد غداة الدّير[1]ينفد حضنه # غلام بطعن القرن جدّ طبيب

و أنسوه وصف الدّير لما رآهم # و حسّن خوف الموت كلّ معيب[2]

فلقيه الحجّاج بعد ذلك، فقال: ما لي و لك يا حارث!أ ينازعك أبان عملا فتذكرني!فقال له: ما اعتمدت مساءتك و لكن بلغني أنك أنت كاتبته، قال: و اللّه ما فعلت، فقال له الحارث: المعذرة إلى اللّه و إليك أبا محمد.

قال هشام حين سمع شيئا من شعره: هذا كلام معاين:

نسخت من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات: حدّثني عمرو[3]بن سلّم قال حدّثني هارون بن موسى الفرويّ قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدّب لبني هشام بن عبد الملك قال: /بينا أنا ألقي على ولد هشام شعر قريش إذ أنشدتهم شعر الحارث بن خالد: إن امرأ تعتاده ذكر # منها ثلاث منى لذو صبر

و هشام مصغ إليّ حتى ألقيت عليهم قوله:

ففرغن من سبع و قد جهدت # أحشاؤهن موائل الخمر

فانصرف و هو يقول: هذا كلام معاين.

[1]هو دير الجماجم، و فيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف و عبد الرحمن بن الأشعث.

[2]كذا في نسخة الشنقيطي طبع بولاق مصححة بخطه، و هو المناسب للسياق. و في جميع الأصول «مغيب» بالغين المعجمة.

[3]كذا في ب، س، و في أ، ء، م: «عمر بن مسلم» .

قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعرا:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو عبد اللّه السّدوسيّ قال و حدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عبيدة قال: قدمت عائشة بنت طلحة مكّة تريد العمرة، فلم يزل الحارث يدور حولها و ينظر إليها و لا يمكنه كلامها حتى خرجت، فأنشأ يقول-و ذكر في هذه الأبيات بسرة حاضنتها و كنى عنها-:

صوت

يا دار أقفر رسمها # بين المحصّب[1]و الحجون[2]

أقوت و غيّر آيها # مرّ الحوادث و السّنين

و استبدلوا ظلف[3]الحجا # زوسرّة[4]البلد الأمين

يا بسر إنّي فاعلمي # باللّه مجتهدا يميني

ما إن صرمت حبالكم # فصلي حبالي أو ذريني

/في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ و حبش، قال: و فيها لابن مسجح ثقيل أوّل، و ذكر أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملا بالبنصر؛ فيها لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش.

شبب بزوجته أم عبد الملك:

أخبرني الطّوسيّ و الحرميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزّبير، و أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مصعب الزّبيريّ قال: كانت أمّ عبد الملك بنت عبد اللّه بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد، فولدت منه فاطمة بنت الحارث، و كانت قبله عند عبد اللّه بن مطيع، فولدت منه عمران و محمدا، فقال فيها الحارث و كنّاها بابنها عمران: يا أمّ عمران ما زالت و ما برحت # بي الصبابة حتى شفّني الشّفق[5]

/القلب تاق إليكم كي يلاقيكم # كما يتوق إلى منجاته الغرق

تنيل نزرا قليلا و هي مشفقة # كما يخاف مسيس الحيّة الفرق[6]

قال مصعب بن عثمان: فأنشد رجل يوما بحضرة ابنها عمران بن عبد اللّه بن مطيع هذا الشعر، ثم فطن فأمسك؛ فقال له: لا عليك، فإنها كانت زوجته. و قال ابن المرزبان في خبره: فقال له: امض رحمك اللّه و ما بأس

[1]المحصب: موضع فيما بين مكة و منى و هو إلى منى أقرب.

[2]الحجون: جبل بأعلى مكة، و قال السكريّ: مكان من البيت على ميل و نصف ميل (انظر «معجم البلدان» لياقوت في اسم الحجون) .

[3]الظلف: ما لان من الأرض، و قيل: ما صلب و غلظ منها، و في ذلك أقوال كثيرة، (انظر «اللسان» مادة «ظلف») .

[4]سرّة البلد: وسطه.

[5]الشفق: رقة من حب تؤدّي إلى خوف.

[6]الفرق: بكسر الراء ككتف و بضمها كرجل: للشديد الفزع، و قيل يقال: رجل فرق (بكسر الراء) إذا فزع من الشيء و ليس من جبلته، و رجل فرق (بضمها) إذا فزع و كان منه الفزع جبلة. ـ

بذلك، رجل تزوّج[1]بنت عمّه و كان لها كفؤا كريما فقال فيها شعرا بلغ ما بلغ، فكان ما ذا!.

شبّب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة و حادثها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التّميميّ عن أبي شعيب الأسديّ عن القحذميّ قال: بينا الحارث بن خالد واقف على جمرة العقبة إذ رأى أمّ بكر و هي ترمي الجمرة فرأى أحسن الناس وجها، و كان في خدّها خال ظاهر، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث، فأذنت له، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى انقضت أيام الحجّ، فأرادت الخروج إلى بلدها، فقال فيها: ألا قل لذات الخال يا صاح في الخدّ # تدوم إذا بانت على أحسن العهد

و منها علامات بمجرى وشاحها # و أخرى تزين الجيد من موضع العقد

و ترعى من الودّ الذي كان بيننا # فما يستوي راعي الأمانة و المبدي

و قل قد وعدت اليوم وعدا فأنجزي # و لا تخلفي، لا خير في مخلف الوعد

وجودي عليّ اليوم منك بنائل # و لا تبخلي، قدّمت قبلك في اللّحد

فمن ذا الذي يبدي السرور إذا دنت # بك الدار أو يعنى بنأيكم بعدي

دنوّكم منّا رخاء نناله # و نأيكم و البعد جهد على جهد

كثير إذا تدنو اغتباطي بك النوى # و وجدي إذا ما بنتم ليس كالوجد

أقول و دمعي فوق خدّي مخضل[2] # له وشل[3]قد بلّ تهتانه خدّي

لقد منح اللّه البخيلة ودّنا # و ما منحت ودّي بدعوى و لا قصد

شبب بليلى بنت أبي مرّة لما رآها بالكعبة:

أخبرني محمد بن خلف قال و حدّثت عن المدائنيّ و لست أحفظ من حدّثني به قال: /طافت ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود و أمّها ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها: أطافت بنا شمس النهار و من رأى # من الناس شمسا بالعشاء تطوف

أبو أمّها أوفى قريش بذمّة # و أعمامها إمّا سألت ثقيف

و فيها يقول:

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «متزوّج» .

[2]مخضل: مندّ.

[3]الوشل: الماء الكثير أو القليل فهو من أسماء الأضداد، و المراد به هنا الكثير.

أ من طلل بالجزع من مكّة[1]السّدر # عفا بين أكناف المشقّر[2]فالحضر[3]

ظللت و ظلّ القوم من غير حاجة # لدن غدوة[4]حتى دنت حزّة[5]العصر

يبكّون من ليلى عهودا قديمة # و ما ذا يبكّي القوم من منزل قفر

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر و البنصر عن يحيى المكيّ، و ذكر/غيره أنه للغريض.

و في ليلى هذه يقول-أنشدناه وكيع عن عبد اللّه بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحزاميّ للحارث بن خالد، و في بعض الأبيات غناء-:

صوت

لقد أرسلت في السرّ ليلى تلومني # و تزعمني ذا ملّة طرفا[6]جلدا

و قد أخلفتنا كلّ ما وعدت به # و و اللّه ما أخلفتها عامدا وعدا

/فقلت مجيبا للرسول الذي أتى # تراه، لك الويلات، من قولها جدّا؟

إذا جئتها فأقر السلام و قل لها # دعي الجور ليلى و اسلكي منهجا قصدا

أ في مكثنا عنكم ليال مرضتها # تزيدينني ليلى على مرضي جهدا

تعدّين ذنبا واحدا ما جنيته # عليّ و ما أحصي ذنوبكم عدّا

فإن شئت حرّمت النساء سواكم # و إن شئت لم أطعم نقاخا[7]و لا بردا

و إن شئت غرنا[8]بعدكم ثم لم نزل # بمكة حتى تجلسي[9]قابلا نجدا

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى. و ذكر ابن المكيّ أن فيه لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا [1]كذا في جميع النسخ، و لم يظهر لنا وجه لإضافة مكة إلى السدر اللهم إلا أن يراد أنها تنبته، على أنه ذكر في ياقوت في الكلام على مكة: «إن ليس بها شجر مثمر إلا شجر البادية فإذا جزت الحرم فهناك عيون و آبار و حوائط و أودية ذات خضر و مزارع و نخيل، و أما الحرم فليس به شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة» . و يجوز أن تكون محرّفة عن كلمة «أيكة» .

[2]المشقر، كما في «معجم ما استعجم» للبكري: سوق الطائف، و ذكر أن الأخفش روى بيت أبي ذؤيب الهذليّ: حتى كأني للحوادث مروة # بصفا المشرق كل يوم تقرع

«بصفا المشقر» ، و قد روى بيت أبي ذؤيب هذا بهذه الرواية (في كتاب «المنتقى في أخبار أم القرى» طبع أوروبا ص 3) .

[3]الحضر: المراد به في هذا البيت: موضع بين مكة و المدينة و هو المذكور في شعر بعض الهذليين: أيا ليت شعري هل تغير بعدنا # أروم و آرام و شابة و الحضر

[4]لدن من الظروف التي تجر ما بعدها، و قد سمع نصب غدوة بعدها و هو نادر.

[5]الحزة: الساعة و الحين، قال ساعدة بن العجلان:

و رميت فوق ملاء محبوكة # و أبنت للأشهاد حزّة أدعى

[6]الطرف: من لا يثبت على صاحب.

[7]النقاخ: الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ-أي يكسر-الفؤاد ببرده، هكذا ذكره صاحب «اللسان» و استشهد له بهذا البيت و نسبه إلى العرجيّ، و فسر البرد في قوله: «و لا بردا» بالريق.

[8]غار الرجل: أتى الغور.

[9]جلس الرجل: أتى نجدا، و منه قول القائل:

قل للفرزدق و السفاهة كاسمها # إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أدري أ هذا أم غيره. و فيه[1]ثقيل أوّل للأبجر عن يونس و الهشاميّ. و فيه لابن سريج رمل بالبنصر. و لعرار خفيف ثقيل عن الهشاميّ و حبش.

غلبه أبان بن عثمان على الصلاة فقال فيه شعرا عرّض فيه بالحجاج:

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال: كان الحارث بن خالد واليا على مكّة، و كان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يصلّي بالناس و يقيم لهم حجّهم، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابه و لم يأت الحارث كتاب، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة، فصلّى بالناس و عاونته بنو أميّة و مواليهم فغلب الحارث على الصلاة، فقال: /

فإن تنج منها يا أبان مسلّما # فقد أفلت الحجّاج خيل شبيب

فبلغ ذلك الحجّاج فقال: مالي و للحارث!أ يغلبه أبان بن عثمان على الصلاة و يهتف بي أنا!ما ذكره إيّاي! فقال له عبيد بن موهب: أ تأذن أيها الأمير في إجابته و هجائه؟قال: نعم؛ فقال عبيد: أبا وابص ركّب علاتك[2]و التمس # مكاسبها إن اللئيم كسوب

و لا تذكر الحجّاج إلا بصالح # فقد عشت من معروفه بذنوب[3]

و لست بوال ما حييت إمارة # لمستخلف إلا عليك رقيب

سأله عبد الملك عن أيّ البلاد أحب إليه فأجاب و قال شعرا:

قال المدائنيّ: و بلغني أن عبد الملك قال للحارث: أيّ البلاد أحبّ إليك؟قال: ما حسنت فيه حالي و عرض وجهي، ثم قال: لا كوفة أمّي و لا بصرة أبي # و لست كمن يثنيه عن وجهه الكسل[4]

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني الغناء في شعره:

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عمران:

صوت

بان الخليط الذي كنّا به نثق # بانوا و قلبك مجنون بهم علق

تنيل نزرا قليلا و هي مشفقة # كما يخاف مسيس الحيّة الفرق

يا أمّ عمران ما زالت و ما برحت # بي الصّبابة حتى شفّني الشّفق

[1]في الأصول: «و قيل ثقيل أوّل» .

[2]العلاة في اوصل: الزبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، و تطلق أيضا على الناقة تشبيها لها بالزبرة في صلابتها.

[3]الذنوب: الحظ و النصيب، و في هذا البيت إقواء و هو اختلاف حركة الرويّ.

[4]دخل على هذا البيت الخرم و هو سقوط حركة من أوّله.

/لا

أعتق اللّه رقّي من صبابتكم # ما ضرّني أنني صبّ بكم قلق

ضحكت عن مرهف الأنياب ذي أشر[1] # لا قضم[2]في ثناياه و لا روق[3]

يتوق قلبي إليكم كي يلاقيكم # كما يتوق إلى منجاته الغرق

غنّى ابن محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني، و لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و للغريض في الرابع و الثاني و الثالث و السادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو، و لسلسل في الأوّل و الثاني ثقيل أوّل مطلق عن الهشاميّ، و لابن سريج في الثاني و الأوّل و الرابع و الخامس رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، و للهذليّ في الثاني ثم الأوّل هزج عن الهشاميّ. و ذكر حبش أن فيها لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، و لابن محرز ثاني ثقيل آخر بالبنصر. و ذكر الهشاميّ أن لابن سريج في الأبيات خفيف رمل.

و ممّا يغنّي فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحا و تعريضا ببسرة جاريتها:

صوت

يا ربع بسرة بالجناب تكلّم # و أبن لنا خبرا و لا تستعجم

ما لي رأيتك بعد أهلك موحشا # خلقا كحوض الباقر[4]المتهدّم

/تسبي الضجيع إذا النجوم تغوّرت # طوع الضجيع أنيقة المتوسّم

قبّ[5]البطون أوانس مثل الدّمى # يخلطن ذاك بعفّة و تكرّم

الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و الأبيات أكثر من هذه إلا أني اعتمدت على ما غنّي فيه.

و منها صوت قد جمعت فيه عدّة طرائق و أصوات في أبيات من القصيدة: أعرفت أطلال الرّسوم تنكّرت # بعدي و بدّل آيهنّ دثورا[6]

و تبدّلت بعد الأنيس بأهلها # عفرا[7]بواغم[8]يرتعين وعورا

[1]الأشر: حدّة ورقة تكون في الأسنان.

[2]كذا في م، حـ. و القضم (بفتحتين) : انصداع في السن و قيل: تثلم و تكسر في أطراف الأسنان، و في ء: «لا قصم» بالصاد المهملة و القصم

(بفتحتين) : انشقاق السن عرضا، يقال: قصمت سنه قصما أي انشقت عرضا، و رجل أقصم الثنايا إذا كان متكسرها من النصف، و في ب، س: «مقضم» و هو مصدر ميميّ من قضمت الأسنان أي تكسرت و تفللت. و في هذا الشطر «الطي» و هو هنا ذهاب الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى.

[3]الروق: أن تطول الثنايا العليا على السفلى، و هو عيب في الأسنان.

[4]الباقر: جماعة البقر.

[5]القبّ: جمع قبّاء و هي الدقيقة الخصر الضامرة البطن.

[6]دثر الرسم دثورا: درس و بلي.

[7]العفر جمع عفراء و هي من الظباء التي يعلو بياضها حمرة.

[8]يقال: بغمت الظبية بغوما و بغمت بغاما: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها فهي باغمة و بغوم.

من كلّ مصبية الحديث ترى لها # كفلا كرابية الكثيب وثيرا

دع ذا و لكن هل رأيت ظعائنا # قرّبن أجمالا لهنّ بكورا

قرّبن كلّ مخيّس[1]متحمّل[2] # بزلا[3]تشبّه هامهنّ قبورا

يفتن لا يألون كلّ مغفّل # يملأنه بحديثهنّ سرورا

يا دار حسّرها[4]البلى تحسيرا # و سفت عليها الريح بعدك بورا

دقّ التراب نخيله فمخيّم # بعراصها و مسيّر تسييرا

/يا ربع بسرة إن أضرّ بك البلى # فلقد عهدتك آهلا معمورا

/عقب الرّذاذ خلافهم[5]فكأنّما # بسط الشّواطب[6]بينهنّ حصيرا

إن يمس حبلك بعد طول تواصل # خلقا و يصبح بينكم[7]مهجورا

فلقد أراني، و الجديد إلى بلى # زمنا بوصلك قانعا مسرورا

جذلا بمالي عندكم لا أبتغي # للنفس غيرك خلّة و عشيرا

كنت المنى و أعزّ من وطئ الحصا # عندي و كنت بذاك منك و جديرا

غنّى في الأوّل و الثاني من هذه الأبيات معبد، و لحنه ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، و للغريض فيه[8]ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، و لإسحاق فيهما ثاني ثقيل، و لإبراهيم فيهما و في الثالث خفيف ثقيل بالسبابة و الوسطى عن ابن المكّيّ، و غنّى الغريض في الثالث و السادس و الرابع و الخامس ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و غنّى معبد في السابع و الثامن و العاشر خفيف ثقيل بالسبّابة و الوسطى عن يحيى المكّيّ؛ و فيها ثاني ثقيل ينسب إلى طويس و ابن مسجح و ابن سريج، و لمالك في التاسع و العاشر و الحادي عشر و الثاني عشر خفيف ثقيل بالسبابة و الوسطى عن يحيى المكيّ، و فيها بأعيانها/لابن سريج رمل بالسبّابة و الوسطى عن يحيى أيضا، و ليحيى المكّيّ في الحادي عشر و ما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل، و لإبراهيم فيها بعينها ثقيل أوّل عن الهشاميّ، و فيها لإسحاق رمل، و في الثالث و الرابع لحن لخليدة المكّيّة خفيف رمل عن الهشاميّ أيضا.

[1]المخيس: المذلل.

[2]كذا في حـ، و في سائر النسخ: «متجمل» بالجيم.

[3]البزل: جمع بازل و هو البعير الذي فطرنا به بدخوله في السنة التاسعة.

[4]حسرها: أضرّ بها و أذهب بهجتها.

[5]كذا ورد في «اللسان» في مادّة «عقب» و مادّة «خلف» غير أنه ورد في مادّة «خلف» هكذا: «عقب الربيع» فذكر «الربيع» بدل «الرذاذ» . و في الأصول: «عفت الرذاذ خلافه» ، فالظاهر أن كلمة «عفت» محرّفة عن «عقب» و «خلافه» محرّفة عن «خلافهم» .

و خلافهم: بعدهم. و في «اللسان» أيضا «نشط» بدل «بسط» .

[6]الشواطب: جمع شاطبة، و الشاطبة من النساء: التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير، قال مالك بن خالد: إذا أدركوهم يلحفون سراتهم # بضرب كما جدّ الحصير الشواطب

[7]كذا في الأصول و البين: الصلة و القرابة، و يحتمل أيضا أن يكون «بيتكم» بالتاء.

[8]كذا في جميع النسخ، و المناسب للسياق «فيهما» بالتثنية كما هو ظاهر.

و منها من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أوّلها: هل تعرف الدار أضحت آيها عجما # كالرّقّ[1]أجرى عليها حاذق قلما

بالخيف هاجت شئونا[2]غير جامدة # فانهلّت العين تذري واكفا سجما

دار لبسرة أمست ما تكلّمنا # و قد أبنت لها لو تعرف الكلما

واها لبسرة لو يدنو الأمير بها # يا ليت بسرة قد أمست لنا أمما[3]

صوت

حلّت بمكّة لا دار مصاقبة[4] # هيهات جيرون[5]ممّن يسكن الحرما

يا بسر إنكم شطّ البعاد بكم # فما تنيلوننا وصلا و لا نعما

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيل بالوسطى، و فيهما ليحيى المكّيّ ثقيل أوّل بالبنصر، جميعا من روايته: قد قلت بالخيف إذ قالت لجارتها # أدام وصل الذي أهدى لنا الكلما

صوت

لا يرغم اللّه أنفا أنت حامله # بل أنف شانيك فيما سرّكم رغما

إن كان رابك شيء لست أعلمه # منّي فهذي يميني بالرضا سلما[6]

/أو كنت أحببت شيئا مثل حبّكم # فلا أرحت إذا أهلا و لا نعما

لا تكليني[7]إلى من ليس يرحمني # وقاك من تبغضين الحتف و السّقما

إن الوشاة كثير إن أطعتهم # لا يرقبون بنا إلاّ[8]و لا ذمما

غنى ابن محرز في:

لا يرغم اللّه أنفا أنت حامله

[1]الرقّ: الصحيفة البيضاء، و هو أيضا جلد رقيق يكتب فيه.

[2]الشئون: الدموع.

[3]أمما: قريبة.

[4]مصاقبة: مقاربة.

[5]جيرون: بناء عند باب دمشق يقال: إن الجن بنته في عهد سليمان بن داود، و هو سقيفة مستطيلة على عمد و سقائف و حوله مدينة تطيف به، و ذكروا أن اسم الشيطان الذي بناه «جيرون» فسمى به. و قيل: إن أوّل من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح و به سمي

«باب جيرون» و سميت المدينة **(إِرَمَ ذَاتِ اَلْعِمَادِ)** و في ذلك أقوال كثيرة غير هذه. (راجع «معجم البلدان» لياقوت في اسم «جيرون») .

[6]السلم: الاسم من التسليم.

[7]في هذا البيت «الطيّ» و هو هنا حذف الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى.

[8]الإلّ: العهد.

خفيف ثقيل[1]بالبنصر، و لابن مسجح فيه ثاني ثقيل عن حبش؛ و في: لا تكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش و الهشاميّ.

أخر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك و لامه فقال شعرا:

أخبرني محمد بن مزيد و الحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزّبيريّ قال: أذّن المؤذّن يوما و خرج الحارث بن خالد إلى الصلاة، فأرسلت إليه عائشة ابنة طلحة: إنه بقي عليّ شيء من طوافي لم أتمّه، فقعد و أمر المؤذّنين فكفّوا عن الإقامة و جعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فعزله و ولّى مكّة عبد الرحمن بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد، و كتب إلى الحارث: /ويلك، أ تركت الصلاة لعائشة بنت طلحة!فقال الحارث: و اللّه لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبّرت؛ و قال في ذلك: لم أرحّب بأن سخطت و لكن # مرحبا أن رضيت عنّا و أهلا

إنّ وجها رأيته ليلة البد # ر عليه انثنى الجمال و حلاّ

وجهها الوجه لو يسال[2]به المز # ن من الحسن و الجمال استهلاّ

إن عند الطّواف حين أتته # لجمالا فعما و خلقا رفلاّ[3]

و كسين الجمال إن غبن عنها # فإذا ما بدت لهنّ اضمحلاّ

الغناء في شعره:

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه، و هو:

صوت

أثل جودي على المتيّم أثلا # لا تزيدي فؤاده بك خبلا

أثل إني و الراقصات[4]بجمع # يتبارين في الأزمّة فتلا[5]

سانحات يقطعن من عرفات # بين أيدي المطيّ حزنا و سهلا

و الأكفّ المضمّرات على الركـ # ـن بشعث سعوا إلى البيت رجلي[6]

لا أخون الصديق في السرّ حتى # ينقل البحر بالغرابيل نقلا

أو تمرّ الجبال مرّ سحاب # مرتق قد وعى من الماء ثقلا

[1]في ب، س: «خفيف ثقيل رمل بالبنصر» .

[2]يسال: يسأل سهلت همزته، و في رواية ستأتي في ص 341 «وجهك البدر لو سألت إلخ» .

[3]الفعم: الممتلئ المستوي؛ و الرفل: الواسع.

[4]الراقصات: النوق المسرعات في سيرها، و جمع: المزدلفة و هو المشعر الحرام، سمي جمعا لاجتماع الناس فيه.

[5]فتلا: جمع فتلاء، و هي الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين، أو هي الناقة التي في ذراعيها «فتل» و هو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلا.

[6]رجلي: ماشين على أرجلهم، جمع رجلان كعجلان و عجلي.

أنعم اللّه لي بذا الوجه عينا # و به مرحبا و أهلا و سهلا

/حين قالت لا تفشينّ حديثي # يا ابن عمّي أقسمت قلت أجل لا[1]

اتقي اللّه و اقبلي العذر منّي # و تجافي عن بعض ما كان زلاّ

لا تصدّي فتقتليني ظلما # ليس قتل المحبّ للحبّ حلاّ

ما أكن سؤتكم به فلك العتـ # بى لدينا و حقّ ذاك و قلاّ

لم أرحّب بأن سخطت و لكن # مرحبا أن رضيت عنّا و أهلا

/إنّ شخصا رأيته ليلة البد # ر عليه انثنى الجمال و حلاّ

جعل اللّه كلّ أنثى فداء # لك بل خدّها لرجلك نعلا

وجهك البدر لو سألت به المز # ن من الحسن و الجمال استهلاّ

غنّى معبد في الأبيات الأربعة الأولى خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، و لابن تيزن[2]في الأوّل و الثاني ثقيل أوّل عن إسحاق، و لابن سريج في الأوّل و الثاني و الخامس ثقيل أوّل عن الهشاميّ، و للغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولد حمان في التاسع و العاشر و الثالث عشر و الرابع عشر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو، و لمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن ذكره يونس و لم يجنّسه، و لابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو، و للغريض فيها أيضا خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكيّ، و لابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه و لم يذكر طريقته.

/و منها:

صوت

أ حقّا أن جيرتنا استحبّوا # حزون الأرض بالبلد السّخاخ[3]

إلى عقر الأباطح من ثبير[4] # إلى ثور[5]فمدفع[6]ذي مراخ[7]

فتلك ديارهم لم يبق فيها # سوى طلل المعرّس و المناخ

و قد تغنى[8]بها في الدار حور # نواعم في المجاسد[9]كالإراخ[10]

[1]هكذا في حـ و هو الصواب، و في سائر النسخ: «أجلا» ، و هي «لا» وصلت خطأ «بأجل» . و المعنى. «نعم لا أفشي» .

[2]في ب، س، حـ: «ابن بيزن» . و في سائر النسخ: «ابن بيزق» (انظر حاشية 2 ص 283 من الجزء الأول من هذه الطبعة) .

[3]السخاخ: الأرض اللينة الحرّة.

[4]ثبير: جبل بمكة.

[5]ثور: جبل بمكة.

[6]المدفع: أحد مدافع المياه التي تجري فيها.

[7]ذو مراخ: موضع قريب من المزدلفة، و قيل: هو من بطن كساب جبل بمكة.

[8]تغنى: تقيم، من غنى الرجل بالمكان إذا أقام.

[9]المجاسد: جمع مجسد و هو القميص الذي يلي البدن.

[10]الإراخ: بقر الوحش.

غنّي في هذه الأبيات الغريض، و لحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشاميّ.

جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفسا:

و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا عبد اللّه بن محمد قال أخبرني محمد بن سلاّم قال: كانت سوداء بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة، و كانت من مولّدات مكّة، فلما ورد على أهل المدينة نعي عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك و اشتدّ عليهم، و كانت السوداء أشدّهم حزنا و تسلّبا[1]و جعلت لا تمرّ بسكّة من سكك المدينة إلا ندبته، فلقيها بعض فتيان مكّة، فقال لها: خفّضي عليك، فقد نشأ ابن عمّ له يشبه شعره شعره، فقالت: أنشدني بعضه، فأنشدها قوله: إني و ما نحروا غداة منى # عند الجمار تئودها العقل

الأبيات كلّها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع و تقول: الحمد للّه الذي لم يضيّع حرمه.

ناضل سليمان بن عبد الملك بينه و بين رجل من أخواله:

أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي (جدّ عبيد اللّه) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: ناضل[2]سليمان بن عبد الملك بين الحارث و بين رجل من أخواله من بني عبس، فرمى[3][الحارث بن] خالد فأخطأ و رمى العبسيّ فأصاب، فقال: أنا نضلت[4]الحارث بن خالد

ثم رمى العبسيّ فأخطأ و رمى الحارث فأصاب، فقال الحارث: حسبت نضل الحارث بن خالد

و رميا فأخطأ العبسيّ و أصاب الحارث، فقال الحارث:

مشيك بين الزّرب[5]و المرابد[6]

و رميا فأخطأ العبسيّ و أصاب الحارث، فقال الحارث:

و إنك الناقص غير الزائد

فقال سليمان: /أقسمت عليك يا حارث إلاّ كففت عن القول و الرّمي فكفّ.

[1]التسلب: حداد المرأة على زوجها، و قد يكون على غير الزوج، و هو أيضا لبس المحدّ ثياب الحداد السود.

[2]يقال: ناضله مناضلة و نضالا و نيضالا فنضله: باراه في رمي السهام فغلبه، و المعنى المراد هنا أنه جعلهما يتباريان في الرمي بالسهام.

[3]في جميع الأصول «فرمى خالد» و الصواب ما أثبتناه.

[4]كذا في حـ و هامش ب بخط الشيخ الشنقيطي و هو الصواب، و في س: «أناضلت» و هو تحريف.

[5]الزرب (بفتح الزاي و كسرها) : موضع الغنم.

[6]المرابد: محابس الإبل، واحدها «مربد» (بكسر الميم) .

37-أخبار الابجر و نسبه

اسم الأبجر و لقبه و ولاؤه:

الأبجر لقب غلب عليه، و اسمه عبيد اللّه بن القاسم بن ضبية[1]، و يكنى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد اللّه بن مالك عن إسحاق، و روى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه: أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية، و هو مولى لكنانة ثم لبني بكر، و يقال: إنه مولى لبني ليث.

نشأته:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد اللّه بن مالك و أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه و هارون بن الزّيات قالا[2]حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد عن محمد بن عبد اللّه بن مالك قال: كنا يوما جلوسا عند إسحاق، فغنّتنا جارية يقال لها «سمحة» : إنّ العيون التي في طرفها مرض[3] # قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فهبت إسحاق أن أسأله لمن الغناء، فقلت لبعض من كان معنا: سله، فسأله فقال له إسحاق: ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحببته لمّا أسننت، فقال: لا و لكنّ هذا النّقب عمل هذا اللّص، و ضرب بيده إلى/تلابيبي، فقال له الرجل: صدقت يا أبا محمد، فأقبل عليّ فقال لي: أ لم أقل لك إذا اشتهيت شيئا فسل عنه، أما لأعطينّك فيه ما تعابي[4]به من شئت منهم، أ تدري لمن الشعر؟فقلت: لجرير، فقال لي: و الغناء للأبجر، و كان مدنيّا منشؤه بمكّة، أو مكيّا منشؤه بالمدينة، أ تدري ما اسمه؟قلت: لا، قال: اسمه عبيد اللّه بن القاسم بن ضبية، أ تدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: اذهب فعاي بهذا من شئت منهم فإنك تظفر به.

كان ولاؤه لبني كنانة و قيل لبني ليث و كان يلقب بالحسحاس:

و قال هارون: حدّثني حمّاد عن أبيه قال: الأبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية و قال مرّة أخرى: عبيد اللّه بن القاسم، مولى لبني بكر بن كنانة، و قيل: إنه مولى لبني ليث، يلقّب بالحسحاس.

ظرفه و حسن لباسه و فرسه و مركبه:

قال هارون: و حدّثني حماد عن أبيه قال حدّثني عورك اللّهبيّ قال:

[1]كذا ورد هذا الاسم في هذا الموضع في جميع الأصول و لم نعثر على من تسمى بهذا الاسم، و قد ورد في حـ في هذا الموضع هكذا: «ضيبة» و فيما سيأتي: «القاسم بن ضبة» . و في «نهاية الأرب» ج 4 ص 314 طبع دار الكتب المصرية «منبّه» .

[2]في الأصول «قال» و السياق يقتضي ما أثبتناه.

[3]في ء، حـ: «حور» .

[4]عايا صاحبه معاياة: ألقى عليه كلاما لا يهتدي لوجهه. ـ

لم يكن بمكّة أحد أظرف و لا أسرى و لا أحسن هيئة من الأبجر، كانت حلّته بمائة دينار و فرسه بمائة دينار و مركبه بمائة دينار، و كان يقف بين المأزمين[1]فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضا.

احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه:

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن[عبيد اللّه[2]بن]عبد اللّه بن خرداذبه عن إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قالا[3]:

/جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحجّ على قريب من التّنعيم[4]فإذا عسكر جرّار قد أقبل في آخر الليل، و فيه دوابّ تجنب و فيها فرس أدهم عليه سرج حليته ذهب فاندفع، فغنّى:

عرفت ديار الحيّ خالية قفرا # كأن بها لمّا توهمتها سطرا

فلما سمعه من في القباب و المحامل أمسكوا، و صاح صائح: ويحك! أعد الصوت، فقال: لا و اللّه!إلا بالفرس الأدهم بسرجه و لجامه و أربعمائة دينار، فإذا الوليد بن يزيد صاحب/الإبل، فنودي: أين منزلك و من أنت؟ فقال: أنا الأبجر و منزلي على باب زقاق الخرّازين، فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس و أربعمائة دينار و تخت من ثياب وشى و غير ذلك، ثم أتى به الوليد فأقام عنده، و راح مع[5]أصحابه عشيّة التّروية[6]و هو أحسنهم هيئة، و خرج معه أو بعده إلى الشأم.

خرج معه إلى الشأم:

قال إسحاق: و حدّثني عورك اللّهبيّ أن خروجه كان معه، و ذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكّة، و في تلك السنة حجّ الوليد، لأن هشاما أمره بذلك ليهتكه عند أهل الحرم، فيجد السبيل إلى خلعه، فظهر منه أكثر مما أراد به من التّشاغل بالمغنّين و اللهو، و أقبل الأبجر معه حتى قتل الوليد، ثم خرج إلى مصر فمات بها.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر
صوت

عرفت ديار الحيّ خالية قفرا # كأنّ بها لمّا توهّمتها سطرا

وقفت بها كيما تردّ جوابها # فما بيّنت لي الدار عن أهلها خبرا

الغناء لأبي عبّاد ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، و فيه لسياط خفيف رمل بالبنصر.

[1]المأزمان كما في ياقوت: جبلا مكة؛ و قال أهل اللغة: هما مضيقا جبلين؛ و قيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام و عرفة، و في ذلك أقوال غير هذه.

[2]الزيادة عن كتابه «المسالك و الممالك» .

[3]في جميع الأصول: «قال» بالإفراد.

[4]التنعيم: موضع بمكة في الحل، و هو بين مكة و سرف على فرسخين من مكة و قيل على أربعة، و سمى بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم و آخر عن شماله يقال له ناعم.

[5]في ء: «إلى» .

[6]عشيّة التروية: عشية اليوم الثامن من ذي الحجة.

أخذ صوتا من الغريض فأكره عطاء بن أبي رباح على سماعه:

قال إسحاق: و حدّثت أنّ الأبجر أخذ صوتا من الغريض ليلا ثم دخل في الطواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي رباح يطوف بالبيت، فقال: يا أبا محمد، اسمع صوتا أخذته في هذه الليلة من الغريض؛ قال له: ويحك!أ في هذا الموضع!فقال: كفرت بربّ هذا البيت لئن لم تسمعه منّي سرّا لأجهرنّ به؛ فقال: هاته، فغنّاه:

[صوت][1]

عوجي علينا ربّة الهودج # إنّك إلاّ تفعلي تحرجي[2]

إنّي أتيحت لي يمانية # إحدى بني الحارث من مذحج

نلبث حولا كاملا كلّه # لا نلتقي إلا على منهج

في الحجّ إن حجّت و ما ذا منى # و أهله إن هي لم تحجج

فقال له عطاء: الخير الكثير و اللّه في منى و أهله حجّت أو لم تحجّ، فاذهب الآن. و قد مرّت نسبة هذا الصوت و خبره في أخبار العرجيّ و الغريض.

ختن عطاء بنيه فاختلف إليهم ثلاثة أيام يغني لهم:

قال إسحاق: و ذكر عمرو بن الحارث عن عبد اللّه[3]بن عبيد بن عمير قال: ختن عطاء بن أبي رباح بنيه أو بني أخيه، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغنّي لهم.

نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما:

قال هارون بن محمد حدّثني حمّاد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح[4]بخطّه: حدّثني غرير بن طلحة الأرقميّ عن يحيى بن عمران عن عمر بن حفص بن أبي كلاب قال:

كان الأبجر مولانا و كان مكّيّا، فكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوما: أسمعوني غناء ابن عائشتكم هذا، فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبّار فتغنّى ابن عائشة، فقال الأبجر: كلّ مملوك لي حرّ إن تغنّيت معك إلاّ بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شدقه فتغنّى، فسمع صوته من في السّوق فحشر الناس علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما؛ قال: و كان ابن عائشة حديدا[5]جاهلا.

غنى الوليد و قد عرف سرّه من خادمه فنشط له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال و حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد/بن جبر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال:

[1]الزيادة عن حـ.

[2]تحرجي: تأثمي.

[3]في أ، م، ء: «عن عبد اللّه بن عمر» .

[4]في حـ: «ابن أبي نجاح» و قد سموا «نجيحا» (كأمير و زبير) و نجاحا.

[5]الحديد: الحادّ في الغضب، و الجاهل: ضد الحليم.

دعي ذات يوم المغنّون للوليد بن يزيد، و كنت نازلا معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم؛ قال: لم أومر بذلك و إنما أمرت بإحضار المغنّين و أنت بطّال[1]لا تدخل في جملتهم؛ فقلت: أنا و اللّه أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنّيته؛ فقال: لقد سمعت حسنا و لكنّي أخاف؛ فقلت: لا خوف عليك، و لك مع هذا شرط، قال: و ما هو؟ /قلت: كلّ ما أصبته فلك شطره؛ فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا، و مضينا فدخلنا على الوليد و هو لقس[2] النفس، فغنّاه المغنّون في كل فنّ من خفيف و ثقيل، فلم يتحرّك و لا نشط، فقام الأبجر إلى الخلاء، و كان خبيثا داهيا، فسأل الخادم عن خبره، و بأيّ سبب هو خاثر[3]؟فقال: بينه و بين امرأته شرّ، لأنه عشق أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل، و قد عزم على طلاقها و حلف لها ألاّ يذكرها أبدا بمراسلة و لا مخاطبة، و خرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأبجر إلينا و ما حلس حتى اندفع فغنّى:

صوت

فبيني فإنّي لا أبالي و أيقني # أ صعّد باقي حبّكم أم تصوّبا

أ لم تعلمي أنّي عزوف عن الهوى # إذا صاحبي من غير شيء تغضّبا

فطرب الوليد و ارتاح و قال: أصبت يا عبيد و اللّه ما في نفسي، و أمر له بعشرة آلاف درهم و شرب حتى سكر، و لم يحظ بشيء أحد سوى الأبجر، فلما أيقنت بانقضاء المجلس و ثبت فقلت: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر من يضربني مائة الساعة بحضرتك!فضحك و قال: قبّحك اللّه!و ما السبب في ذلك؟فأخبرته بقصتي مع الرسول و قلت: إنه بدأني من المكروه في أوّل يومه بما اتصل عليّ إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة و يضرب بعدي مثلها، فقال له: لقد لطفت، أعطوه مائة دينار و أعطوا الرسول خمسين دينارا من مالنا عوضا عن الخمسين التي أراد أن يأخذها؛ فقبضتها و ما حظي أحد بشيء غيري و غير الرسول. و الشعر الذي غنّى فيه الأبجر الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم، و الغناء للأبجر ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لغيره عدّة ألحان نسبت.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة

حمزة المبتاع بالمال الثّنا # و يرى في بيعه أن قد غبن

فهو إن أعطى عطاء فاضلا # ذا إخاء لم يكدّره بمنّ

و إذا ما سنة مجدبة # برت الناس كبري بالسّفن[4]

[1]البطال: الذي يهزل في حديثه.

[2]لقس النفس: وصف من لقست نفسه إذا غثت و خبثت.

[3]الخاثر: الذي غثت نفسه.

[4]السفن (بالتحريك) : كل ما يبري و ينحت به، قال زهير: ضربا كنحت جذوع الأثل بالسفن

كان للناس ربيعا مغدقا # ساقط الأكناف إن راح أرجحنّ[1]

نور شرق بيّن في وجهه # لم يصب أثوابه لون الدّرن

عروضه من الرمل. الشعر لموسى شهوات. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

[1]ارجحنّ: مال و اهتز.

38-أخبار موسى شهوات و نسبه و خبره في هذا الشعر

نسبه و سبب لقبه:

هو موسى بن يسار[1]مولى قريش، و يختلف في ولائه فيقال: إنه مولى بني سهم، و يقال: مولى بني تيم بن مرّة، و يقال: مولى بني عديّ بن كعب؛ و يكنى أبا محمد، و شهوات لقب غلب عليه.

و حدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: إنما لقّب موسى شهوات لأنه كان سئولا ملحفا، فكان كلّما رأى مع أحد شيئا يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس[2]، تباكى، فإذا قيل له: ما لك؟قال: أشتهي هذا؛ فسمّي موسى شهوات. قال: و ذكر آخرون أنه كان من أهل أذربيجان و أنه نشأ بالمدينة و كان يجلب إليه القند[3]و السكّر، فقالت له امرأة من أهله: ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات؛ فغلبت عليه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: كان محمد بن يحيى يقول: موسى شهوات مولى بني عديّ بن كعب، و ليس ذاك بصحيح، هو مولى تيم بن مرّة. و ذكر عبد اللّه بن شبيب عن الحزاميّ: أنه مولى بني سهم.

/و أخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب و محمد بن سلاّم قال: موسى شهوات مولى بني سهم.

عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم:

و أخبرني محمد بن الحسن[4]بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: هوي موسى شهوات جارية بالمدينة فاستهيم بها و ساوم مولاها فيها فاستام[5]بها عشرة آلاف درهم، فجمع كلّ ما يملكه و استماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم، فأتى إلى سعيد بن خالد العثمانيّ فأخبره بحاله و استعان به، و كان صديقه و أوثق الناس عنده، فدافعه[6]و اعتلّ عليه فخرج من عنده؛ فلما ولّى تمثّل سعيد قول الشاعر: كتبت إليّ تستهدي الجواري # لقد أنعظت من بلد بعيد

[1]كذا في «شرح القاموس» مادة (شهو) و قد صححه على هامش نسخته كذلك الأستاذ الشيخ محمد بن محمود الشنقيطي، و في الأصول: «بشار» و هو تحريف.

[2]في حـ «فرش» بالشين المعجمة.

[3]القند: عسل تصب السكر إذا جمد.

[4]كذا في س، و هو الصواب، و في باقي الأصول: «الحسين» .

[5]الاستيام بالشيء: ذكر ثمنه، تقول: استمت عليه بسلعتي إذا كنت أنت تذكر ثمنها، و تقول: استام مني بسلعتي إذا كان هو العارض عليك الثمن.

[6]دافعه: ماطله.

أتى سعيد بن خالد بن عبد اللّه بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه فمدحه:

فأتى سعيد بن خالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد فأخبره بقصّته فأمر له بستة آلاف درهم، فلما قبضها و نهض قال له: اجلس، إذا ابتعتها بهذا المال و قد أنفدت كلّ ما تملك فبأيّ حال تعيشان!ثم دفع إليه ألفي درهم و كسوة و طيبا، و قال: أصلح بهذا شأنكما؛ فقال فيه: أبا خالد أعني سعيد بن خالد # أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد

و لكنّني أعني ابن عائشة الذي # أبو أبويه خالد بن أسيد

عقيد[1]الندى ما عاش يرضى به النّدى # فإن مات لم يرض النّدى بعقيد

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم # و ما هو عن أحسابكم برقود

قتلت أناسا هكذا في جلودهم # من الغيظ لم تقتلهم بحديد

رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجوا له فشكاه:

قال: فشكاه العثمانيّ إلى سليمان بن عبد الملك، فأحضر موسى و قال له: يا عاضّ كذا و كذا، أ تهجو سعيد بن خالد!فقال: و اللّه يا أمير المؤمنين ما هجوته و لكنّي مدحت ابن عمّه فغضب هو، ثم أخبره بالقصّة؛ فقال للعثمانيّ: قد صدق، إنما نسب من مدحه إلى أبيه ليعرف. قال: و كان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد اللّه يقول: لعمري و اللّه ما أنت عن أحسابنا برقود.

و أخبرني محمد بن عبد اللّه اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ/ قال حدّثنا مصعب بن عبد اللّه بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عبيدة و قال فيه: و كان سعيد بن خالد هذا تأخذه الموتة[2]في كلّ سنة، فأرادوا علاجه، فتكلّمت صاحبته على لسانه و قالت: أنا كريمة بنت ملحان سيّد الجنّ، و إن عالجتموه قتلتموه، فو اللّه لو وجدت أكرم منه لهويته.

أخبرني وكيع عن أبي حمزة أنس بن خالد الأنصاريّ عن قبيصة بن عمر بن حفص المهلّبيّ عن أبي عبيدة قال حدّثني الحارث بن سليمان الهجيميّ[3]، -و هو أبو خالد بن الحارث المحدّث-قال: و كان عنده رؤبة بن العجّاج، قال: شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك و أتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان، فقال: يا أمير المؤمنين، أتيتك مستعديا، قال: و من بك؟قال: موسى شهوات، قال: و ماله؟قال:

سمّع[4]بي و استطال في عرضي، فقال: يا غلام، /عليّ بموسى فأتني به فأتي به، فقال: ويلك!أ سمعت به و استطلت في عرضه؟قال: ما فعلت يا أمير المؤمنين و لكنّي مدحت ابن عمّه فغضب هو، قال: و كيف ذلك؟قال: علقت جارية لم يبلغ ثمنها [1]عقيد الندى: الكريم بطبعه.

[2]الموتة: ضرب من الجنون و الصرع يعتري الإنسان فإذا أفاق عاد إليه كمال عقله كالنائم و السكران.

[3]كذا في «الخلاصة في أسماء الرجال» في اسم خالد بن الحارث، و في ب، س: «الجهيمي» بتقديم الجيم على الهاء، و في سائر النسخ «المجيمي» و كلاهما تحريف.

[4]سمع به في الناس: شهّره و فضحه.

جدتي[1]، فأتيته و هو صديقي فشكوت إليه ذلك، فلم أصب عنده شيئا، فأتيت ابن عمّه سعيد بن خالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد فشكوت إليه ما شكوته إلى هذا، فقال: تعود إليّ، فتركته ثلاثا ثم أتيته فسهّل من إذني، فلما استقرّ بي المجلس قال: يا غلام، قل لقيّمتي: هاتي وديعتي، ففتح بابا بين بيتين و إذا بجارية، فقال لي: أ هذه بغيتك[2]؟قلت: نعم فداك أبي و أمّي!قال: اجلس ثم قال: يا غلام، قل لقيّمتي: هاتي ظبية[3]نفقتي، فأتي بظبية فنثرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها فردّت في الظّبية، ثم قال: عتيدة[4]طيبي، فأتي بها، فقال: ملحفة[5]فراشي، فأتي بها، فصيّر ما في الظبية و ما في العتيدة في حواشي الملحفة، ثم قال: شأنك بهواك و استعن بهذا عليه؛ فقال له سليمان بن عبد الملك: فذلك حين تقول ما ذا؟قال: قلت:

ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد:

أنا خالد أعني سعيد بن خالد # أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد

و لكنني أعني ابن عائشة الذي # أبو أبويه خالد بن أسيد

عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى # فإن مات لم يرض الندى بعقيد

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم # و ما هو عن أحسابكم برقود

فقال سليمان: عليّ يا غلام بسعيد بن خالد، فأتي به، فقال: أحقّ ما وصفك به موسى؟قال: و ما ذاك يا أمير المؤمنين؟فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك/يا أمير المؤمنين، قال: فما طوّقتك هذه الأفعال؟قال: دين ثلاثين ألف دينار؛ فقال له: قد أمرت لك بمثلها و بمثلها و بمثلها و بثلث مثلها، فحملت إليه مائة ألف دينار؛ قال: فلقيت سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت له: ما فعل المال الذي وصلك به سليمان؟قال: ما أصبحت و اللّه أملك منه إلا خمسين دينارا؛ قلت: ما اغتاله؟قال: خلّة[6]من صديق أو فاقة من ذي رحم.

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيريّ و محمد بن سلاّم قال: عشق موسى شهوات جارية[7]بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ؛ و قال/و فيه: أما و اللّه لئن مدحته و هو سميّك و أبوه سميّ أبيك و لم أفرّق بينكما ليقولن للناس: أ هذا أم هذا، و لكن و اللّه لأقولنّ قولا لا يشكّ فيه. و تمام هذه الأبيات التي مدح بها سعيدا بعد الأربعة المذكورة منها: فدى للكريم العبشميّ ابن خالد # بنيّ و ما لي طارفي و تليدي

[1]الجدة: اليسار و السعة.

[2]البغية (بكسر الباء و ضمها) : ما ابتغى، يقال: فلان بغيتي و عند فلان بغيتي أي طلبتي.

[3]الظبية: حراب صغير من جلد ظبي.

[4]العتيدة: الحقة يكون فيها طيب الرحل أو العروس.

[5]الملحفة: الملاءة.

[6]الخلة: الحاجة و الفقر.

[7]في حـ: «مغنية» .

أبان و ما استغنى عن الثّدي خيره # أبان به في المهد قبل قعود

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم # و ما هو عن أحسابكم برقود

ترى الجند و الجنّاب[1]يغشون بابه # بحاجاتهم من سيّد و مسود

فيعطي و لا يعطى و يغشى و يجتدى # و ما بابه للمجتدي بسديد

/قتلت أناسا هكذا في جلودهم # من الغيظ لم تقتلهم بحديد

يعيشون ما عاشوا بغيظ و إن تحن # منا‌ياهم يوما تحن بحقود

فقل لبغاة العرف قد مات خالد # و مات الندى إلا فضول سعيد

قال وكيع في خبره: أمّا قوله: «لا أعني ابن بنت سعيد» فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنة بنت سعيد بن العاصي، و عائشة أمّ عقيد الندى بنت عبد اللّه بن خلف الخزاعيّة أخت طلحة الطّلحات، و أمّها صفيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصيّ، و أمّ أبي[2]عقيد الندى رملة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له: اتّفق اسماهما و اسما أبويهما، فتخوّفت أن يذهب شعري باطلا ففرّقت بينهما بأمّهما، فأغضبه أن مدحت ابن عمّه، فقال له سليمان: بلى و اللّه لقد هجوته و ما خفي عليّ و لكني لا أجد إليك سبيلا، فأطلقه.

عمل شعرا في مدح حمزة بن عبد اللّه بن الزبير و قبل معبد أن يغنيه له و يكون عطاؤه بينهما:

أخبرني وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا محمد بن مسلمة الثقفيّ قال: قال موسى شهوات لمعبد: أ أمدح حمزة بن عبد اللّه بن الزبير بأبيات و تغنّي فيها و يكون ما يعطينا بيني و بينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى: /

حمزة المبتاع بالمال الثّنا # و يرى في بيعه أن قد غبن

فهو إن أعطى عطاء فاضلا # ذا إخاء لم يكدّره بمنّ

و إذا ما سنة مجحفة # برت الناس كبري بالسّفن

حسرت[3]عنه نقيّا عرضه # ذا بلاء عند مخناها[4]حسن

نور صدق بين في وجهه # لم يدنّس ثوبه لون الدّرن

[1]الجناب: جمع جانب و هو الغريب.

[2]كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته، و في الأصول: «و أم ابن عقيد الندى» .

[3]حسرت: كشفت.

[4]مخناها: مصدر ميميّ من أخنى أي أهلك.

قال أحمد بن زهير: و أوّل هذه القصيدة عن غير ابن سلاّم:

شاقني اليوم حبيب قد ظعن # ففؤادي مستهام مرتهن

/إنّ هندا تيمتني حقبة # ثم بانت و هي للنفس شجن

فتنة ألحقها اللّه بنا # عائذ باللّه من شرّ الفتن

عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت إلى عبد اللّه بن عمرو بشعر فأجيز:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني الطّلحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عمران بن موسى بن طلحة قال: لما زفّت فاطمة بنت الحسين رضوان اللّه عليه إلى عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفّان، عارضها[1]موسى شهوات: طلحة الخير جدّكم # و لخير الفواطم

أنت للطاهرات من # فرع تيم و هاشم

أرتجيكم لنفعكم # و لدفع المظالم

فأمر له بكسوة و دنانير و طيب.

هجا داود بن سليمان لما تزوّج فاطمة بنت عبد الملك:

قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العنزيّ عن العتبيّ قال:

كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان و كان قبيح الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات: أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز # قريع[2]قريش إذا يذكر

تزوّجت داود مختارة # ألا ذلك الخلف الأعور[3]

فكانت إذا سخطت عليه تقول: صدق و اللّه موسى، إنك لأنت الخلف الأعور، فيشتمه داود.

مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن لقيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق، و كان فتى جوادا سمحا، فلما ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابّته، ثم قال: قم فصوّت إذا أتيت دمشقا: # يا يزيد بن خالد بن يزيد

[1]كذا في الأصول، و المراد أنه اعترضها في سيرها و مدحها بهذا الشعر.

[2]القريع: السيد و الرئيس، يقال: فلان قريع الكتيبة أي رئيسها.

[3]الأعور: الرديء من كل شيء، و يقال على الضعيف الجبان البليد الذي لا خير فيه.

يا يزيد بن خالد إن تجبني # يلقني طائري بنجم السّعود

فأمر له بخمسة آلاف درهم و كسوة، و قال له: كلما شئت فنادنا نجبك.

تزوّج بنت داود ابن أبي حميدة فلما سئل عن جلوتها قال شعرا:

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب الزّبيريّ قال: زوّج موسى شهوات بنت مولى لمعن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له: داود بن أبي حميدة، فلما جليت[1] عليه قال داود: ما للجلوة؟فأنشأ يقول: /

تقول لي النساء غداة تجلى # حميدة يا فتى للجلاء

فقلت لهم سمرقند[2]و بلخ[3] # و ما بالصين من نعم[4]و شاء[5]

أبوها حاتم إن سيل خيرا # و ليث كريهة عند اللقاء

هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه و مدح سعيد بن سليمان:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب قال:

قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب على موسى شهوات بقضيّة، و كان خالد بن عبد الملك[6]استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه: وجدتك فهّا[7]في القضاء مخلّطا[8] # فقدتك من قاض و من متأمّر

/فدع عنك ما شيدته ذات رخة[9] # أذى الناس لا تحشرهم كلّ محشر

ثم ولي القضاء سعيد بن سليمان بن زيد[10]بن ثابت الأنصاريّ، فقال يمدحه: من سرّه الحكم صرفا لا مزاج له # من القضاة و عدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير إنّ بها # أمضى على الحقّ من سيف ابن جرموز[11]

[1]يقال: جليت العروس على زوجها جلوة (بتثليث الجيم) و جلاء (بكسر الجيم) إذا عرضت عليه مجلوّة، و الجلوة (بالكسر) : ما تعطاه العروس عند جلائها.

[2]سمرقند: مدينة عظيمة و هي عاصمة الصغد مبنية جنوبي وادي الصغد، قيل: هي من أبنية ذي القرنين.

[3]بلخ: مدينة مشهورة بخراسان.

[4]النعم: الإبل.

[5]الشاء: الغنم.

[6]هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولي المدينة لهشام بن عبد الملك.

[7]الفه: العييّ.

[8]يقال: خلط في كلامه إذا هذى.

[9]كذا في الأصول و لم نوفق إلى استجلاء ما غمض من معناه.

[10]كذا صححه الأستاذ الشيخ الشنقيطي على هامش نسخته، و في الأصول: «يزيد» و هو تحريف.

[11]هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوّام رضي اللّه عنه.

هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة:

قال: و كان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قد ولي المدينة و اشتدّ على السفهاء و الشعراء و المغنّين، و لحق موسى شهوات بعض ذلك منه، و كان قبيح الوجه، فقال موسى يهجوه: /

قل لسعد وجه العجوز لقد كنـ # ت لما قد[1]أوتيت سعدا مخيلا[2]

إن تكن ظالما جهولا فقد كا # ن أبوك الأدنى ظلوما جهولا

و قال يهجوه:

لعن اللّه و العباد ثطيط[3]الـ # وجه لا يرتجى قبيح[4]الجوار

يتّقي الناس فحشه و أذاه # مثل ما يتّقون بول الحمار

لا تغرّنك سجدة بين عينيـ # ه حذار[5]منها و منه حذار

إنها سجدة بها يخدع النا # س، عليها من سجدة بالدّبار[6]

مدح عبد اللّه بن عمرو بن عثمان حين نفحه بعطية:

أخبرني عمّي قال أخبرني ثعلب عن عبد اللّه بن شبيب قال: ذكر الحزاميّ[7]أنّ موسى شهوات سأل بعض آل الزبير حاجة فدفعه عنها، و بلغ ذلك عبد اللّه بن عمرو بن عثمان، فبعث إليه بما كان التمسه من الزّبيريّ من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى و هو جالس في المسجد، ثم أنشأ يقول: ليس فيما بدا لنا منك عيب # عابه الناس غير أنك فاني

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى # غير أن لا بقاء للإنسان

/و الشعر المذكور فيه الغناء، يقوله موسى شهوات في حمزة بن عبد اللّه بن الزبير، و كان فتى كريما جوادا على هوج كان فيه، و ولاّه أبوه العراقين و عزل مصعبا لمّا تزوّج سكينة بنت الحسين رضي اللّه عنه و عائشة بنت طلحة و أمهر كلّ واحدة منهما ألف ألف درهم.

سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة و توليته ابنه حمزة:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزبيريّ، و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، و أخبرني عبيد اللّه بن محمد الرّازي و الحسين بن علي: قال عبيد اللّه حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، و قال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ عن أبي محنف: [1]كذا في ب، س. و في أ، م، حـ،

ء: «لما أتيت» بغير «قد» و البيت لا يتزن بغيرها، و في جميع النسخ «أتيت» و الصواب ما رجحناه.

[2]كذا في ب، س، حـ، و في أ، م، ء: «بخيلا» .

[3]ثطيط تصغير ثط، و الثط و الأثط: الكوسج و هو الذي عرى وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه. و في أ، ء، م: «قبيح الوجه» .

[4]في أ، م، ء: «شطيط» و لم نجد فعيلا وصفا من هذه المادة.

[5]دخل على هذا الشطر «الكف» و هو حذف الساكن السابع من «فاعلاتن الأولى» .

[6]الدبار: الهلاك و العفاء، و الظاهر أن الباء زائدة.

[7]كذا في أ، ء، م، و في باقي النسخ «الحرامي» بالراء المهملة، و هو تحريف.

أن أنس بن زنيم اللّيثيّ كتب إلى عبد اللّه بن الزّبير: أبلغ أمير المؤمنين رسالة # من ناصح لك لا يريك خداعا

بضع[1]الفتاة بألف ألف كامل # و تبيت قادات الجيوش جياعا

لو لأبي[2]حفص أقول مقالتي # و أبثّ ما أبثتكم لارتاعا

/فلما وصلت الأبيات إليه جزع ثم قال: صدق و اللّه، لو لأبي حفص يقول: إنّ مصعبا تزوج امرأتين بألفي ألف درهم لارتاع، إنّا بعثنا مصعبا إلى العراق فأغمد سيفه و سلّ أيره و سنعزله، فدعا بابنه حمزة، و أمّه بنت منظور بن زبّان الفزاريّ و كان لها منه محلّ لطيف، فولاّه البصرة و عزل مصعبا. فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب، فقال: لكنّ أبا خبيب أغمد سيفه و أيره و خيره.

عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه و حمقه:

و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال: هذه الأبيات لعبد اللّه بن همّام[3] السّلوليّ.

قالوا جميعا: فلما ولي ابنه حمزة البصرة أساء السّيرة و خلّط تخليطا شديدا، و كان جوادا شجاعا أهوج، فوفدت إلى أبيه الوفود في أمره، و كتب إليه الأحنف بأمره و ما ينكره الناس منه و أنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم؛ فعزله عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنيّ قال:

لما قدم حمزة بن عبد اللّه البصرة واليا عليها، و كان جوادا شجاعا مخلّطا: يجود أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه إلا وهبه و يمنع أحيانا ما لا يمنع من مثله، فظهرت منه بالبصرة خفّة و ضعف. و ركب يوما إلى فيض[4]البصرة، فلما رآه قال: إنّ هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينّهم صيفتهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازرا[5] فقال: قد رأيته ذات يوم فظننت أن لن يكفيهم؛ فقال له الأحنف: إنّ هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنّا ثم يعود. و شخص إلى الأهواز فرأى جبلها، فقال: هذا قعيقعان-و قعيقعان: جبل بمكّة-فلقّب ذلك الجبل بقعيقعان.

قال أبو زيد: و حدّثني غير المدائنيّ أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فأتنا بخراج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه. و بعث إلى مردانشاه فاستحثّه بالخراج فأبطأ به، فقام إليه بسيفه

فقتله؛ فقال له/الأحنف: ما أحدّ سيفك أيّها الأمير!و همّ بعبد العزيز بن شبيب[6]بن خيّاط أن يضربه بالسّياط؛ [1]بضع: نكح.

[2]دخل على هذا الشطر «الوقص» و هو ما سكن ثانيه المتحرك و ذهب رابعه الساكن من «متفاعلن» .

[3]في الأصول: «هشام» و هو تحريف.

[4]فيض البصرة: نهرها.

[5]جازرا: من الجزر و هو نقصان مائه، و ضدّه «المد» و هو زيادته.

[6]في «تاريخ الطبري» (طبع مدينة ليدن-القسم الثاني ص 752) . و في ابن الأثير ص 255 ج 4 «بعبد العزيز بن بشر» . و قد ورد في الطبري في قسم 2 ص 802 هذا الاسم هكذا «عبد العزيز بن بشر بن حياط» ، و في حـ: «بن بشير بن حياط» بالحاء المهملة. و في أ، م، ء: «بن شبيب بن حياط» بالحاء المهملة أيضا.

فكتب[1]إلى ابن الزبير بذلك و قال له: إذا كانت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها و أعد إليها مصعبا؛ ففعل ذلك. و قال بعض الشعراء يهجو حمزة و يعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جزر: يا بن الزّبير بعثت حمزة عاملا # يا ليت حمزة كان خلف عمان

أزرى بدجلة حين عبّ عبابها # و تقاذفت بزواخر الطّوفان

نفار النوار من الفرزدق و التجاؤها لابن الزبير و شفاعة الفرزدق بابنه حمزة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال: خطب النّوار ابنة أعين المجاشعيّة رجل من قومها، فجعلت أمرها إلى الفرزدق، و كان ابن عمها دنية[2]، ليزوّجها منه، فأشهد عليها بذلك و بأنّ أمرها إليه شهودا عدولا؛ فلما أشهدتهم على نفسها قال لهم الفرزدق: فإني أشهدكم أنّي قد تزوّجتها، فمنعته النّوار نفسها و خرجت إلى الحجاز إلى عبد اللّه بن الزّبير، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زبّان، و خرج الفرزدق فعاذ بابنه حمزة، و قال يمدحه: يا حمز هل لك في ذي حاجة، غرضت[3] # أنضاؤه بمكان[4]غير ممطور

/فأنت أولى قريش أن تكون لها # و أنت بين أبي بكر و منظور

/فجعل أمر النّوار يقوى و أمر الفرزدق يضعف؛ فقال الفرزدق في ذلك:

أمّا بنوه فلم تنفع شفاعتهم # و شفّعت بنت منظور بن زبّانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا[5] # مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فبلغ ابن الزّبير شعره، و لقيه على باب المسجد و هو خارج منه فضغط حلقه حتى كاد يقتله، ثم خلاّه و قال: لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا[6] # و لو رضيت رمح[7]استه لاستقرّت

ثم دخل إلى النّوار فقال لها: إن شئت فرّقت بينك و بينه ثم ضربت عنقه فلا يهجونا أبدا، و إن شئت أمضيت نكاحه فهو ابن عمّك و أقرب الناس إليك، و كانت امرأة صالحة، فقالت: أ و ما غير هذا؟قال: لا؛ قالت: ما أحبّ أن يقتل و لكني أمضي أمره فلعلّ اللّه أن يجعل في كرهي إيّاه خيرا؛ فمضت إليه و خرجت معه إلى البصرة.

غنى معبد حمزة بن عبد اللّه بشعره فأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى و محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزّبيريّ: أن حمزة بن عبد اللّه كان جوادا، فدخل إليه معبد يوما و قد أرسله ابن قطن مولاه يقترض له من حمزة ألف [1]في «تاريخ الطبري» قسم 2 ص 752 «كتب الأحنف» .

[2]يقال: هو ابن عم دنية أي لاصق النسب.

[3]في الأصول «عرضت» و قد صححها الأستاذ الشنقيطي كما أثبتناه. و «غرضت» : ملّت و ضجرت.

[4]كذا في «الأغاني» في ترجمة الفرزدق (ج 19 ص 11 طبعة بولاق) و في الأصول هنا: «ببلاد» و هو لا يتفق مع الوصف.

[5]كذا في «ديوان» الفرزدق، و في الأصول: «متزرا» بالإدغام. و إدغام الهمزة في تاء الافتعال بعضهم يجيزه و الأكثر على منعه.

[6]في رواية أخرى:

ألا تلكم عرس الفرزدق جامحا

[7]يريد بقوله «رمح اسنه» : طعنه في دبره و رفسه بالأرجل، و هذا كناية عن امتهانه و احتقاره، و الرمح: الضرب بالرجل.

دينار فأعطاه ألف الدينار، فلما خرج من عنده قيل له: هذا عبد ابن قطن و هو يروي فيك شعر موسى شهوات فيحسن/روايته، فأمر بردّه فردّ، و قال له ما حكاه القوم عنه، فغنّاه معبد الصوت فأعطاه أربعين دينارا؛ و لما كان بعد ذلك ردّ ابن قطن عليه المال فلم يقبله، و قال له: إنه إذا خرج عنّي مال لم يعد إلى ملكي. و قد روي أنّ الداخل على حمزة و المخاطب في أمره بهذه المخاطبة[1]ابن سريج، و ليس ذلك بثبت، هذا هو الصحيح، و الغناء لمعبد.

أنشد حمزة بن عبد اللّه شعرا و غناه إياه معبد فأجازهما:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ: أن موسى شهوات أملق، فقال لمعبد: قد قلت في حمزة بن عبد اللّه شعرا فغنّ فيه حتى يكون أجزل لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد و غنّى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها معبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار.

كان من شعراء الحجاز و كان خلفاء بني أمية يحسنون إليه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد اللّه عن عبد اللّه بن عيّاش قال: كان موسى شهوات مولى لسليمان بن أبي خيثمة بن حذيفة العدويّ، و كان شاعرا من شعراء أهل الحجاز، و كان الخلفاء من بني أميّة يحسنون إليه و يدرّون عطاءه و تجيئه صلاتهم إلى الحجاز.

هجا داود بن سليمان بن مروان الذي تزوّج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة زوجها عمر بن عبد العزيز:

و كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان و كان دميما قبيحا، فقال موسى شهوات في ذلك: أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز # قريع قريش إذا يذكر

تزوّجت داود مختارة # ألا ذلك الخلف الأعور

فغلب عليه ذلك في بني مروان، فكان يقال له: الخلف الأعور.

صوت من المائة المختارة

عوجا خليليّ على المحضر[2] # و الربع من سلاّمة المقفر

عوجا به فاستنطقاه فقد # ذكّرني ما كنت لم أذكر

ذكّرني سلمى و أيامها # إذ جاورتنا بلوى عسجر[3]

[1]في م: «و المخاطب في هذه المخاطبة» .

[2]المحضر: المنهل الذي يجتمع القوم فيه و يحضرون عليه (انظر الحاشية رقم 1 من ص 395 ج 2 أغاني من هذه الطبعة) .

[3]عسجر: موضع قرب مكة. قال ياقوت في الكلام عليه بعد أن تكلم عن عسجد: «و لعله الذي قبله عير في قافية شعر» يريد «عسجدا» بالدال المهملة. و قد قال في الكلام عن عسجد إنه اسم موضع بعينه، و استشهد له بقول رزاح بن ربيعة العذري:

بالربع من ودّان مبدا[1]لنا # و محورا ناهيك من محور

في محضر كنّا به نلتقي # يا حبّذا ذلك من محضر

إذ نحن و الحيّ به جيرة # فيما مضى من سالف الأعصر

الشعر للوليد بن يزيد، و قيل: إنه لعمر بن أبي ربيعة، و قيل: إنه للعرجيّ، و هو للوليد صحيح، و الغناء و اللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها، و فيه لشارية[2]خفيف رمل آخر عن ابن المعتزّ، و ذكر الهشاميّ أنّ فيه لحكم الواديّ خفيف رمل أيضا.

عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينة بنت الحسين فأرسلت إليه أشعب:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ قال:

كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سكينة بنت الحسين رضي اللّه تعالى عنه، فعتب عليها يوما، فخرج إلى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت/له: إن ابن عثمان خرج عاتبا عليّ فاعلم لي حاله، قلت: لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة، فقالت: أنا أعطيك ثلاثين دينارا، فأعطتني إياها فأتيته ليلا دخلت الدار، فقال: انظروا من في الدار، فأتوه فقالوا: أشعب، فنزل عن فرشه و صار إلى الأرض فقال: أ شعيب[3]؟قلت: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سكينة لأعلم خبرك، أ تذكّرت منها ما تذكّرت منك؟و أنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك و صرت إلى الأرض، قال: دعني من هذا و غنّني: عوجا به فاستنطقاه فقد # ذكّرني ما كنت لم أذكر

فغنّيته فلم يطرب، ثم قال: غنّني ويحك غير هذا، فإن أصبت ما في نفسي فلك حلّتي هذه و قد اشتريتها آنفا بثلاثمائة دينار، فغنّيته:

صوت

علق القلب بعض ما قد شجاه # من حبيب أمسى هوانا هواه

ما ضراري نفسي بهجران[4]من ليـ # س مسيئا و لا بعيدا نواه

و اجتنابي بيت الحبيب و ما الخلـ # د بأشهى إليّ من أن أراه

فقال: ما عدوت ما في نفسي، خذ الحلّة، فأخذتها و رجعت إلى سكينة فقصصت عليها القصّة، فقالت: و أين الحلّة؟قلت: معي، فقالت: و أنت الآن

تريد أن تلبس حلّة ابن عثمان!لا و اللّه و لا كرامة!فقلت: قد أعطانيها، فأي شيء تريدين منّي!فقالت: أنا أشتريها منك، فبعتها إياها بثلاثمائة دينار.

()

فلمّا مررن على عسجد # و أسهلن من مستناخ سبيلا

ثم قال: و يروى «عسجر» .

[1]المبدا هنا: المبدأ سهلت همزته، أي المبتدأ، الذي كنا نبتدئ منه في الذهاب، و محورا أي مرجعا نرجع إليه.

[2]في أ، ء، م: «لسارية» بالسين المهملة.

[3]شعيب: تصغير «أشعب» كما يقال في تصغير «أسود» «سويد» ، و يسمى هذا «تصغير الترخيم» .

[4]في حـ: «بهجرة من» (انظر الحاشية رقم 3 ص 128 ج 1 «أغاني» من هذه الطبعة) .

/الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة، و الغناء للدارمي خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، و ذكر عمرو بن بانة أنه للهذليّ، و فيه لابن جامع ثاني/ثقيل بالوسطى.

غاضب رجل جارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلا كانت له جارية يهواها و تهواه فغاضبها يوما و تمادى ذلك بينهما، و اتّفق أنّ مغنية دخلت فغنتهما: ما ضراري نفسي بهجران من ليـ # س مسيئا و لا بعيدا نواه

فقالت الجارية: لا شيء و اللّه إلا الحمق، ثم قامت إلى مولاها فقبّلت رأسه و اصطلحا.

صوت من المائة المختارة

يا ويح نفسي لو أنه أقصر[1] # ما كان عيشي كما أرى أكدر

يا من عذيري ممن كلفت به # يشهد قلبي بأنه يسحر

يا ربّ يوم رأيتني مرحا # آخذ في اللهو مسبل المئزر

بين ندامى تحثّ كأسهم # عليهم كفّ شادن[2]أحور

الشعر لأبي العتاهية و الغناء لفريدة خفيف رمل بالبنصر.

إلى هنا انتهى الجزء الثالث من كتاب الأغاني و يليه إن شاء اللّه تعالى الجزء الرابع منه، و أوّله: ذكر نسب أبي العتاهية و أخباره سوى ما كان منها مع عتبة [1]أقصر فلان عن الشيء: كف عنه و انتهى.

[2]الشادن من أولاد الظباء: الذي قد قوي و طلع قرناه و استغنى عن أمه. و الأحور: أن يكون البياض في العين محدقا بالسواد كله، و إنما يكون هذا في البقر و الظباء ثم يستعار للناس. (انظر في «اللسان» مادتي شدن و حور) .

فهرس موضوعات الجزء الثالث

الموضوع الصفحة
ذكر قيس بن الخطيم و أخباره و نسبه 5
ذكر طويس و أخباره 21
ذكر الدارميّ و خبره و نسبه 33
أخبار هلال و نسبه 38
أخبار عروة بن الورد و نسبه 52
ذكر ذي الإصبع العداونيّ و نسبه و خبره 63
ذكر قيل مولى العبلات 78
خبر غريض اليهوديّ 82
ذكر ورقة بن نوفل و نسبه 84
خبر زيد بن عمرو و نسبه 87
أخبار ابن صاحب الوضوء و نسبه 93
أخبار بشار بن برد و نسبه 91
أخبار يزيد حوراء 171
أخبار عكاشة العميّ و نسبه 175
أخبار عبد الرحيم الدفاف و نسبه 182
أخبار الحادرة الثعلبي و نسبه 184
أخبار ابن مسجح و نسبه 188
أخبار ابن المولى و نسبه 195
أخبار عطرّد و نسبه 208
أخبار الحارث بن خالد المخزوميّ و نسبه 213
أخبار الأبجر و نسبه 235
أخبار موسى شهوات و نسبه 240

فهرس الموضوعات 257